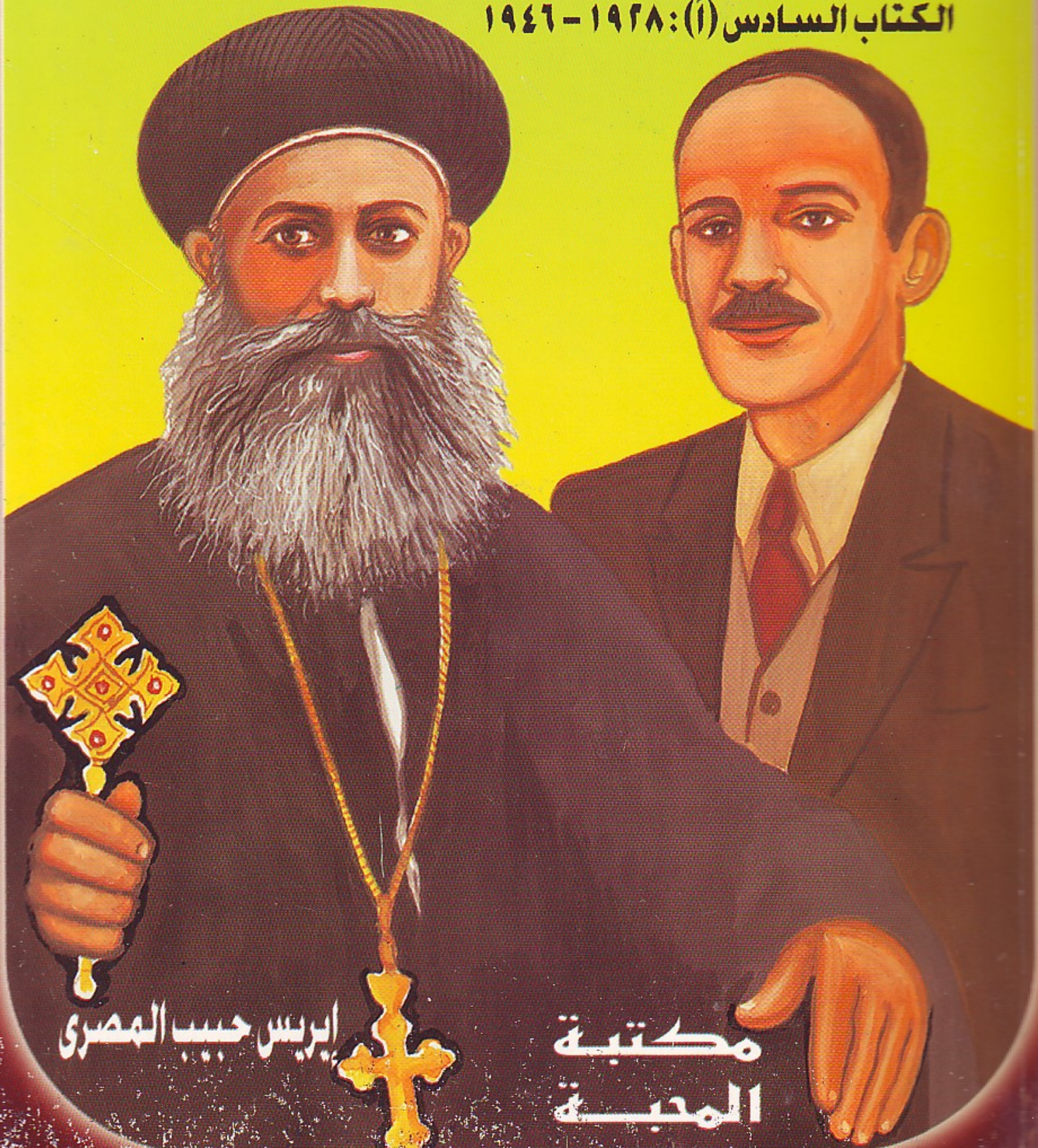


قصة الكنيسة القبطية

تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية
التي أسسها مارمرقس البشير

الكتاب السادس (أ): ١٩٢٨ - ١٩٤٦



إيريس جيب المصري

مكتبة
المحبة

قصة الكنيسة القبطية

وهي تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التي أسسها

مارمرتنس البشير

بقلم
إيريس حبيب المصري

الكتاب السادس

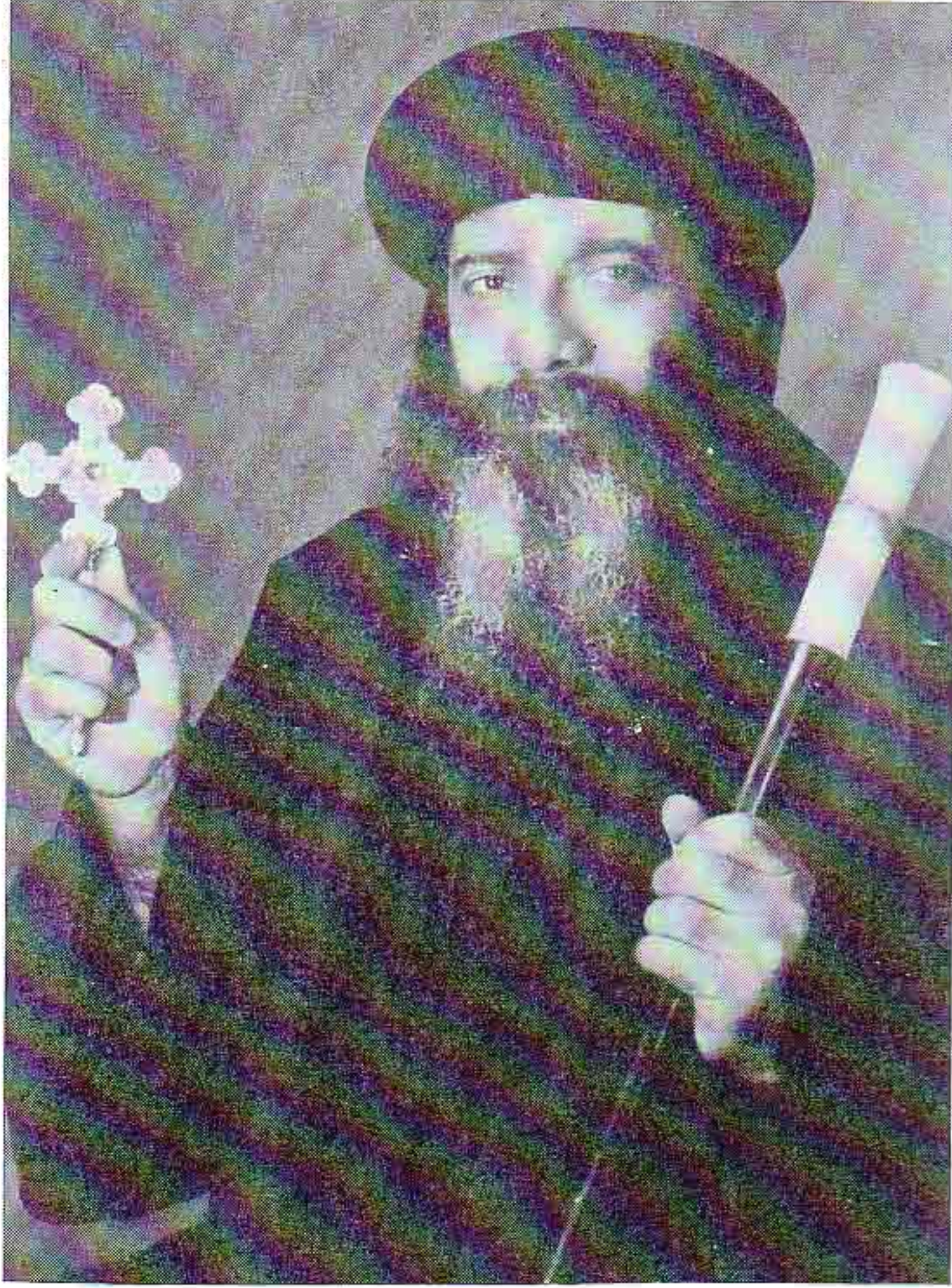
من عام ١٩٢٨ حتى ١٩٤٦ م

(١)

مكتبة المحبة



مار مرقس الرسول
يكتب انجيله مستلهما الروح القدس
وحتى الاسد الواقف الى جانبه رفع عينيه الى فوق



قداسة البابا المعظم
الآبى شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



نيافة الانبا مكاريوس
مطران كرسى اسيوط
الذى اصبح البابا المرقسى المائه والرابع عشر



في زيارة المليك لمدرسة الاقباط الثانوية

- ◊ كانت دلائل الفبطة تلوح على محيا غبطة البطريرك على الرغم من ابلاله القريب من مرضه . وقد تفضل جلالتة فصاخه ثم عانقه في حرارة
- ◊ استراح جلالتة في صالة الرسم حيث تناول المرطبات وأبدى إعجاباه بلوحة كبيرة للرسم جرجس وقال للحضور إنها أحسن صورة تمثل شخصه الكريم
- ◊ حازت فكرة الأمثال المصورة الثغانة سامية من جلالتة وبخاصة صورة « شخشيخ يا ابو النوم على اللي جد اليوم » وهي تمثل شيخاً طاعناً في السن أحنى قامته ليقبل يد فتاة في سن حفتته .
- ◊ في أثناء زيارة جلالتة لقسم لعب الأطفال اتسم الى من حوله قائلاً: إنه كان يملك مجموعة كبيرة كهذه في طفولته
- ◊ كان من جملة المعروضات عصارة للبرتقال تعتبر الأولى من نوعها في مصر



قداسة البابا الانبا يوساب
وعن يساره نيافه الانبا ياكوبوس
مطران القدس
و بينهما من الخلف الانبا توماس
مطران الغربية والبحيرة
وهم يؤدون شعائر الاكليل المقدس لايفنا حبيب المصرى



كبرلس

مطران الامبراطورية الاثيوبية

Kyrillos

Archevêque de l'Empire Ethiopien





نيافة الحبر الجليل الانبا يا كوبوس

تنوج ادارة المدرسة تقريرها هذا بصورة حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا
يا كوبوس مطران الكرسي الاورشليمي والشرق الادنى للاقباط الارثوذكس مؤسس المدرسة
وباعت نهضتها والعامل على تقدمها وازدهارها .
وادارة المدرسة اذ تحلى هذا الكتيب بهذا الرسم الاغر تضرع الى الله تعالى أن يمد في
عمر نيافته سنين عديدة ليصل بالمدرسة الى اقصى درجات الازدهار بفضل مساعداته
وصالح دعوانه وعطفه الأبوي الكريم .

« مدير المدرسة »

الاعتراف بالفضل لذويه :

يهمنى جداً أن أقرب بكل عرفان وخشوع أننى مهما قدمت من الشكر للآب السماوى فلن أستطيع شكره - إذ قد غمرنى بفضله اللانهائى . فمن أين لى أنا المخلوقة المحدودة أن أقدم شكرى الكافى الى الخالق اللامحدود ؟ ...

ثم أرفع شكرى مع تقديرى العميق الى صاحب النياقة الأنبا غريغور يوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى لأنه تفضل فأعازنى بعض الكتب التى نفذت طبعتها .

كذلك أقدم شكرى وامتنانى لأبيننا المكرم القمص متى المسكين لاستمراره فى مراجعة كتاباتى بدقته المعهودة .

وأشكر كل الأحبة الذين استجابوا لرجائى فأعطونى الكثير من المعلومات عن الأشخاص والأحداث فى هذه الحقبة الواردة بهذا الجزء .

وإنه ليحلولى أن أبعث بولائى وإعزازى الى أولئك الأحبة الذين يرفلون الآن فى الفردوس والذين كانت حياتهم نجمى الهادى فى معترك الحياة .

ايريس حبيب المصرى

الاستاذة ايريس حبيب المصرى

نعمة وبركة وسلام من الله لشخصك العزيز

تصفححت مسودة الجزء الخاص « كيف سقط الجبابرة » وراجعت ما فيه كلمة كلمة . وربما كان هذا الجزء من كتابك الكبير « قصة الكنيسة القبطية » يمثل كيف تدخل الكنيسة بارادتها فى منطقة الظل بقدر ما تبتعد عن تراثها الروحى الخالد وتقليدها الأبوى المتقن .

لقد عبرت على حوادثه بشق الأنفس ، وقد تركت فى نفسى شعوراً حزيناً هيات أن أتخلص منه . لأنه إن كان الكتاب المقدس بعهديه هو بالنسبة لى يمثل مراحل نمو وعيى الروحى ، فتاريخ الكنيسة هو بالفعل مراحل حياتى . بل إنى اعتقد أن هذه الاخفاقات المريرة التى عبرت عليها الكنيسة فى حياة كل من المطوب الذكر أنبا يوانس التاسع عشر وأنبا مكارىوس الثالث قد أصابت الوعى الروحى للشعب بقصور وأتلفت حاسة تقييظه للتقليد المقدس ، لكن موقف والدك العظيم « حبيب المصرى » كان ولا يزال يمثل عنصر الديمومة للأمانة المطلقة فى الكنيسة من نحو تقليدها وتراثها الحى الذى لن تحجبه عن الإشراف الإفتراءات زمنية قصرت أو طالت .

وإنى لا أزال أترجى وجه الرب يسوع أن يمنحك القوة والعزيمة لتكميل هذا التسجيل المتقن لتاريخ كنيستنا لأنه سيبقى للأجيال مصدر تثقيف وإلهام .

راجياً أن تقبلنى عظيم شكرى واحترامى
« ولتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون
ومندرون بعضكم بعضاً »
١١ طوبه ١٦٩٩ / عيد الغطاس المبارك

القمص متى المسكين

مقدمة

كان الهدف الأول هو نشر الكتاب السادس ليتضمن سير الباباوات الثلاثة الذين تعاقبوا على السدة المرقسية ما بين انتقال البابا كيرلس الخامس الى الفردوس الى بداية باباوية الأنبا كيرلس السادس . ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان مما أدى الى نشر الكتاب على قسمين الأول يتضمن عهدى الأنبا يؤنس التاسع عشر والأنبا مكارىوس الثالث ، والثانى قاصر على عهد الأنبا يوساب الثانى . فتكون الحقبة الواردة فى قسمه الأول من سنة ١٩٢٨ - سنة ١٩٤٦ ، بينما ترد الحقبة الثانية ما بين سنة ١٩٤٦ و بين سنة ١٩٥٦ .

على أن الأحداث التى جرت فى هذه الفترة (التى تضم الحقتين) وفيرة ، كما أنها لقرها من عهدنا عاصرت شطراً كبيراً منها وعرفت معظم الأشخاص الذين وردت سيرتهم فيها . ولما كان الوفاء للكنيسة للأجيال الآتية يحتم تسجيل كل ما اختبرته شخصياً أو عرفته من أبى فقد جاء هذا الكتاب كبير الحجم على الرغم من قصر المدة الزمنية التى يتناولها .

ورجائى من عمق قلبى الى القراء أن يتمعنوا بصدور رغب ما ورد فى هذا الكتاب ففیه عبرة لكل من يتأمل و يتفكر .

والشكر الوفير للآب السماوى على رعايته الحانية الدائمة .

ايريس حبيب المصرى

كيف سقط الجبابة (١)؟؟!

أ- الأنبا يونس ال ١٩

- ٢٠- السفر الى اثيوبيا :
أ- من القاهرة الى بورسعيد
ب- من بورسعيد الى أديس بابا
٢١- فى أديس أبابا
أ- انبثاق الروح القدس من الآب
ب- لماذا نصلى من أجل المنتقلين ؟
٢٢- برنامج الزيارة الراعوية
٢٣- إرساء حجر الأساس لكنيستين
٢٤- العودة الى الوطن
٢٥- نغمة نشاز
٢٦- جمعية الآثار القبطية
٢٧- ظلم الإنسان لأخيه الإنسان
٢٨- رعاية أبوية
٢٩- نشاط روحى اجتماعى
٣٠- ترميم كنيسة القيامة بالقدس
٣١- جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة
٣٢- حركة لبعض رهبان الدير المحرق
٣٣- الوعى الشعبى
٣٤- خاتمة المطاف
٣٥- فى جناز الأربعين
٣٦- ماشيد من كنائس
- على جبل طابور
مقدمة . تمهيد
١- تمحيص يتحتم علينا
٢- ما أدت اليه القرارات المغايرة
٣- سابقة أخرى
٤- مفارقات يجب تسجيلها
٥- نظرة الى الوراثة : الحياة الديرية
ب- مسئوليات كبرى ج- أعمال بناء
٦- اختيار القائم مقام البطريركى
٧- « يتعجب المستقيمون من هذا » (٢)
٨- الرغبة الشخصية
٩- للضرورة أحكام
١٠- ثم ماذا أيضا ؟
١١- التدرج الحتمى
١٢- وماذا كان حال الراعى ؟
١٣- ومضة من المراحم الإلهية
١٤- إقامة شعائر الميرون المقدس
١٥- تساؤل شخصى
١٦- المتحف القبطى
١٧- الاهتمام بالشعب الاثيوبى
١٨- توثيق الصلة السياسية بين مصر واثيوبيا
١٩- الاستعداد للرحلة الراعوية

(١) ٢ صموئيل ١: ١٩-٢٧ (مرثية داود)

(٢) أيوب ١٧: ٨

- ٣٧- المطارنة والأساقفة الذين رسمهم الأنبا يونس
٣٨- بعض المعاصرين : أ- الكهنة . ب- العلمانيين
٣٩- أ- الحرص على التراث الأبوي
ب- وعلى القيم الروحية
٤٠- أ- شيء من التاريخ
ب- الدين لله والوطن للجميع
٤١- من تعاليم كنيسةنا القبطية الأرثوذكسية

الإهداء

الى كل محب لكنيسة الآباء والأجداد
حريص على تعاليمها وتقاليدها ،
يهمه أن تحتفظ هذه الكنيسة العريقة بطابعها الخاص ،
أقدم هذا الجزء من
« قصة الكنيسة القبطية »
ضارعةً الى الله رب الكنيسة
أن ينير بصائرنا جميعاً -
ففسر في ثبات وولاء
للوديعة الغالية
التي تسلمناها من آباءنا
لنسلمها الى أبنائنا
كاملة جميلة

على جبل طابور

قبل أن نتتبع الحوادث التي أقلقت الكنيسة وأزعجتها على أثر انتقال الأنبا كيرلس الخامس الى الأخدار السماوية ، نصعد لنقضى بعض الوقت على جبل طابور (جبل التجلى) لأننا - بصعودنا - سنرى النور الإلهى يسطع خلال قديس روحانى عاش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين : إنه القمص ميخائيل البحيرى المحرقى . وصعودنا يهدف الى إدخال البهجة والسكينة على نفوسنا قبل أن نخوض غمار الأحداث المصنية . لأن القديسين يشبهون سيدهم فى أنهم يشددون الأيادى المسترخية والركب المخلعة .

ولد ميخائيل ببلدة اشنين النصارى (مركز مغاغة) خلال سنة ١٨٤٧ . واشنين هذه - وإن تكن قرية - لها تاريخ كنسى عريق . وكان أبوه فلاحا ، كما أنه هو وزوجته كانا أتقياء خائفى الله ، فربيا ميخائيل فى طريق الرب .

ولما بلغ الثانية عشرة مرض أبوه . وحين أدرك الأهل والأقارب أنه سينتقل من هذا العالم ، خافوا على الصبى فأخذوه الى بيت واحد منهم ، وأصعدوه الى عليية على السطح كى يكون بعيداً عن العويل والصراخ . وبينما هو فى هذا المكان رأى الملائكة حاملين أباه وطائرين به الى فوق . وعرف والده الى حد أنه نادى عليه : « يا أبى ... يا أبى ... » فأجابه ملاك منهم : « اطلب أن تكون آخرتك كآخرة أبيك » ... ثم بعد ذلك بثلاث سنوات توفيت أمه .

وكان هناك راهب كاهن اسمه القمص تاوضروس اعتاد أن يزور اشنين مرة فى السنة . ولأن ميخائيل كان ذا روحانية مرهفة ، فإنه كان يلزم هذا القمص الراهب طوال إقامته بإشنين . واستمر على هذا الحال الى أن بلغ سن العشرين . وعندها أعلن لأبيه فى الاعتراف رغبته فى الرهبنة . ففرح أبوه الروحى بهذه الرغبة ومنحه الإذن فى أن يرافق القمص تاوضروس . ونفذ ميخائيل لفوره هذه الرغبة ، وترك أهله وعشيرته دون أن يخبر أحداً . ولما كان مرشده من الدير المحرق فقد ذهب الى هناك .

عاش ميخائيل ثمانية عشر شهراً تحت الاختبار ، خدم إخوته خلالها بكل طاعة وتواضع ثم ألبسوه الطقس الرهبانى باسمه الأسمى « ميخائيل » ، فحمل نير مخلصه وتبعه الى النهاية . وقد عبر عما فاضت به نفسه يوم أن نال هذه البركة بقوله : « لقد أحسست بأنى ولدت ولادة جديدة مع إدراكى لخطورة موقفى . فالرهبنة مسئولية عظيمة ، بها عاهدت الله أمام المذبح المقدس بأن أنذر ذاتى بكليتها لخدمته ، ومع ذلك فقد امتلأت سعادة عظيمة » .

وقد سار مدبرو الرهبنة على الحكمة التي تلقنوها من الآباء ، فعهدوا بالراهب المبتدئ الى شيخ مختبر في الرهبنة . لأن القدوة أبعد أثراً من القراءة والاستماع . ثم حضر الى الدير الأنبا أثناسيوس أسقف صنبو وقسقام في يناير سنة ١٨٧٥ ، عقب عيد الميلاد المجيد ، فرسمه قساً مع الاحتفاظ باسمه أيضاً . وبتلاقي الكرامة الكهنوتية مع الفضيلة التبتلية تألفت مظلة سمائية كالسحابة النيرة التي ظللت الرسل على جبل طابور . ولازمته النعمة الالهية ملازمة تامة جعلته مهللاً حتى في الضيقات التي صادفته . لأن الاضطهاد يكسب الشجاع دراية وخبرة روحية . فكانت الثمار التي جناها خلال أتعابه من أذما استطعمه أبناؤه الرهبان فيما بعد .

وفى سنة ١٨٨٣ استقرت أمور الدير . فأخذ يدرب نفسه على تجليد الكتب : فجلد الكتب القديمة بمكتبة الدير لصيانتها . ولما عرف زوار الدير بعمله هذا أتوا اليه بكتبهم أيضاً . وكان يقبل منهم أى أجر ، ويوزعه على الفقراء من الرهبان ومن الأهالي ، حتى لقد اعتبره الجميع ملاك رحمة لهم . وكانوا هم وغيرهم يأتون للتبرك به وبارشاداته . والواقع أنه لم يكن ليكتفى بهذه الهبات المادية ، بل كان أباً روحياً ذا شفافية يملأ نفوس المعترفين عليه والمسترشدين به عزاء وطمأنينة . وإن من يتأمل معاملة القس ميخائيل في تواضع يجد أنه شابه الأنبا يؤنس كامى الذى قيل عنه إنه حمل برية شهيت على خنصره ، فقيل عن أبينا ميخائيل إنه حمل برية قسقام والوافدين إليها على خنصره .

وقد دفعه تجليد الكتب الى قراءتها . ولشغفه بها كان يشجع الرهبان على الاستزادة من القراءة ، فيقول لهم : « إن باب قلايتى مفتوح كل حين فى وجه كل من يريد الاطلاع ، فالقراءة سмир العباد . والقراءة فى الكتب الالهية نوع من الصلاة . فنحن بالصلاة نخطب الله ، وهو يخاطبنا عن طريق كتبه ... ومن الضرورى ألا يكتفى القارىء بالاعتماد على علمه ومعرفته وفطنته الخاصة ، بل لابد له من الرجوع الى آراء ذوى الخبرة والحكمة والإمام العملى لتحقيق ما يقرأه والتثبت من معانيه ...

ثم انشغل بعد ذلك فى زراعة بستان فى ركن داخل أسوار الدير . وهنا أيضاً كان يوزع كل ما يأتىه وبعض محاصيله على المحتاجين .

ولقد أغدق الله عليه مواهب عجيبة منها أن أحد الرهبان رآه وقد آنس اليه ضبعان - عند رجوعه الى الدير بعد مغيب الشمس ، وكان قد خرج لقضاء بعض حاجات لإخوته الرهبان . وحينما رأى الراهب الضبعين عند قدمى القديس اشتاق أن يعرف ما هذا السلطان . فسأل أحد الشيوخ عن ذلك . أجابه : « إن السر فى خضوع الوحوش لرجال الله وموانستها لهم هو أنها تشم

فيهم رائحة الخالق الحال فيهم فتشعر بقوة خفية صادرة عنهم تسلب وحشيتها . إذن فهي تخضع للخالق في أشخاص أصفياه . « (١)

ولم يقتصر سلطانه الروحي على الوحوش ، بل شمل الناس الذين جرفهم العالم . فقد حدث أن جاء الى الدير شاب ممن سيطر عليهم الاستخفاف برجال الله . وما إن وقعت عيناه على أبينا ميخائيل حتى ذهب اليه وأخذ يقبل يديه . وبعد ذلك قال للرهبان : « إننى مندهش مما حدث ، إن مجرد رؤيتي لرجل الله شعرت كأن قوة خفية تدفعني نحوه وتحركني الى لثم يديه . وبينما أنا ممسك بها هزتنى قشعريرة أبكتني ، فطلبت منه الدعاء الصالح » .

كذلك منح الآب السماوي سلطة قاهرة على الأرواح الشريرة ، وعلى السحرة والمشعوذين . فقد كان في بلدة بنى رافع ساحر أزاغ الشعب وراه . وحدث أن جاءه يوماً بعض الناس يطلبون إليه أن يرسل أحد عملائه الى قلاية القمص ميخائيل ليرى من هم الجالسون معه . وكم كانت دهشتهم عظيمة إذ رأوا العميل راجعا في فرع وهو يقول للساحر . « اطلب مني أى طلب غير هذا ، لأننى لا أستطيع دخول قلاية هذا القمص . فكلما حاولت ذلك أراها محاطة بنار كسياج حولها ! » وكان بين السامعين شاب بلغ به التأثر أن جعله يذهب لفوره الى الدير ويترهب . ثم أصبح بعد ذلك القمص متياس الرافعي المحرقى .

ولما كان قلب أبينا ميخائيل فائضاً بالمحبة والحنان الدافق ، فإنه كان يعمل جهده على تخفيف آلام إخوته في الانسانية . ولقد شجع هذا الحنان الكثيرين على الاستنجاد به . ومن الأمثلة على ذلك أن رجلاً فقيراً اختصم معه رجل غنى قاس ، بلغت قسوته أن اتهم الفقير تهمة هو برىء منها ، ورفع قضية ضده . فقصد الفقير الى أبينا ميخائيل ، واشتكى له . فصلى الأب الحنون على رأسه ، وباركه ، ثم سأله عن موعد القضية . وفى اليوم المحدد للقضاء اشتد الخوف على الفقير إذ لم يكن له محام يدافع عنه الى حد أنه لم يذهب الى المحكمة . أما أبونا فقد تذكره وصلى لأجله فى القداس الإلهي . واستجابت مراحم القدير لهذه الصلاة . لأن القاضى حين نادى على المشكو عليه ولم يجب ، قام تلقائياً ومن نفسه — رجل له مكانته ودافع عنه وأثبت براءته ، واستصدر له الحكم بهذه البراءة . فطار قلب الفقير فرحاً وذهب فقدم شكره لرجل الله .

ولئن ذكرنا هذه الأمثلة القليلة ، دليلاً على أن كل عصر قد جملة الله بالقدسين ، فيجب أن نذكر أن الآيات التى تمت بصلوات أبينا ميخائيل أضعاف ما ذكر .

أما تعاليمه الروحية فهي بلسم شاف للقلوب المتطلعة نحو الكمال . وهنا أيضاً يعوزنى الوقت لسردها تفصيلاً ، لذلك نكتفى بما يأتى : « يقولون — وقولهم ليس بحق — إن الهروب من

(١) قارن بين هذا التعليل وبين ما قيل عن خضوع الوحوش للقدسين فى نهاية سيرة الأنبا بولا ج ١ من هذا الكتاب ص

الشرجين . فلو فرضنا أن الأمر كذلك فحين مثل هذا ضروري للخلاص » ... إن الوحدة بمثابة بوثقة للمتوحد المجاهد تستبين فيها كمية حيازته على الشجاعة الروحية الحقيقية فالشياطين ، فى حروبهم ضد المتوحد ، يلقون كل شرهم عليه دفعه واحدة ومن دون شفقة » « مما يضحك ويكى معاً ادعاء البعض بأنهم فى غنى عن الاعتراف بخطاياهم بحجة أنهم عقلاء وقادرون على تدريب ذواتهم . وفاتهم أن العقل الذى تنازل لشهوات الجسد ، وحين أمام هجمات الفساد ، لا يفقه عقب السقوط شيئاً من التدبير . وهل يرجى من الثمل أرشاد ؟ » ... « أتريد راحة البال ؟ إذن حافظ على شروط محبة الله ومحبة القريب » « الصلاح لا يقتصر على الابتعاد عن الشر فحسب ، بل يتناول أيضاً ممارسة الفضائل » « لا تبك على موتى الأجساد بمقدار ما يلزمك أن تبكى وتنوح على موتى الأرواح » (١) « المنتقم من أخيه متغلب فى عينى نفسه وأعين الناس . أما عند الله فغلوب على أمره ، ذو صفقة خاسرة » ... « الراهب الذى ينظر الى الرتب العالية الإدارية ، وهم فى بلوغها مزكياً نفسه لأجلها ، يعرقل مساعيه الجهادية » « إذا كنا حاقدين فلا تقتصر صلاتنا على أنها تعود إلينا فارغة من الخيرات ، بل وتكون محملة باللعنات » « العاقل الخاضع لإرشادات النعمة لا ينخدع لحيل إبليس » .

ويرى القارىء من الأمثلة المسرودة أن أبانا ميخائيل استهدف بناء أولاده الرهبان المسترشدين به بناءً روحياً مؤسساً على الصخر ، وبخاصة لأنه كان أبو اعترافهم جميعاً ومبدأ تركيز الاعتراف فى أب واحد — داخل الدير — وضعه الآباء ليسود بينهم الانسجام الفكرى الروحى .

ومن التجارب العصبية التى جازها فقده البصر سنة ١٩٠٨ ، فتحملها بصبر كأيوب مقتدياً بالمعلم الاسكندرى الكبير ديديموس (٢) . وليس ذلك فحسب ، بل إنه كان دائماً على استعداد لمغادرة هذا العالم ، مردداً لنفسه قول بولس الرسول الى اشتهاء أن انطلق . وأكون مع المسيح . (٣) ولهذا السبب كان ينفذ وصية رب المجد « اسهروا وصلوا » ، إذ كان لا ينام غير فترات قصيرة ويقضى الليل فى الصلوات والتسابيح وقد أنعم الله عليه بصوت عذب حنون يملأ قلوب سامعيه عزاء . وعاش ستاً وسبعين سنة فتنحى بسلام فى ١٦ أمشير سنة ١٦٣٩ (١٩٢٣ / ٢ / ٢٣) .

ويختتم كاتب سيرته بهذه الكلمات : « كفانا عزاء بعد نياحته كوننا دائماً نشخص بقلوبنا نحو ذاته المحبوبة ، فنحن — وإن كنا قد فقدناه جسدياً — إلا أننا لم نفقده روحياً ، فهو معنا بروحه وبذكراه . بركة صلواته تكن معنا آمين » . (٤)

(١) كان حبيب المصرى يقول إنه حين يستمع الى صلوات الترحيم يحس فى أعماقه بأن الكنيسة لا تتضرع من أجل الذين ماتوا بالجسد فحسب ، بل إنها تصلى بالحرقى عن الذين ضلوا ولم يتوبوا

(٢) راجع ما جاء عنه فى حـ ١ من هذا الكتاب بعنوان « الأعمى البصير » ص ٢٥٠ — ٢٥٦

(٣) فيلبى ١ : ٢٣

(٤) كتاب « بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة أنبا ابرآم المتنيح القمص ميخائيل البحرى كوكب برية جبل قسقام »

للقمص عبد المسيح واصف المحرقى (أنبا لوكاس مطران منفلوط وأبنوب فيما بعد) — مطبعة رعمسيس بالفجالة سنة ١٩٢٥ .

وبعد أن سطع على قلوبنا النور الالهى المنعكس علينا من هذه السيرة العطرة ، نرى لزماً علينا أن ننزل من على الجبل المضيء لنعود الى العالم ونعيش وسط تياراته وصراعاته .

« ... الذى يسير دائماً فى طريق الحق ، لا يستاء مطلقاً من كلمة الحق : أن تقال أو أن تكتب . بل يشجعها ... »
الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية
(البابا شنوده الآن)

عن مجلة الكرازة ، العديدين الثانى والثالث للسنة الأولى ،
يناير وفبراير سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٨

مقدمة - حينما جلست لأكتب هذه المقدمة رنت داخلى كلمة السيد المسيح : « من له أذنان للسمع فليسمع » ، فلم أجد بداً من تسجيلها لأنها رنت فوراً وتلقائياً . ولقد وجدتها إشارة عجيبة الى ما سيدور الحديث عنه فى هذه الفترة المزمع تسجيلها . وهى الفترة التى أعقبت نياحة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس . وتطبيقاً لوصية الفادى الحبيب يجدر التمعن فى أحداث هذه الفترة بتدقيق لأنها غريبة تماماً على كنيستنا العريقة . وعلى الرغم من تناقضها الدخيل يبدو أن العبرة الناتجة عنها لم تؤثر التأثير المطلوب . وبما أن الأثر البادى باهت فليس من شك فى أنه يرجع الى جهل الغالبية من القبط والى صمت الأقلية العارفة بالأحداث السابقة على عهد البابا الجليل الأنبا كيرلس السادس . ولهذا السبب أهيب بجميع قرائى الكرام أن يستهدفوا التمعن من قراءة هذه الفترة تمعناً خاصاً . لأنه يجب علينا أن ندرك جميعاً أن كل ما يحدث إن هو الا نتيجة للعوامل السابقة عليه . وفوق هذا علينا أن ندرك أن مجاملة الأشخاص على حساب الكنيسة وتقاليدها خطر على الأجيال المقبلة ... والخالق المبدع بنى خليقته على نظام غاية فى الدقة فجعل النتائج مبنية دوماً على الأسباب ، ألم يقل لنا له المجد « لا يجتنون من الشوك عنبا ولا من الحسك تينا ؟ » ولو أن الانسان تفتن فى هذا الواقع المذهل وحاول أن يتفهم الأمور من غير العنصر الشخصى والانفعالات الفردية لحاول دوماً أن يعتبر بالماضى اعتباراً فعلياً تطبيقياً . فمثلاً يتشدد القبط دوماً بأنهم أولاد الشهداء - فهل دفعهم هذا التشدد الى دراسة سير الشهداء دراسة عميقة فى إمعان وتبصر ؟ وهل الذين درسوها فعلاً حاولوا أن يسيروا وفقاً لهذه النماذج المثلى التى درسوها ؟

والتساؤل عن دراسة سير الشهداء انما يستهدف التوصل الى سؤال يليه مباشرة فى الأهمية هو الى أى مدى تمعنا فى تاريخنا ككل ؟ أو بعبارة أخرى الى أى مدى حاولنا أن نتفهم حياة من سبقونا من العلمانيين الى جانب دراسة حياة الآباء ؟ وهذه التساؤلات كلها توصلنا الى سؤال يشملها جميعاً وهو: إلى أى مدى يعرف أولاد مصر تاريخ مصر ؟ والتاريخ المقصود هنا ليس تاريخ الفراعنة ، ولا هو تاريخ الملوك والحكام الذين تعاقبوا على السلطة فى مصر مذاك ، ولكنه تاريخ شعب مصر .

وشعب مصر يجب أن يكون الهدف الأساسى فى دراستنا لتاريخنا القومى خصوصاً فى القرن الأخير لعنف التطورات التى حدثت فيه . وبما أن كل ما يحدث له سبب - فما هى الأسباب التى أدت الى هذا العنف فى تاريخنا الحديث ؟ وهل يمكننا - إذا ما تمعنا - أن نتجنب ما حدث من أخطاء ؟ وما دام المسيح له المجد قد نبهنا الى أن « من له أذنان للسمع فليسمع » فهو يعرفنا بهذا التنبيه أنه فى الإمكان أن نعتبر بأحداث الماضى ، فنسير على ضوء هذا الاعتبار فى طريق أسمى معتمدين على نعمته وبركته ...

واستكمالاً للتمعن فى الأحداث المزمع سردها نورد هنا اقتباساً يلقى ضوءاً قوياً على مجريات الحوادث ، وهو : « وأطرف ما قابلنى فى دراسة هذا الموضوع - موضوع قوة التماسك فى المجتمع المصرى - أن عاماً جد عادى بين أعوام التاريخ المصرى الحديث وسنيه بدت له أهمية خاصة لم تكن متوقعة ، هو عام ١٩٢٨ . عام قد يمر به القارىء للتاريخ ، أو الباحث نفسه ، من غير أن يوقفه فيه أمر ذو خطر . فهو ليس عام حدث أو أحداث جلية ، ليس عام ثورة ولا حرب ولا انتفاضات ولا معاهدة ولا تسوية سياسية أو اقتصادية ذات شأن . وهو لا يصلح بداية ولا نهاية لمرحلة تاريخية ما ، فى أى من مجالات النشاط الاجتماعى والسياسى الظاهرة . ولكنه تكشف فى هذه الدراسة عن عام عجيب ، ففيه وفيما سبقه مباشرة من شهور (١) ، احتدم الصراع السياسى حول الأزهر والكنيسة ، وأثير موضوع التفرقة بين الأقباط والمسلمين فى وظائف الإدارة ، وعربدت فيه بعثات التبشير فى مصر وتركيا وغيرها ، وظهرت جمعية الشبان المسلمين وجماعة الإخوان المسلمين ... أى أننا نحن المصريين بذاتنا صرنا موضوع الصراع وأرضه وميدانه ، وامتلاك الذات هنا هو أمضى سلاح (٢) ، مهما بلغ جبوت الطامعين وعتوهم ...

« أرجو من الله السلامة والعافيه لهذا الوطن ، ولهذا الشعب الذى اعتر بكونى فرداً فيه - فرداً من ملايين سلفت وأتت ، وستجىء إن شاء الله حاملة لواء التحرر والنهضة والحضارة » (٣) ...

تمهيد - « وفى أعماقكم أيها القبط ، لا فى المقابر ، يرقد آباؤكم الأجداد الذين تفاعروا بهم » (٤)

(١) كانت هذه هى الفترة التى تلت نياحة قداسة البابا كيرلس الخامس ، ويقول طارق البشرى عنها فى كتابه « المسلمون والأقباط على ص ٤١١ مايلى : » وقد فجرت وفاة كيرلس الخامس بين الأقباط طاقة من السخط ... حتى لبيدوا النظرة الخارجية أن انقساماً خطيراً يهدد كنيستهم . شب الخلاف فى أيام معدودات حتى صعب التنبؤ بما كان سيكون لو استمر ، لو لم تأت وفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس لتكسر من حدته ولترده الى حجمه المناسب فى نطاق الخلافات والمشاكل الأخرى ، ولتنقل اهتمام المصريين جميعاً الى هذا الشعور بالحزن المرير لوفاة زعيم ثورتهم ، والى التربص لما عساه أن تأتى به الأيام . فكانت وفاة سعد كما كانت حياته من عوامل التجميع .

(٢) هنا يرن فى آذاننا قول رب المجد بصبركم اقتنوا أنفسكم - لوقا ٢١ : ١٩

(٣) طارق البشرى : المرجع السابق - المقدمة ص ٣ و ٥ - ٦

(٤) عن أحد الآباء المعاصرين

حينما انتقل البابا الوقور كيرلس الخامس الى مساكن النور، كانت مصر لا تزال فى صراعها مع انجلترا من أجل استقلالها التام . صحيح أنها كانت قد نالت الحق فى أن تكون دولة ذات سيادة قومية يحكمها ملك كما أصبح لها برلمان ، (١) ولكن الجنود الانجليز كانوا مازالوا مرابطين على أراضيها المتاخمة لقناة السويس وللبحر الأحمر بحجة أن عليهم تأمين مواصلات امبراطوريتهم . فكان هذا الصراع السياسى من أقوى العوامل المشتعلة فى أعماق المصريين .

ووسط هذا الجو المشحون بالانفعالات ظهرت مراحم الآب السماوى فى توافق المجمع المقدس والمجلس الملئ على اختيار الأنبا يونس مطران البحيرة قائمقاما بطريركيا . وقد ارتكز هذا الإجماع على ما امتاز به هذا المطران من وطنية صميمة وضحت فى مختلف المناسبات الثورية بصفة خاصة . ثم إنه كان أكبر المطارنة سنا كما كان سكرتيراً للمجمع المقدس .

ومما يجب ذكره بالشكر للآب السماوى أيضا أن المسئولين من القبط آنذاك اتخذوا كل الخطوات اللازمة للوصول الى هدفهم وهو انتخاب من يجلس على السدة الباباوية . فبعد أن اختاروا القائمقام البطريركى بدأوا يبحثون عن الراهب الذى يتوسمون فيه المزايا اللازمة لهذه الكرامة العظمى . ومن عجب أنه وسط هذا التناغم الحلورنت نعمة من النشاز : نعمة توجع القلب ، وهى أن شيئا من الأفكار الغربية التى كانت بعيدة كل البعد عن كنيستنا أخذ يتسرب داخل العقول . ذلك أن القبط على مدى عصورهم المتتابعة كانوا - إذا ما وقفوا موقف الساعى الى راعيه الأول - يذهبون الى الأديرة و يلتقون بشيوخها و يستعينون بهم فىمن يصلح للخلافة المرقسية . وكانوا خلال بحثهم يداومون على الصلاة . أما فى هذه الفترة فقد تراكوا الصراع السياسى يدب داخل تفكيرهم حتى فى هذا الموضوع الكنسى الحيوى الخطير !

ولقد وضح لنا من سيرة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس أن المصريين عامة انقسموا الى قسمين كبيرين : قسم ملتهب الوطنية مستعد للتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل كرامة مصر واستقلالها ، وقسم منحاز للانجليز زعما منه أنهم يعاونوننا نحو التقدم العلمى ! وكانت القوى المثيرة لهذين الموقفين مازالت سائدة ، و بقوة تأثيرها تقدم المسئولون بترشيحاتهم .

على أن الله لا يدع نفسه بلا شاهد وسط كل الانفعالات والتقلبات الانسانية فتقدم المخلصون للكنيسة إخلاصا صافيا بعيداً عن كل مؤثر سياسى بترشيح الراهب حنانيا الأنطونى (٢) والأرشيدياكون حبيب جرجس . أما التياران السياسيان فقد تقدم التيار الوطنى بترشيح الأنبا يونس ، بينما تقدم التيار المعارض بترشيح القمص يوحنا سلامة المحرقى وكيل مطرانية الخرطوم . ومع امتاز به كل من الشخصين من المميزات إلا أن كلاً منهما كان لا حق له

(١) البرلمان كان الهيئة النيابية وكان يتألف من مجلسى النواب والشيوخ - أو الشعب والشورى فى وقتنا الحاضر .

(٢) أصبح فيما بعد الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية ، وكان نعمة عظمى منحها الله لهذا الشعب .

فى أن يقبل الترشيح من البداية . فالقمص يوحنا سلامة كان قد تزوج فى شبابه ، وعاش مع زوجته بضع شهور اختارها الله بعدها الى جواره . وعلى أثر انتقالها الى الدار الباقية قصد الى الدير المحرق حيث قضى عدة سنوات اختير بعدها ليكون وكيلا لمطرانية الخرطوم . وبما أنه من الشروط الأصيلة فيمن يختار للباباوية أن يكون متبتلا لم يسبق له زواج ، فإن هذا الشرط كان يجب أن يجعل القمص يوحنا يعتذر لمرشحيه حين رآهم اندفعوا بانفعالاتهم الى ترشيحه . ولئن أمكن عذرهم بجهلهم إلا أن هذا العذر لا ينطبق عليه . فهو كان من الآباء المتعمقين فى العلوم الكنسية ، وقد وضع كتاباً فى جزئين بعنوان : « اللائىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (١) » فلما رأى المعارضون ليوحنا سلامة أنه قبل الترشيح وجهوا اليه - فى حملاتهم الدعائية - تهمة التودد الى الانجليز . ولا ندرى إن كانوا عرفوا عنه زواجه السابق أم لا (٢) ، إنما الذى نعرفه هو أنهم روجوا ضده هذه الدعاية التى كانت ذا خطر جسيم آنذاك . وبالطبع وصلت شائعاتهم الى مسامع الملك فؤاد حاكم مصر . وكان شخصاً لا يرضى بصورة الحكم بل يمارسه فعلاً . فاستدعى توفيق دوس باشا وزير المواصلاست واستوضحه حقيقة ما سمع . أجابه الوزير : « أنتم تعرفون يا مولانا أن الدعايات لا تعرف التعفف . وتعرفون كذلك من قراءاتكم الكثيرة أن باباوات القبط أوفياء لوطنهم ولحكومتهم على مدى الأجيال . « قال الملك » . نحن الآن فى موقف شديد التوتر مع الانجليز فلا داعى لانتخابات قد تأتى بشخص يقال عنه إنه مشايخ للانجليز . وأنا أعرف الأنبا يونس شخصياً وأقدره . وهمنى أن يكون هو على رأس الكنيسة فى الوقت الحاضر واعترض توفيق دوس قائلاً : « إن القانون الكنسى القبطى لا يجيز للمطران أن يعتلى الكرسى الباباوى . » ولكن الملك خطط مع الوزير التحايل على القانون وذلك بأن حصر الناخبين فى ثلاث فئات فقط هى : الوزراء السابقين والحاليين ، أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب السابقين والحاليين ، أعضاء المجلس الملى العام دون المجالس الفرعية بالإضافة الى أعضاء المجمع المقدس وبعض العلمانيين تخيرهم الملك بنفسه أيضاً . وعند إحصاء هؤلاء الرجال بلغ عددهم ستة وتسعين فقط وحينذاك أمر الملك وزيره بأن يبلغهم رغبته فى أن يفوز الأنبا يونس بالسدة المرقسية .

ومما يزيد القلب وجعاً على وجع أن هذه الرغبة الملكية ترد صداهها فى أعماق أولئك الذين كان يجب أن يكونوا أول المعارضين لها : فهم رعاة الكنيسة المطالبون من الله بتوجيه الشعب الى طريق الصواب ، وهم الحفظة على تاريخها وطقوسها وتقاليدها . ولكن مجموعة من الآباء المطارنة نسوا أو تناسوا هذا كله وعادوا الى ذلك الموقف الذى وقفه تلاميذ رب المجد حين تحاجوا مع بعضهم البعض فيمن هو الأعظم فيهم ، إنهم نسوا أو تناسوا الإجابة القاطعة التى رد بها عليهم

(١) طبع بمطبعة عين شمس بالقاهرة وقد قررت وزارة المعارف (التربية والتعليم) تدريسه بمدارسها العالية وقد وردت على صفحته الأولى ، وتحت عنوانه مباشرة هذه الكلمات : « طبع فى عهد وياذن قداسة البابا المعظم أبينا كيرلس الخامس » . ومما يؤسف له أن الناشر لم يذكر السنة التى صدر فيها .

(٢) طارق البشرى : « المسلمون والأقباط » ص ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ حيث يتحدث بالتفصيل عن الوقائع الأثيمة التى حدثت آنذاك .

سيدهم ومعلمهم حين أعلن بصراحته الحاسمة : « من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن للجميع عبداً » . ولعلمه - تبارك اسمه - بالضعف البشري عاد فكرر هذه الوصية المذهلة حين غسل أرجل تلاميذه ليلة العشاء السرى إذ لم يكتف بالدرس العملى بل أكد بعد إتمامه بقوله : « إن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض » . (١) وحينما نسى الرعاة أو تناسوا عقدوا مجمعاً إكليريكية برياسة الأنبا يونس القائمقام البطريركى وحضور أحد عشر مطرانا هم : مكارىوس مطران أسيوط ، لوكاس مطران قنا وقوص ، سرابامون مطران النوبة والسودان ، ثيوفيلس أسقف منفلوط وأبنوب ، يوساب مطران جرجا ، أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ، ميخائيل أسقف أبوتيج طهطا ، باسيلوس مطران القدس الشريف والشرقية ، بطرس مطران الدقهلية والغربية ومركز دمياط ، ايساك مطران الفيوم ، متاووس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا . وقد اجتمع معهم أيضا القمص سرابامون رئيس دير البرموس ، القمص مكسيموس رئيس دير السيدة العذراء (السريان) ، القمص يوحنا رئيس دير الأنبا بيشوى . وكان اجتماعهم بالدار الباباوية الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس المبارك الموافق ١٢ أبيب سنة ١٦٤٤ ش (١٨ يوليو سنة ١٩٢٨ م) . وبعد الصلاة والتداول قرروا ما يأتى :-

١- جاء بالمجموع الصفوى نقلا عن مجمع نيقية ص ٤٧ من الطبعة الثانية فى باب

الأساقفة :

« فإن عرضت للأسقف علة تطرده عن بلده حتى لا يجد بدأ من التحول عنها ، فهو حينئذ معذور وليوجه الى بلدة أخرى إذا علم منه عفة وحسن سياسة ودين ، ولا يعير لذلك ، وإن استحق لينقل الى ما هو أرفع لأنه ليس بهواه تحول عن موضعه » .

٢- إنه سبق أن كان الأنبا بطرس الجاولى التاسع بعد المئة فى عداد البطاركة معيننا مطرانا على الحبشة ، ولما خلا كرسى البطريركية وقع عليه الاختيار ورقى للرتبة البطريركية .

٣- إنه سبق أن رسم الأنبا كيرلس الرابع العاشر بعد المئة مطرانا على القاهرة ونائبا بطريركيا ، وبعد رسامته مطرانا بسنة وشهرين رقى بطريركا .

٤- إن جميع الكنائس الطقسية تحتم انتخاب البطريرك من بين الأساقفة .

وقبل الاسترسال فى تتبع الأحداث التاريخية لنقف قليلا أمام هذين المثلى اللذين قدمها هذا المجمع الاكليريكى ، فيقول كاتب سيرة الأنبا بطرس الجاولى إن الأنبا مرقس الثامن استقدمه من الدير ليرسمه مطرانا على الحبشة فتأجلت الرسامة . ومن ثم اتخذ البابا سكرتيراً

(١) متى ٢٠ : ٢٥ - ٢٦ ، مرقس ١٠ : ٤٣ - ٤٤ ، لوقا ٩ : ٤٦ - ٤٨ ، يوحنا ١٣ : ٣ - ١٧ - وفادينا يطلب منا تنفيذ روح التفانى والتواضع كل يوم ، يطلب من جميع المؤمنين باسمه (لا من الكهنة فقط) أن يتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعهم فى حينه (١ بطرس ٥ : ٦) طول حياتهم .

ومستشاراً له ورسمه أسقفاً عاماً ليعاونه فى عمله الراعى . أما الأنبا كيرلس الرابع فتزكيتته تثبت أنه كان قصاً فقط ، وهى تحمل توقعات المطارنة والأساقفة الذين زكوه . والذى حدث هو أن الدجالين أوهموا الوالى — عباس باشا — بأنه لورسم القمص داود بطريركاً لكان ذلك نذيراً بموته سريعاً . فتحايل القبط على واليهم بأن طلبوا رسامته مطراناً عاماً على الكرازة المرقسية وهذه الوسيلة نجحوا فى اقامته رئيساً عليهم — لأن « المطران العام » ما هو إلا البطريرك وإن اختلفت التسمية . وقد رسمه الأساقفة باسم « كيرلس » فأصبح الرابع الذى يحمل هذا الاسم والبابا العاشر بعد المئة .

ومرة أخرى نتوقف عن متابعة الركب لنتمعن فى مبدأ رسولى : هو عدم انتقال الأسقف من إيبارشية إلى غيرها وعدم جمعه بين إيبارشيتين ، وعدم ترشيح الأساقفة للباباوية بل اقتصار هذا الترشيح على الرهبان . وأن للمطران العام الحق فى الترشيح للكرسى الباباوى أسوة بأبى الأصلاح . ولكن المؤرخين القبط أجمعوا على أنه لم يرسم مطراناً عاماً إلا تهديئة لعباس باشا وأنه كان قصاً فقط أيام تزكيتته فهو أقيم مطراناً عاماً على الكرسى عينه الذى تقلد رياسته .

« وهذه تزكية أبينا القمص داود المنتخب أن يصير بطريركاً على خلافة مارمرقس الرسول بمدينة الاسكندرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية .

« بسم الله الواحد الآب والإبن والروح القدس الثالث المقدس المساوى الغير مفترق بلاهوت واحد . هذا هو الالهنا نحن معشر المسيحيين الأرثوذكسين . نتوكل عليه إلى النفس الأخير . ونرسل له إلى فوق التمجيد فى الأعالي كل امتلاً ببيعة الله الجامعة الرسولية . وكل الأرثوذكسين المجتمعين . من الأساقفة الفضلا والقمامصة والقسوس معاً . والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح . الذى بكورة مصر . عندما لحقنا اليتيم ووجع القلب . عندما أكمل سيرته أبينا الطوبانى رئيس الأساقفة الفاضل أنبا بطرس . وتنيح هذا المتمسك بالفضائل . الذى نال جميع المواعيد المقدسة . صاحب الذكر الحسن ... ومضى إلى الله الذى أحبه . وسمع من الله ذلك الصوت المملو فرحاً . القايل نعماً أيها العبد الصالح الأمين . ادخل إلى فرح سيدك . ولما تيتمنا من أبوته . وصارت كنايس الله المقدسة أرامل . هذا الذى كان يرعاهم بتعاليمه . وهذا صرنا فى جهد واهتمام عظيم كلنا . وسألنا الله أن يظهر لنا من هو مستحق لهذه الرياسة الكهنوتية العظيمة . ليرعانا فى طريق الرب و يرشدنا إلى مينا البيعة المقدسة . وإن كنا عارفين بمحبة الأبوية التى للمدينة المحبة للمسيح الاسكندرية . وكل كورة مصر . وطيب قلبهم . وليس يريدو أن يصيرو أيتاماً . إلى زمان بعيد . فلهذا اجتهدنا أن نكمل عمل الله . وطلبنا إلى الثالث المقدس بقلب نقى وأمانة مستقيمة لكى يكشف لنا من هو مستوجب هذه الوساطة . لنقدمه على هذه الدرجة التى لرتبة رياسة الكهنوت . فيمنحة علوية وفعل الروح القدس . واتفاق منا كلنا وطيب قلب . كشف لنا أن ننظر إلى أبينا البكر الطاهر القمص داود المدعو كيرلس الجزيل العبادة لله رئيس دير أبونا الأب البار العظيم أنطونيوس سابق أب جميع الرهبان بجبل العربية . واختارناه لنا أن يصير رئيس أساقفة على الكرسى الرسولى . الذى للقديس مرقس الإنجيلى ناظر الإله بالمدينة العظمى

الاسكندرية . وكل كورة مصر وتخومها . لأنه رجل عابد لله . مزيناً بالفهم . محب للغربا . معلماً
نقياً . ومجتهداً على صدق الإنجيل . وأقناه راساً للرعاة ورئيس أساقفة . ولقوام واعتدال كنايس
الله المقدسة . ومخلصاً لأنفسنا . لكى يرعانا بكل الرأفة والوداعة . لكى نحن أيضاً نرسل إلى فوق
التسبيح والشكر . ونرفع إلى الذى أحسن إلينا مخلصنا يسوع المسيح . إلى الأبد آمين .

ونحن الأساقفة المجتمعين . سطرنا هذه التزكية . وشهدنا فيها وكل الذين اجتمعوا معنا
محبين الله الكهنة الفضلا . ومحبين الزهد الرهبان . وكل الشعب المحب المسيح الذى للمدينة
العظمى الاسكندرية وما يليها مجدداً واکراماً للآب والإبن والروح القدس . الآن وكل آوان وإلى
دهر الدهرين آمين .

« تحريراً فى يوم الأحد الثامن والعشرون من شهر بشنس سنة ١٥٧٠ موافق ٤ حيزران

سنة ١٨٥٤ الموافق إلى الأحد السادس من الخمسين » .

أنا مكار يوس	أنا ابرآم	أنا ابرآم	أنا ابرآم
أسقف كرسى أسيوط	أسقف كرسى أورشليم	أسقف كرسى منفلوط	أسقف كرسى أسنا
ارتضيت بهذه التزكية	وما يتبعها ارتضيت	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت	بهذه التزكية كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت
(ختم)	(ختم)	(ختم)	(ختم)
أنا أبرآم	أنا يا كوبوس	أنا أثناسوس	أنا ميخائيل
أسقف كرسى قوص وقنا	أسقف المنيا والأشمونين	أسقف كرسى منفلوط	أسقف كرسى أسنا
ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت
(ختم)	(ختم)	(ختم)	(ختم)
أنا يوساب	أنا أثناسيوس	أنا أسحق	أنا أسقف البهنسا والفيوم
أسقف جرجا واخيم	أسقف أبوتيج	أسقف البهنسا والفيوم	أسقف البهنسا والفيوم
ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت
(ختم)	(ختم)	(ختم)	(ختم)
أنا القمص جرجس	أنا القمص يوحنا	أنا القمص عبد القدوس	أنا القمص ميخائيل
رئيس دير الست دميانة	رئيس دير العدرى	رئيس دير العدرى	رئيس دير العدرى
برارى الزعفران	بالبراموس بشيهات	بالسريان ارتضيت بهذه	بالسريان ارتضيت بهذه
ارتضيت التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	التزكية كما كتبت	التزكية كما كتبت
كما كتبت (ختم)	كما كتبت (ختم)	(ختم)	(ختم)
أنا القمص جرجس	أنا القمص جرجس	أنا القمص جرجس	أنا القمص ميخائيل
وكيل كرسى صنبو	وكيل كرسى صنبو	من كهنة دير أبو مقار	خادم ورئيس دير أبو مقار
ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية	ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت	كما كتبت
(ختم) (١)	(ختم)	(ختم)	(ختم)

وهكذا نرى من توقعات عشرة أساقفة وأربعة رؤساء أديرة وقص وخورى بسقوبس أن كيرلس الرابع وقت تركيبته للكرسى كان القمص داود الراهب بدير الأنبا أنطونى . وجهاده فى ميادين العلم ورفع شأن الكهنوت والنهوض بالمرأة والوساطة بين حكام مصر والحبشة دليل حاسم على أن الراهب البسيط يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المسئولية الباباوية مادام مستنداً إلى الروح القدس ممتلئاً حباً لشعبه . وقد أثبت تاريخ كنيستنا الطويل أنه ليس فريداً فى جهاده ، وأن الكنيسة طالما أضفت عليهم ألقاباً تعبرها عن عرفانها لمجهودهم . فليس الوعى الحقيقى للواجب نتيجة لحياته فى العالم ولاختباراته كأسقف أو كمطران بل هو مستمد من مصدر النعمة الذى جعل من صيادى السمك رجالاً « فتنوا المسكونة » (١) .

وهنا سؤال يحتمه الولاء للأنبا ديسقورس (البابا الاسكندرى الـ ٢٥) وهو: لماذا لم يساير هذا البابا المقدم الامبراطورة بولشريا والامبراطور مرقيانوس كما فعلت كنائس طقسية أخرى ؟ ولماذا أصرت كنيستنا مراراً وتكراراً على الاحتفاظ بتقاليدها وطقوسها على الرغم من مسايرة بعض الكنائس الطقسية لرغبات خاصة أو عامة ؟ الإجابة سهلة هى أن الكنيسة القبطية التى سارت على منهج الرسل كانت تعرف تماماً أن هناك كنائس طقسية لم تجد فقط عن القانون الرسولى المؤكد على عدم نقل الأساقفة وعلى عدم « ترقيتهم » ، بل لقد حادت عن تعاليم أساسية ذات أهمية خاصة كالتغيير فى قانون الايمان وفى كيفية ممارسة الأسرار المقدسة السبعة وغيرها فهل يرضى أبائنا بمثل هذا التحول أسوة بالكنائس الطقسية ؟ وإن قبلوا اليوم التحول فيما يتعلق بنقل الأسقف — أفلا يمكن ان يكون ذلك بداية لتحولات أخرى ؟

وليسمح لى آبائى الأجلء بأن أقول إن كلمة « ترقية » هى أيضا تعبير دخيل على كنيستنا

والآن لنعد الى انسياب التاريخ فنقول : هذا كان قرار المجمع الاكليريكى فماذا فعل المجلس الملى ؟ لقد أدرك أعضاؤه أن الملك يهجم الإسراع فى انتخاب البطريرك استعجالاً لرسامة مطران لاثيوبيا ، وكذلك لملء الكراسى الأسقفية الشاغرة بانتقال رعاتها الى الدار الباقية . لهذا يرى المجلس إرجاء التصديق على نظام ترشيح وانتخاب البطريرك فى هذه الدفعة فقط ، ورجا

(١) راجع حـ ١ من هذا الكتاب ص ١٧١ ف ١٥٥ وص ٣٣٢ — ٣٣٣ ف ٤٢٤ ، حـ ٢ ص ٣٧٥ — ٧٣٦ ف ٤٨٠ — ٤٨١ وص ٣٩٩ ف ٥٠٥ ، حـ ٤ ص ٣٤٧ — ٣٤٩ بعنوان « تعليق على سيرة البابا كيرلس الرابع — البطريرك الـ ١١٠ — « ماذا كانت وظيفة المطران العام » ، وهذا التعليق لأحد رهبان دير السيدة العذراء المعروف بالسريان — نشره فى كتاب سلسة تاريخ الباباوات — بطاركة الكرسى الاسكندرى حـ ٥ ص ١٩٧ — ٢٢٠ لكامل صالح نخلة ، مطبوع بمطبعة دير السريان سنة ١٩٥٤ .

من الحكومة بما له من الثقة فيها أن يراعى فى الناخبين وفى المرشحين للكرسى البطريركى ما يقتضيه قانون الكنيسة وتقاليدها وما يتفق ورغبات الشعب .

فرأت الحكومة بعد أن وكل إليها الأمر أن يكون انتخاب البطريرك على النظام الذى تضمنه الأمر الملكى رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ ، وهذا نصه : « نحن فؤاد الأول ملك مصر : بعد الاطلاع على أوامرنا الصادرة فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، و ١٨ يونيو و ١٦ أغسطس و ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٨ بتعيين نائب لبطريرك الأقباط الأرثوذكس لمدد مختلفة ، ونظراً لوجوب الإسراع فى انتخاب البطريرك دون انتظار إقرار النظام الذى أشارت إليه الأوامر المتقدم ذكرها خاصة بترشيح وانتخاب البطريرك كلما خلا كرسى البطريركية ، وبناءً على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، أمرنا بما هوآت :

مادة ١ - تقوم بانتخاب البطريرك جمعية مؤلفة من :

أولاً - جميع المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة ،

ثانياً - أعضاء ونواب المجلس الملى العام ،

ثالثاً - أعضاء الطائفة (١) الآتية أسماؤهم (وقد بلغ عددهم ثمانية وأربعين

شخصاً) .

مادة ٢ - يحدد لانتخاب البطريرك يوم الجمعة ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ابتداءً من الساعة

التاسعة صباحاً فى دار البطريركية .

مادة ٣ - يرأس الجمعية المذكورة النائب عن البطريرك ، وإلا فأقدم المطارنة

الحاضرين . ويساعد رئيس الجمعية فى عملية الانتخاب لجنة مكونة من أربعة من الناخبين :

إثنان يختارهما رجال الدين من أعضاء الجمعية وإثنان يختارهما الأعضاء الآخرون وقت افتتاح

الجلسة . وتحرر هذه اللجنة محضراً بما يحصل .

مادة ٤ - يكون الانتخاب بطريق الاقتراع السرى ، ولا يجوز للناخب أن يعطى صوته

لأكثر من واحد .

(١) هنا أيضاً تعبير دخيل لأن الأقباط - حتى فى العصر التركى - لم يشاروا الى نفوسهم إلا بكلمة « الكنيسة القبطية » أو

« الشعب القبطى » فلم يعتبروا أنهم طائفة إطلاقاً لأن فى مثل هذا التعبير تفرقة واضحة .

مادة ٥ - لا يكون انعقاد الجمعية صحيحاً إلا إذا حضرها أكثر من نصف الناخبين ،
فإذا لم يتوافر هذا العدد يؤجل الانتخاب ليوم الاثنين ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ و يكون الاجتماع
صحيحاً أياً كان عدد الحاضرين .

مادة ٦ - يعتبر منتخباً قانونياً من ينال الأغلبية المطلقة للأصوات المعطاة . فإذا لم يحز
أحد الأغلبية المطلقة المذكورة يعاد الانتخاب بعد أسبوع بنفس الطريقة المبينة في المادتين الثالثة
والرابعة . وعند تساوى الأصوات بين اثنين أو أكثر تعمل القرعة بينهم .

وبعد فرز الأصوات بمعرفة اللجنة المبينة في المادة الثالثة من أمرنا هذا يعلن رئيس
الجمعية للناخبين الحاضرين نتيجة الانتخاب و يثبتها فى المحضر .

مادة ٧ - عند نهاية الانتخاب تبلغ نتيجته مصحوبة بصورة من محضر الانتخاب مصدق
عليها بأنها طبق الأصل الى الحكومة لاستصدار أمر ملكى بتعيين البطريرك .

مادة ٨ - على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا و يعمل به من تاريخ نشره
بالجريدة الرسمية .

صدر بسرأى المنتزه فى ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٧ (أول ديسمبر سنة ١٩٢٨)

فؤاد

ملك مصر

١ - وهنا يتحتم علينا أن نقف لنمحص هذه الاتجاهات الدخيلة لعلنا بذلك نعرف
أسبابها فنعتبر بما حدث ونتحاشاه فى المستقبل وأول سبب يبدو لنا هو أن الانفعالات العنيفة
والأغراض الخاصة كانت لها أبعاد الأثر فيما جرى من أحداث . وقد تدعمت الانفعالات
والأغراض بالبريق الذى يشع من السدة المرقسية ، فهذا البريق بهر العيون الى حد جعلها
تتغاضى عما وراءه من المسؤولية العظمى الملقاة على من يتبوا هذه السدة والتي تتضح صراحة من
البداية فى الشعائر الكنسية . فإن الأساقفة يكملون هذه الشعائر بالدخول به الى الهيكل ليسلموا
للبابا الصليب وعصا الرعاية من فوق المذبح وعند استلامها يقول له كبير المطارنة : « تسلم عصا

الرعاية من يد راعي الرعاة الأعظم يسوع المسيح ابن الله الحي الدائم الى الأبد (١) ، لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحيية . فقد أئتمنك على نفوس رعيته ومن يدريك يطلب دمها» (٢)

ولكن ما الذى استثار هذه الانفعالات وهذه الأغراض فى هذه الفترة بتلك القوة التى جعلت المسئولين أنفسهم يجحدون عن تعاليم كنيستهم مع علمهم بها ؟ ولكى نستطيع أن نجيب الإجابة الصحيحة الصريحة - وهذه ضرورة موضوعة علينا - يجدر بنا أن نرجع الى ما سنه الرسل من قوانين وسارت عليه المجامع المسكونية ، ثم حرصت عليه كنيستنا القبطية فى كل المناسبات .

وإذا ما تأملنا أعمال الرسل نجد أنهم حين أرادوا أن يختاروا من يحل محل يهوذا الاسخريوطى لم يختاروا واحداً من السبعين تلميذاً بل اختاروا واحداً من « الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج » (٣) ، وهذا المبدأ انضم متياس الى الاثنى عشر . ثم حين سن الرسل قوانينهم ، سجلوا فى قانونهم الرابع عشر مايلى : « لا يجوز للأسقف أن يغادر جهة إقامته الى جهة أخرى ولو اضطره الكثيرون الى ذلك ... » (٤) ولقد سن الرسل هذا القانون استناداً الى أن الأسقفية كرامة فى حد ذاتها موهوبة من الله جل اسمه ، ولا تترك كرامتها على الأهمية المدنية للكرسى الأسقفى . فأسقف أصغر إيبارشية متساو فى الكرامة مع أسقف العاصمة . ومن أسمى الأدلة على الوعى بهذه المساواة أن الشعائر الكنسية التى تقال لرسامة الأسقف واحدة بغض النظر عن مكانة أسقفية ، بل إنها هى بعينها التى تقال لرسامة البابا بوصفه أسقفاً للعاصمة . وإثباتاً لهذا الوعى الروحى العميق اعتبر الآباء الرسوليون البابا كبير إخوته الأساقفة ، أى أنه أخ بينهم وليس أباً . لهذا فهو يخاطبهم بقوله « أخى وشريكى فى الخدمة الرسولية » . ولقد أكد مجمعا نيقية والقسطنطينية المسكونيان هذا القانون الرسولى فى قراراتهما . ومما يجدر توكيده هنا أن الذى قاد المناقشة فى هذا الشأن وأقنع الآباء المجتمعين معه كان البابا الاسكندرى بالذات (٥) .

وحافظت كنيستنا القبطية بكل حرص على هذا القانون الرسولى كما حافظت على كل ما تسلمته بغاية الدقة . ومرت سبعة قرون ونصف وصلت بعدها هذه الكنيسة العريقة الى باباوية الأنبا ميخائيل الأول (البابا ال ٤٦) وجاءه رسول من الخليفة جعفر بن المنصور العباسى يطلب اليه الموافقة على تنصيب أسقف حاران بطريركا على أنطاكية . وقد اقترن هذا الطلب

(١) ولكونها رعاية مستمدة من راعي الرعاة الأعظم فليس فيها ترقية ، فالعطايا الالهية ليست مناصب عالمية حتى إن استلزم حسن السياسة فى المواقف العالمية .

(٢) راجع ما جرى بين أنبا مكارى الأول وبين أمه - ح ٢ من هذا الكتاب ف ٦٢٢ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٣) أعمال ١ : ٢١ .

(٤) تاريخ الكنيسة (بالفرنسية) للأرشمندريت جيتى ح ٢ ص ٤٠٨ ، (تاريخ المجامع) (بالفرنسية) للمنسيور هيفليه

ح ١ ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

(٥) راجع ما جاء عن هذين المجمعين فى ح ١ من هذا الكتاب ص ١٦٨ - ١٨٥ ، ٢٢٨ - ٣٣٦ .

بتهديد قداسة البابا بالموت في حالة الرفض . فعقد هذا البابا الجسور مجمعه أعلن خلاله تلك الكلمات الرائعة : « السيف أو النار أو الرمي الى الأسد أو النفي أو السبى فما يقلقنى . ولست أدخل تحت حرمة الذى كتبتة بخطى وبدأت به بأن لا يصير أسقف بطريركا . والآباء الفضلاء حرموا من يأخذ رتبة من رتب الكهنوت بيد السلطان أو عنايته . لأن الأساقفة كانوا قد كتبوا الى من أنطاكية في زمان أنبا يوحنا البطريرك أن كل من ثبت بعده من الأساقفة على الكرسي يكون محروما ، فكُتبت هذا بخطى . فكيف يجب أن أحرم نفسى وأحلل اليوم ما حرمته بالأمس ، وما أنكرته بالأمس أرضى به اليوم . وما أنكره الآباء القديسون ... » (١) واستمرت الكنيسة فى حرصها الدقيق على الوديعة المؤتمنة عليها مدى القرون الممتدة من عهد قداسة الأنبا ميخائيل الأول الى سنة ١٩٢٨ .

ولقد بلغ حرص الآباء على المبدأ من الدقة جداً جعلهم يختارون العلمانى المتبتل (حتى لو لم يعيش فى الدير يوماً واحداً) ولا يقبلون « ترقية » أسقف الى الباباوية مهما بلغت مكانة هذا الأسقف . وقد بلغ عدد الباباوات الذين اختيروا من بين العلمانيين ستة وعشرين ، من بينهم الأنبا ابرام الذى جرت فى أيامه معجزة جبل المقطم (٢) .

ثم حدث سنة ١٨٦٥ أن ظن بعض القبط أنه فى الإمكان انتخاب مطران للسدة الباباوية . فاجتمع المجمع المقدس وأصدر قراراً بعدم جواز ترقية الأسقف الى البطريركية . وقد استند المجمع فى حيثياته الى الكتاب المقدس والى القوانين الرسولية والتاريخ الكنسى وأقوال الآباء . ثم اختتم قراراته بهذه الكلمات : « لا نسلم ولا نسمح قط للكهننة وشعب الكرازة المرقسية بحمل وتعدى الحدود الأبوية . وكل من يطلب هذه الرتبة من الأساقفة أو المطارنة أصحاب الكراسى أو سعى فيها أو رضى بها ، أو أحد سعى له فى شأن يطلبونه لها — كاهناً أو رئيس كهننة أو علمانيا يكون محروما . » (٣)

إذن فسلسلة الباباوات الممتدة من مارمرقس كاروزنا الى خليفته المئة والثانى عشر كانوا من الرهبان : سواء من جىء بهم من الدير أو من جىء بهم من الحياة المدنية .

هذا من جهة القانون والتقاليد الكنسية ، ونجد بالإضافة إليهما أن المطارنة والأراخنة هم

(١) « تاريخ البطارقة » (مخطوط) للراهب شنودة الصوامى البرموسى ح ٢ ص ٦١٧ — ٦١٩ ، الخطاب الذى ألقاه حبيب المصرى فى دارنادى الشباب الجامعى للإصلاح القبطى بشبرا فى مساء الاثنين ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ (طبع للمرة الثالثة فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤) . أما البابا ميخائيل الأول فكانت باباوية من سنة ٧٤٣ — سنة ٧٦٦ م .

(٢) هو البابا المرقسى ال ٦٢ (سنة ٩٧٦ — ٩٧٩) ، راجع سيرته فى ح ٣ من هذا الكتاب ص ٢٢ — ٣٥ .

(٣) راجع مجلة مدارس الأحد عدد أغسطس — سبتمبر سنة ١٩٥٥ — وكان عدداً خاصاً بالتشريعات القبطية — ص ٩ — ١٠ ، الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة (طبعة حديثة) ليوحنا زكريا بن السباع ، طبع بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ ش (سنة ١٩٠٢) ص ١٢٦ ، راجع سيرة أبى السباع فى ح ٣ من هذا الكتاب ص ١٤٧ .

الذين كانوا يبحثون عن ير يدونه للرياسة الكنسية العليا . ونجد أيضا أن الراهب كلما ازداد روحانية ازداد تباعداً عن الظهور وسعياً في الاختفاء . ولهذا نجد كثيراً من الأمثلة عن تقييد المرشح بالسلاسل وأخذه قسراً لرسامته .

وثمة واقع آخر هو أن المسؤولين كانوا كثيراً ما يترثون ليتناقشوا و يبحثوا معاً : فيزوروا الأديرة و يتفاهموا مع رؤسائها . ولقد ثبت من دراسة تاريخنا الطويل أن الانتخاب الذي كان يتم في تريث واتزان وفي صلوات مستمرة كانت نتيجته كسباً للشعب . وذلك على العكس من الانتخاب في تسرع واستعجال وفي اندفاع بقوة الانفعالات .

على أن القبط — في مطلع القرن العشرين — كانوا على شيء من عدم الاستقرار بسبب التيارات الغربية التي بدأت تتجاذبهم منذ الاحتلال الإنجليزي . و يبدو عدم الاستقرار واضحاً في رغبة كل من المجمع والمجلس الى التعجل في الانتخاب وفي مسيرتهم لرغبة الملك والاحتكام إليه . وهذا طبعاً مغاير تماماً لتقاليد الكنيسة وعلى امتداد تاريخها . ومن الغرابة بمكان أن يطلب المجلس الملى الى الحكومة « مراعاة ما يقتضيه قانون الكنيسة وتقاليدها ، وما يتفق مع رغبات الشعب » . ولقد سجل المجلس في طلبه هذا على نفسه أنه لم يراع قانون الكنيسة ولا تقاليدها ، ولم يلتفت إطلاقاً الى رغبات الشعب !

٢ — وقد أدت قرارات المجمع الاكليريكي والمجلس الملى العام الى صدور أمر ملكي رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ (سبقت الاشارة اليه) بتحديد شروط الانتخاب وموعده . وإذا ما أحصينا عدد الناخبين الذين حددتهم الملك نجد أنه ستة وتسعون ، لم يذهب منهم للانتخاب فعلاً غير خمسة وثمانين . والنتيجة أن حصل الأنبا يونس على سبعين صوتاً ، والقمص يوحنا سلامة على تسعة أصوات ، والقمص حنانيا الأنطوني على صوتين ، وحبيب جرجس على صوتين . ووجدت بين الأوراق واحدة تحمل اسم مطران كرسى سوهاج وواحدة بيضاء (١)

٣ — وحالما فرزت الأصوات — في آخر ذلك النهار — أبلغت النتيجة فوراً الى السراى الملكية ، ومن ثم صدر الأمر الملكي التالي :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧ ، وعلى أمرنا رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ الخاص

(١) هذا ما سجله يوسف جرجس الذي كان سكرتيراً للأنبا يونس في كتابه عن أبيه الروحي — ص ١٧ على أننى ذكرت في كتاب قصة حبيب المصرى ص ٢٠٤ أن الأنبا يونس حصل على واحد وتسعين صوتاً ، وسواء كان الواقع سبعين أو واحد وتسعين فالنتيجة هي أن المطران قد فاز بأغلبية عظمى .

ويؤسفنى أن أقول إن النسخة المحفوظة عندى من كتاب يوسف جرجس ينقصها الغلاف الحامل للعنوان لذلك لا أعرفه ، أما تاريخ الطبع فهو أبريل سنة ١٩٣٠ م . غ .

بطريقة انتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس ، وعلى محضر الانتخاب الذى أجرى فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ،

وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء — أمرنا بما هوآت :

١ — يعين الأنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية بطريركا للأقباط الأرثوذكس .

٢ — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا ،

فؤاد

٤ — ولنقف قليلا لنقارن بين التزكية التى كتبت للأنبا كيرلس الرابع (وقد وردت على ص ٧ — ٧ ب) وبين تلك التى كتبت للأنبا يؤانس الـ ١٩ التى جاء فيها : « باسم الأب والابن والروح القدس الثالوث القدوس غير المفترق الاله الواحد إلهنا نحن المسيحيين الأرثوذكسين : نتكل عليه الى النفس الأخير : ونرسل إليه فى الاعالى المجد والإكرام الى الأبد .

نحن المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح بمدينتى الاسكندرية والقاهرة وأقاليم مصر جميعا .

عندما حلت بنا جائحة اليم بانتقال طيب الذكر مثلث الرحمات الأنبا كيرلس الخامس الى الأخدار السمائية ، الذى نال جميع المواعيد المقدسة ومضى الى الله الذى أحبه فسمع منه تعالى ذاك الصوت المملوء فرحاً القائل : نعماً أيها العبد الصالح والأمين ، ادخل الى فرح سيدك : عندما تيتمنا وترملت (١) كنيسة الله المقدسة التى كان يرعاها بتعاليمه ، تضرعنا الى العلى أن يرشدنا إلى من هو جدير برياسة الكهنوت العظمى ، ليرعانا فى طريق الرب ويهدينا ميناء الخلاص ، فبمنحة علوية وفعل الروح القدس ، اتفقنا جميعا بطيب قلب فانتخبنا المتعبد لله الأنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ، من رهبان دير البرموس رئيس أساقفة للكرسى الرسولى كرسى القديس مرقس الانجيلي كاروز الديار المصرية والحبشة والنوبة وخمس المدن الغربية ، وقد وقع اختيارنا عليه ، لأنه رجل محب للغرباء مجمل بالفهم والمعرفة ، طاهر مجد فى نشر تعاليم الانجيل ، ساهر على حفظ طقوس الكنيسة وتقاليدها وأقناه رأس رعاة و بطريركا لبيعة الله المقدسة ، لكى يرعانا بالرفقة والوداعة .

(١) إن مجرد نظرة عابرة توضح الفرق بينها فتيين لنا أن التزكية الأولى لراهب والثانية لمطران . والتشابه بينها هو فى الجزء الأول حيث يتكلمون عن « اليم » و « الترمل » وهذان التعبيران الأصيلان فى التقليد الكنسى القبطى اعتراف صريح بتحريم الانتقال من ايبأرشية الى أخرى ، وتحريم الجمع بين الأسقفية والباباوية . لأنه هل من الممكن فى المسيحية أن يترك الأب أولاده ليصير أباً لغيرهم ؟ وهل أباح السيد المسيح لزوج أن يترك زوجته أو أن يجمع بين زوجتين ؟ فإن كان الأب بالجسد ملتزماً بأولاده مدى حياته هكذا الأب الروحى . وإن كان « ما جمعه الله لا يفرقه إنسان » فى الزواج هكذا ما جمعه الله روحياً لا يفرقه إنسان .

لهذا سطرنا هذه التزكية ، ووقعنا عليها مقدمين الشكر للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس - آمين (١) .

ولقد تمت إقامة الأنبا يوثس بطريركا صباح الأحد ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ .

ويجدر أن نقول هنا بأن الخروج عن التقليد يتضمن أيضا حرمان الشعب من الشعور بتلك النشوة الروحية التي تغمره حينما ينعم عليه الآب السماوى بحضور رسامة راهباً للكرامة الباباوية . لأن هذه الشعائر ذات روعة خاصة تجعل المتمعن فيها يدرك الى أى مدى يؤازر الروح القدس الرجل الذى كان حتى تلك اللحظة راهباً مغموراً بعيداً عن العالم ، ثم حوله روح الله العلى الى الراعى الأول لشعبه . فالروح القدس الذى حل على الرسل فحوهم فى لحظة من رجال « عديمى العلم وعاميين » (أعمال ٤ : ١٣) الى كارزين « فتنوا المسكونة » (أعمال ١٧ : ٦) هو بعينه الذى يعمل من خلال الشعائر المقدسة الرهيبة فيحول الراهب الى أب للشعب كله .

٥ - ولنعد الى الورا بضع سنوات لكى نقف على نشأة هذا الأب الجليل قبل ارتقائه السدة المرقسية . فنجد أنه ولد فى بلدة ديرتاسا (محافظة أسيوط) فى ٦ يناير سنة ١٨٥٨ ، وتسمى « حنا » (٢) من البداية . ثم تعلم فى الكتاب كما جرت العادة . فلما بلغ السابعة عشرة من عمره تآقت نفسه الى الحياة الرهبانية التى تلقن أنها « حياة ملائكية » . وتلبية لنداء قلبه ذهب الى الدير المحرق لقربه من بلدته . ولكنه اضطر الى مغادرته بعد شهر قليلة لضغط أبويه عليه . على أنه لم يستطع الاستقرار تحت السقف الأبوى لأن حنينه الى الرهينة سيطر عليه الى حد جعله يقصد هذه المرة الى دير السيدة العذراء الشهير بالبرموس . ولكى يضمن عدم ممانعة أبويه له ذهب أولاً الى الأنبا كيرلس الخامس الذى كان قد تولى رعاية الكنيسة فى تلك السنة عينها . وبما أن هذا البابا الوقور كان قد قضى سنى رهبنته بدير البرموس أشار عليه بدخوله . ومن نعمة الله أن دخوله هذا الدير كان فى فترة تمتع فيها الرهبان برعاية الأب عوض البرهيمى الذى اشتهر بتواضعه وتقواه ، كما استمتعوا بتوجيهات القمص عبد المسيح المسعودى الكبير الذى نال لقب « أبو رهبان دير السيدة العذراء برموس » . ولقد كان هذا الأب الروحى عالماً بجأته ترك للكنيسة عدداً غير قليل من الكتب : بعضها من تأليفه والبعض الآخر من تنقيحه وتبويبها (٣) .

ومنذ بداية رهبنة حنا درب نفسه على الطاعة والخدمة ، وكان حاراً فى العبادة نشيطاً فى العمل . ولتواضعه وسرعة تلبية احتياجات إخوته أحبه الجميع . فما أنقضت سنتان على رهبنته

(١) برنامج حفلة تنصيب غبطة الحبر الجليل الأنبا يوثس الـ ١٩ بابا و بطريركا على الكرازة المرقسية . وغبطته الـ ١١٣ فى عدد باباوات الاسكندرية - المطبعة المرقسية بالدرب الواسع نمرة ١٥ بمصر - ص ٤ - ٥ .

(٢) يقول القمص صموئيل تاوضروس السريانى إن اسمه كان بخيت .

(٣) راجع ف ١١٢ من ح ٥ من هذا الكتاب .

حتى رسم قسا . وبلغت أخبار ورعه واجتهاده آذان البابا كيرلس الخامس فامتلاً قلبه فرحاً ، وأرسل فى طلبه واتخذه له تلميذاً . على أن الحنين الى الحياة النسكية داخل الدير عاود القس يوحنا . وأدرك البابا ذو البصيرة النافذة مدى هذا الحنين فسمح له بالعودة الى دير . وبعد خمس سنوات من التعب والعمل المتواصل رسمه الانبا كيرلس قصاً كما اقامه رئيساً على الدير فى الوقت عينه .

وقضى القمص يوحنا عشر سنوات فى رياسة الدير كان خلالها مثال الهمة والحزم وحسن التدبير والغيرة على مصالح الدير فوجه للزراعة اهتماما خاصا : وكان للدير ما يقرب من سبعة وثمانين فدانا حين تسلم رياسته أوصلها الى مائتين على مدى السنين العشر . ذلك لأنه ركب آلات بخارية لرها فتضاعف محصولها وزاد إيرادها . فكان يشتري بالفائض أطيانا إضافية .

ثم حدث أن خلا كرسى اثيوبيا فاتجهت نية الأنبا كيرلس الى رسامته عليه ، ولكنه اعتذر وقبل اعتذاره . على أنه لما خلا كرسى البحيرة تقدمت التزكيات له من شعب الإبارشية . فعارض وتمنع هذه المرة أيضا . ولكن البابا الوقور الذى وافقه على اعتذاره فى المرة الأولى لم يوافق فى هذه المرة ، ورسمه فى مارس سنة ١٨٨٧ باسم يونس ، وأضاف الى مسئولية المطرانية مسئولية الإشراف على ديرى البرموس وأنبا بيشوى ، كما جعله فى الوقت عينه وكيلا للكراسة المرقسية بالاسكندرية . كذلك عهد اليه البابا الاسكندري بافتقاد الشعب المنوفى حينما مرض مطرانه مرض الشيخوخة . فلما انتقل - على أثر مرضه - الى الأخدار السماوية زكا شعب الإبارشية الأنبا يونس ليكون مطرانهم لما وجدوه فيه من حسن الرعاية . وهكذا أصبح مطرانا للبحيرة وللمنوفية معاً بالإضافة الى استمراره فى تأدية مسئولياته الأخرى .

على أن مقره الرئيسى كان فى الاسكندرية . فبدأ بتجميل الكاتدرائية المرقسية بأن جدد أثابها وركب لها الثريات الفخمة . ثم وجه انتباهه الى الأوقاف البطريكية بالعاصمة الثانية . وكانت إيراداتها لا تزيد على ألف وستمئة جنيها مصريا سنويا حينما تسلمها ، فتركها وقد تضاعف عشرة أمثاها . وكان للكنيسة احكار دخلها مئة وخمسون جنيها سنويا بلغت عشرة أمثالها هى أيضا بالحكمة الإدارية التى أبدأها . ثم بنى للأوقاف الكنسية سبع عمارات كبرى للاستغلال ، ووهب إدارة هذه الأوقاف منزلا كان ملكا له .

وبعد أن رسخ الناحية المالية التفت الى التعليم : فأقام ثلاث مدارس اثنتين للبنين وواحدة للبنات (١) . ومع اهتمامه بالتعليم التفت بالتبعية الى الكتب ، فلم يكتف بالكتب

(١) علينا أن نذكر أن هذا كان منذ قرن تقريبا حين كانت الغالبية العظمى ترفض تعليم البنات .

المدرسية فحسب بل امتد اهتمامه الى الكتب اللازمة لإيقاظ الوعي الشعبى بشعائر الكنيسة . ومن هذه الكتب الضرورية « كتاب الطروحات والابصاليات التى تتلى فى برموني وعيدى الميلاد والغطاس المجيدى » (١) . وقد ورد على صفحته الأولى ما يلى : « طبع بأمر نيافة الأب الجليل الأنبا يوانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية الجزيل الاحترام » — عنى بتصحيحه وتنقيحه وضبطه وطبعه القمص باخوم البرموسى والشماس عريان فرج سنة ١٩٢٠ . ومما تجدر الإشارة اليه أن الشماس عريان كان مدرس اللغة القبطية بالمدارس المرقسية بالاسكندرية .

بعد ذلك شرع فى بناء كنيستين بمدينة مارمرقس : إحداهما وسط المدينة فى حى محرم بك باسم السيدة العذراء ، وثانيتها فى الرمل باسم مارمينا على أرض من أوقاف الكنيسة . وبما أنه وجد الأرض فسيحة فقد بنى الكنيسة فى وسطها ، ثم شيد على ناصيتها المطلة على شارع الحرية وشارع جانبى عمارة سكنية لصرف مرتبات الكهنة وخدام الكنيسة من ريعها . ولقد كان هذا العمل مبدأ سار عليه فى جميع الكنائس التى بناها فى كل من البلاد الى بنى فيها كنائس فى البحيرة والمنوفية . فقد بنى فيها ثلاثين كنيسة ، أوقف على كل واحدة منها ما أمكنه من الأطيان حرصاً منه على كرامة خدامها .

ثم وجد أن الكنيسة بمدينة رشيد — وهى تحمل اسم كاروزنا الحبيب — فى حاجة الى الترميم فجددها كما جدد لها المنزلين الموقوفين عليها ، واشترى لها جملة مخازن . وبهذا المسلك جعل دخل هذه الكنيسة من اوقافها يبلغ مائتين وخمسين جنيهاً مصرياً سنوياً . (٢)

ولم يكتف بالمشروعات اللازمة للشعب الذى يرعاه مباشرة ، بل ساهم قدر استطاعته فى المشروعات العامة مبرهنناً على وعيه الشامل . ولقد سبق القول عين مسانده للبابا كيرلس الخامس عند بنائه الاكليريكية ومدرستى الصنائع والتدبير المنزلى (٣) . وحين نشطت الجمعية الخيرية القبطية الكبرى لبناء المستشفى القبطى سارع الى المساهمة فى نشاطها . كذلك ساهم فى مساندة القائمين ببناء كلية البنات القبطية بالعباسية وفى غيرها من المؤسسات التعليمية التى نشرها أبائنا فى كافة أنحاء الوادى وفى معاونة منشىء المتحف القبطى .

(١) « برموني » كلمة يونانية الأصل قبطية بالاستعمال معناها « خارج المحلة » — أى الاستعداد ، وتطلق على اليوم (أو الثلاثة أيام) السابق لكل من العيدين المجيدى حين يمتنع الصائمون عن أكل السمك كما هو الحال فى الصوم الأربعينى . وبهمنى أن أشير الى أن المسئولين فى الكنيسة كانوا يهتمون اهتماماً خاصاً بالكتب الطقسية التعليمية . أما فى هذه الأيام فعظم الكتب التى تطبع وعظية ، وأحياناً مبللة للأفكار . ومن المؤلم أنه حتى نسخة الكتاب المقدس المتداولة بين أيدينا نسخة بروتستانتية ترجمها الى العربية المستشرقون الأمر يكيون ! .

(٢) يبدو هذا المبلغ ضئيلاً اليوم ولكنه كان آنذاك يساوى عشرة أضعافه على الأقل فى وقتنا الحاضر .

(٣) راجع فقرتى ٣٧ و ٥١ من سيرة البابا كيرلس الخامس ح ٥ من هذا الكتاب .

ومما يجدر ذكره أنه كان على وعى مرهف بالروحيات كما تدلنا القصة التالية : كان ذات مرة داخل الهيكل يرقب كاهنا يؤدي شعائر القداس الإلهي . وحينما بدأ الكاهن « صلاة القسمة » وأخذ يقسم الحمل الذبيح داخل الصينية رأى الأنبا يونس أنه يقسمه في تسرع وحدة ، فقال له : « على مهلك عليه ده وحيد أبيه ! » (١)

ومع تأديته كل هذه المهام الراحوية والوطنية لم ينس الدير الذي قضى فيه سنوات عديدة . وكان يعلم أن البئر المحفور داخل الدير ماؤه يميل الى الملوحة مع كونه المورد الوحيد للشرب والرى . فرأى سنة ١٩٠٢ أن يعمل على إصلاحه واستحضر خبيراً فى المياه الجوفية . وقام الخبير بجهد مشكور إذ وضع ماسورة واسعة أدخلها الى عمق أمتار تحت سطح مياه هذه البئر . وبالفعل خفت الملوحة قليلاً ولكنها لم تتلاشى نهائياً . ومرت سنوات والموضوع يشغل بال نياافة الخبر الجليل ، فعاد سنة ١٩١٤ اليه واستحضر خبيراً آخر ، فدق للرهبان طلسمبة أرتوازية فأضافت الى تخفيف الملوحة . فلما ارتقى السدة المرقسية رأى أن يعاود العمل على توصيل الماء الحلوا الى ديره . فاشترى آلة تصلح للرى والإنارة ولطحن الغلال . وأدت هذه الآلة الى النتيجة المطلوبة . فقرر تعميمها فى بقية الأديرة (٢) .

٦ - وتقديراً لكل هذه الجهود الوفيرة فى تدعيم الشعب القبطى ، ونظراً لكونه أكبر المطارنة سنا ، اختير ليكون القائمقام البطريركى بعد نياحة البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس . ولقد أثبت جدارته لهذا التقدير خلال تلك الفترة . وكانت بداية أعماله بشيراً بالخير إذ قد وجه انتباهه الأول الى الرهبان . فعقد مجعماً اكليريكيا فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨ ، وأصدر قراراً بوجوب إقامة الرهبان فى أديرتهم . وعلى ذلك تحتم أن يعود كل راهب عائش فى العالم الى ديره مالم يكن منتدباً من رئيسه للقيام بخدمة معينة تقتضى إقامته خارج الدير وقت صدور هذا القرار . وبالطبع ارتكن هذا القرار على تعليم الأنبا أنطونى أبى الرهبان نفسه إذ قال : « إن الراهب خارج الدير كالسمكة خارج المياه ! » كما أن كرامة الرهبنة والحياة بمقتضى مطالبها تحتم على الراهب أن يعيش فى الدير - فهو الذى ارتضى هجر العالم فكيف يعود اليه ؟

(١) ويجب التمعن فى هذه الملحوظة بصفة خاصة لأن بعض الكهنة يعظون أو يسمحون بالوعظ أثناء تناول . والصلاة فى القداس ، استناداً الى الكتاب المقدس ، تقول إن « الملائكة يعظون وجوههم من بهاء عظمة الله » . فالذى يغطى الملائكة وجوههم من بهاء عظمتهم لا يلتفت إليهم الناس ، بل يجلسون على مقاعدهم ليصفوا الى إنسان يعظهم ! وأجسر أن أقول إن مثل هذا التصرف يدل على عدم ترهف الوعى بأن الذى على المذبح هو بعينه الذى علق على الصليب : فالذبيحة الدموية هى بعينها الممتدة على مدى الأزمان والأماكن . لهذا يقول الكاهن الخديم حين يرش الماء الى فوق إيذانا بانتهاء الصلوات : « ياملاك هذه الصاعدة الطائرها الى العلوهذه التسبحة اذكرنا قدام الرب ليغفر لنا خطايانا » . وهذا الوعى بواقعية شخصية حاضرة فى الجسد والدم الأقدس هو الذى جعل واضعى القداس أن يصروا على التسبحة بالمزمور المئة والخمسين أثناء تناول ثم استكمالها بتسبحة مناسبة للموسم الكنسى عند الانتهاء منه إذا ما وجدوا أن المتناولين مازالوا يأخذون السيد المسيح من يد الكاهن الخديم وهو السبب بعينه الذى جعلهم يوصوننا بعدم الركوع طوال اليوم الذى تناولنا فيه ، لأن الذى نسجد له هو بأكمله فى داخلنا فعلاً

(٢) « الاديرة المصرية العامرة » لسموئيل تاوضروس السريانى - ص ١٩٢ .

والموضوع الثانى الذى نال عناية الأنبا يونس موضوع كانت له أهمية كبرى آنذاك — وهو التوكيد على عدم رسامة أى شخص للكهنوت مالم يكن من خريجي الاكليريكية . وقد ندهش الآن من هذا القرار، ولكن الذى يجب أن نذكره أن البابا كيرلس الخامس هو الذى أنشأ الإكليريكية ، فكانت حديثة العهد وكان القبط فى العصور الوسطى محرومين من مدرسة كهذه ، فجزوا على القاعدة التى كان معمولاً بها فى العهد القديم وهى أن ابن الكاهن على كنيسة محل محل أبيه متى بلغ أشده (١) . وليس من شك فى أن هذه كانت خير قاعدة فى تلك العصور . لأن ابن الكاهن ينشأ منذ نعومة أظفاره على معرفة الكنيسة وعلى الاشتراك الفعلى فى شعائرها . فلما انفتحت الاكليريكية قدمت الدراسة الكنسية لكل راغب فيها . لهذا نادى البابا كيرلس الخامس بوجوب رسامة خريجها ، فأطاعه البعض ولم يطعه البعض الآخر . لذلك رأى القائم مقام البطريركى أن يؤكد هذا النداء بدوره . وقرن توكيده هذا بأنه غير مسموح لأحد أن يعظ فى الكنائس الاخرى الاكليريكية أيضاً ، مشهود له بحسن السيرة ، وأقرت لجنة الكنيسة التابع لها بمقدرته وبأرثوذكسيته ، وصادق المطران أو الأسقف على إقرارها .

وثمة مشكلة أخرى ظلت فترة طويلة مثار النزاع بين رؤساء الأديرة من جهة ورجال المجلس الملى من الجهة الأخرى ، هذه المشكلة هى من الذى له الحق فى إدارة الأوقاف . فجمع الأنبا يونس الطرفين وتناقش وإياهما فى الموضوع فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ . ومن نعمة الله أن اتفق الجميع يومذاك وأصدروا قرارهم بذلك فتوصلوا بهدوء الى حل ارتضاه الجميع (٢) — وهو تأليف لجنة نصفها من آباء المجمع ونصفها من أعضاء المجلس يرأسها مطران تشرف على إدارة الأوقاف .

٧ — بعد هذا السجل الحافل بالأعمال الدالة على اللهب التى اشتعل بها قلب الأنبا يونس — ماذا أصابه حتى رضى بأن يخالف تاريخ كنيسته المحبوبة وتعاليمها وتقاليدها (٣) ؟ وأيضا ماذا أصاب إخوته وشركاءه فى الخدمة الرسولية فجعلهم يوافقونه على هذه المخالفة ؟ لقد

(١) هنا أيضا نرى واقعية القول الإلهى بأن واحداً يزرع وآخر يحصد — فحينما نحصد ما زرعه غيرنا علينا أن نشكر الله ونشكر الزارع لحصولنا على الحصاد ، واعترافاً له بالفضل .

(٢) للاطلاع على نشأة الأنبا يونس وأعماله كمطران للبحيرة والمنوفية وبصفته قائمقام بطريركيا راجع كتاب يوسف جرجس المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٣٠ — ص ٢ — ١٢ (وقد سبقت الإشارة الى هذا الكتاب على هامش (١) ص ٩) ، تاريخ البطارقة (مخطوط) للراهب القمص شنودة الصوامعى البرموسى (نقلا عن مخطوط بالدير) — ص ٢٠٣ — ٦٠٦ .

(٣) سألتنى إحدى الطالبات فى قسم اللاهوت بالمعهد العالى للدراسات القبطية (بالأنبا رويس) أثناء الدرس الذى استمعت اليه منى صباح الجمعة ١٣ / ١١ / ٨١ — سألتنى مستفهمة : « وهل رضى الأنبا يونس بأن يكون بطريركا ؟ » أجبتها : « لولم يكن راضيا لأعلن ذلك من البداية ولقدم بنفسه أسماء الرهبان الذين يتوسم فيهم الكفاءة لهذه المسؤولية العظمى » . وهنا يحق لنا السؤال : « لولم يكن هناك رهبان جديرين بالسدة المرقسية ، فكيف وجد من هو جدير برئاسة الكنيسة الاثيوبية ؟ ومسئولية مطران اثيوبيا لاتقل عن مسؤولية البابا الاسكندرى إن لم تزد عنها . لأن الأحباش أكثر عدداً وأقل وعياً ، كما أنهم متناثرون فى أنحاء بلادهم الجبلية المترامية . ثم كيف استطاع الأنبا يونس أن يجد العدد اللازم من الرهبان لرسامة المطارنة والأساقفة الذين ملأ بهم كل كرسى شغرومنهم كرسى القدس ؟

وقف الكثيرون من محبي هذه الكنيسة العريقة فى حيرة لما أصابهم من ذهول . ووسط غمرة هذا الذهول وجد البعض الوعى الكافى لترشيح الرهبان وإعطائهم أصواتهم يوم الانتخاب . كما وجد شخص فى نفسه القدرة على مناقشة هذا الموقف المغاير لكل ما اعتاده القبط وما توقعوه من الحرص عند آباءهم وهذه القدرة وضع كتابا بعنوان : « سقوط الجبابة أو شهوة البطريركية » . هذا القبطى الغيور هو بشاره بسطوروس الذى وصف كتابه شخصيا بهذه الكلمات : « بحث تاريخى قانونى شيق لتثبيت تعاليم الكنيسة والرجوع الى قوانينها المقدسة . الحل الوحيد للمشكلة القبطية » . وقد أهدى كتابه هذا الى « غبطة البطريرك المعظم الأنبا يوساب الثانى ، أธิการ الكنيسة الأجلاء وكهنتها الموقرين ، أساتذة الكلية الاكليريكية ووعاظ الكنيسة المحترمين ، قادة الشعب القبطى وأراخنته الأفاضل ، الشباب القبطى أبناء الشهداء الأقباط ، أمهات الجيل الحديث سيداتنا الفضليات اللاتى يساهمن بنصيب وافر فى تكوين نشىء يجاهد فى سبيل الكنيسة » (١)

ولما كنت ضمن الأمهات المسئولات عن تربية الجيل الحديث الذى أتطلع بكتابتى الى توصيل رسالة هذه التربية الى الأجيال القادمة ، فالضرورة موضوعة على لأن أكتب قدر المستطاع من التفصيل عن هذه الفترة مستهدفة أن يعتبر أبناؤنا بما جرى لأبائنا . لأن رب المجد كثيراً ما نهبنا الى أن من له أذنان للسمع فليسمع . ثم أوحى الى تلميذه الحبيب فأعاد علينا هذا التنبيه بقوله : « من له أذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » مردداً هذا التنبيه سبع مرات . (٢) وبما أننا نؤمن بأن الكتاب كله موحى به من الله وجب علينا أن نبذل أقصى جهدنا للعمل بما فيه . ومن الوصايا التى أوصانا بها تلك الوصية القائلة : « لا تقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك » (٣) . ولما كان المعنى الروحى هو هدف التعاليم الالهية ، فليس المقصود هنا بكلمة « تخم » مجرد العلامات الموضوعية على الحدود الجغرافية ، بل بالحرى مراعاة روح التعليم لأن الحرف يقتل أما الروح فيحى . فهذه الوصية إذن تدعونا الى الحرص على كل ما علمنا إياه الآباء من طقوس وتقاليد وتعاليم . فما هى إذن التقاليد التى سلمنا إياها آباؤنا منذ أن تسلموها من الرسل فيما يختص باختيار الراعى الأول لكنيستنا المحبوبة ؟ لقد سبق الحديث عن هذا الموضوع ابتداءً من الرسل وعلى مدى القرون الطويلة الممتدة منهم الينا . ولكن بما أن فى إعادة إفادة نكرر القول بأن التقليد الرسولى الذى حرصت عليه الكنيسة القبطية (كما حرصت على كل التعاليم والوصايا الالهية الى الآن) (٤) هو اختيار البابا المرقسى من المتبتلين سواء أكانوا

(١) طبع هذا الكتاب للمرة الثانية سنة ١٩٤٧ ، والنسخة الموجودة عندى من الطبعة الثانية .

(٢) رؤيا ٢ : ٧ و ١٧ و ٢٩ و ٣ : ٦ و ١٣ و ٢٢ .

(٣) أمثال ٢٢ : ٢٨ .

(٤) اقول « الآن » لأننا نسمع هذه الأيام نغمة غريبة علينا تماماً وهى : لماذا نظل « جامدين » ولانسائر الزمن ؟ وخير إجابة هى تلك التى قدمها الأسقف الفرنسى أنبا مرقس رداً عليه وهى « إن كل كنيسة أمامها طريق من اثنين لا ثالث لهما — فهى إما أن تنزل الى مستوى العالم ، وإما أن ترفع العالم الى مستواها . والكنيسة القبطية قد اختارت الطريق الثانى » .

متوحدين ، أو عائشين فى الدير، أو مقيمين فى العالم (١) ، فهى كانت تختار— عند الاقتضاء — علمانيا مبتتلا ولا تختار مطرانا ولا أسقفا . هذا — مع أن قصة كنيستنا المحبوبة فائضة بالأساقفة الذين مازالت كتاباتهم نوراً وهاجا يضىء الطريق لكل من يكلف نفسه الاطلاع عليها سواء كان من المصريين أو من الأجانب . فنعود إذن الى السؤال : ماذا أصاب الأنبا يؤنس وشركاءه فى الخدمة الرسولية حتى تناسوا هذا كله ؟! وإن الوجد ليتضاعف حين نحاول الإجابة متى علمنا أن الأنبا يؤنس بتخطيه التعاليم والتقاليد قد جعل من هذا التخطى سابقة يتعثر بها غيره

٨ — يسجل لنا بشارة بسطوروس فى كتابه المذكور آنفاً : « شيوخ فى الايمان يسقطون : الأنبا يؤنس ال ١٩ البابا ال ١١٣ ، الأنبا مكارىوس الثالث البابا ال ١١٤ ، الأنبا يوساب الثانى البابا ال ١١٥ ، باختيارهم المطلق وهم فى حداثة السن انتظموا فى سلك الرهبنة وتدرجوا فى حياة النسك ، ونالوا مراتب الكهنوت ، وعاشوا فى الايمان الى أن وصل كل منهم سن الشيخوخة ، وهم مطيعون لقوانين الكنيسة حاملون لواء المحبة لمسيحهم ومخلصهم ، مجاهدون بناموس فاديهم . وباختيارهم المطلق أيضا ، بعد أن وصلوا الى سن الشيخوخة ، بدون رضا السيد المسيح وبدون خضوعهم لقوانين الرسل والمجامع المقدسة ، قطعوا السبيل الصالح الذى عاشوا فيه ، متجاهلين نظام الكنيسة وقوانينها ، فتركوا أبروشياتهم طمعا فى المنصب البطريركى ... ومع أن هؤلاء الآباء الأفاضل ملمون تمام الإمام بقوانين الكنيسة وتعاليمها ، وواقفون على ما دونه المجامع المقدسة فى عدم جواز ترك الأسقف لبرشيته والانتقال منها الى ابرشية أخرى ، إلا أنهم فى سبيل شهوة الوصول الى الكرسي البطريركى تخطوا كل نظام فى سبيل أغراء عظمة الكرسي البطريركى ، وسقطوا صرعى أمام المجد الزائل ، فكان سقوطهم سقوط الجبابرة فى الميدان قبل نهاية المعركة » (٢) .

٩ — وهنا يرن فى آذاننا أنين كنيستنا المحبوبة وهى تردد قول فاديهام ومخلصها « هل رأيتم وجعاً مثل وجعى ؟ ... فلقد جرحت فى بيت أحببى » . ذلك لأن من يتقدم للترشيح يرضى بالدعاية . والدعاية تستهدف غرضاً واحداً هو نجاح المرشح . وللوصول الى هذا الهدف لا تتعفف الدعاية فى وسائلها . ولهذا لم يتراجع مروجو الدعايات عن القذف العلنى من فوق المنابر وفى النشرات والجرائد والمجلات . وتغاضى الساعون الى الكرسي البطريركى عن هذا كله . واقتربت هذه الدعايات بالعهد والمواثيق التى قطعها المرشحون على أنفسهم بتحقيق مشروعات معينة أو التنازل عن حقوق خاصة أو عامة ، كما اقتربت بصرف المال على الأنصار والمؤيدين . وهذا أدى

(١) راجع سجل الباباوات الوارد فى آخر ح ٥ من هذا الكتاب — وهو الجزء الخاص بجبرية البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس .

(٢) المرجع نفسه ص ١١ — ١٢ ، ومرة أخرى نذكر القراء بأن كنيستنا الحبيبة لا تؤمن بعصمة أى إنسان مهما بلغ من القداسة . وهى فى الوقت نفسه منحت الأنبا « حرية مجد أولاد الله » وبالتالى أعطتهم حرية التعبير والنقد من غير خوف وأوصت الآباء بسعة الصدر مع أبنائهم : « أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا » (أفسس ٦ : ٤) .

بالطبع الى إيجاد الفرقة والتحزب بين أولئك المفروض فيهم أن يتحابوا و يتعاونوا ، وسرت منهم هذه الفرقة الى أبنائهم طبعاً .

١٠ - ولقد جرى هذا كله أثناء الترشيح - فإذا حدث بعد أن تم الانتخاب إن صح تسميته انتخاباً؟! إن الأنبا يؤنس (وغيره) نسي أو تناسى الموثيق التي قدمها رغبة في الوصول الى السدة المرقسية مما ملأ قلوب مشايخه مرارة . وفي الوقت عينه بدأ الانقسام يدب بين صفوف الشعب - بل تخاصموا . وكان مثل هذا الانقسام طبيعياً إذ أخذ المعارضون يعيرون من ساندوا الأنبا يؤنس في الترشيح ثم في الانتخاب . أما شعب كل من البحيرة والمنوفية فأصبح بلا راع وانطبقت عليهم الآية القائلة : « منزعجين ومنطرحين كخراف لا راعى لها » لأن راعيهم تركهم ليصبح بطريركا للكراسة المرقسية ولعلمه بأنه لا يستطيع رسامة مطران لايبارشيه وهو على قيد الحياة لم يرد أن يضيف كسراً جديداً للقوانين الكنسية ، وبالتالي فقد تركهم لكهنتهم . ومهما بلغت أمانة الكاهن في الرعاية فهو مسئول عن جزء من الشعب وليس عن شعب الايبارشية بأسره ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان الوجد محتملاً ، ولكن الدعايات أوجدت شيئاً في النفوس مما جعل أعضاء المجمع المقدس يتهاونون في حضور جلساته . فكانت هذه الجلسات تتأجل مرات غير قليلة لعدم تكامل العدد المطلوب . وهذا بدوره أدى الى تعطيل الكثير من الأعمال والمشروعات .

ولما كان المستعدون للصيد في الماء العكر كثيرين ، فقد برز في تلك الآونة الأسقف جوين - الأسقف الانجليزي لشعبه في الشرق الأوسط - ومقره في القاهرة . وكان على صلة بالقمص ابراهيم لوقا - (١) أحد رعاة كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة . فاتفق معه على أن يدعو له عدداً من كبار العلمانيين القبط لتناول الشاي . وبالفعل دعا ابراهيم لوقا كل من يعرفه من هؤلاء الكبراء الى منزله . وبعد أن تأنس المدعوون حول موائد الشاي ومستلزماته ، وقف الأسقف جوين يخطب فيهم فقال : « إننى متعجب من تصرفكم أيها القبط ! إذ كيف ترضون بطريركا فرضه عليكم الملك ؟ » فسأله : « وماذا تريدنا أن نفعل ؟ » أجاب لفوره : « اخلعوه وارسموا من تريدونه أنتم » . قال حبيب المصرى : « حينما كان الأنبا يؤنس مرشحاً أبدى الناخبون رأيهم فيه . أما الآن وقد جلس على الكرسي المرقسى فقد أصبح بابانا جميعاً - لا فرق

(١) عن كتاب طارق البشرى « المسلمون والأقباط » ص ٤٢٦ - ٤٣٤ حيث أورد بالتفصيل صلة ابراهيم لوقا بالانجليز وتأييد يوحنا سلامة زعماء منه إنه يستطيع توجيهه وهو بطريرك نحو التحالف مع الكنيسة الانجليزية . وهذا هو السبب الذي حدا به الى استجابة رغبة الأسقف جوين في دعوة العلمانيين لعله يجد منهم سنداً في الوصول الى بغيته . وقد رجع د . طارق فيما كتبه الى جرائد : مصر ، كوكب الشرق ، المنبر الأرثوذكسى ، والى مقابلات شخصية مع عدد من الذين عاصروا هذه الفترة ، والى المنشورات التالية : « فى سبيل الدفاع عن الكنيسة القبطية » لبشارة بسطوروس بوزارة الداخلية وفريد مترى أبادير المدرس الأول بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات وجورجى ابراهيم بوزارة المالية ، « الإصلاح الذى يدعيه ابراهيم لوقا وجمعية الأصدقاء هو عبث وتمزيق لعظمة الكنيسة » لراغب مفتاح من الأراخنة وهو قد سجل كل الأبحاث الكنسية القبطية بدقة تامة ، كتاب « قصة حبيب المصرى » .

بين من انتخبه ومن لم ينتخبه . ولن نسمح لأحد بأن ينال من كرامته . ثم أن طلبك هذا معناه انقسام الكنيسة بين مؤيدي البابا ومعارضيه . ونحن غير مستعدين لأن نكون الأداة لشطر كنيستنا . وأنتم قد لعبتم هذه اللعبة عينها في الهند وشطرتم الكنيسة الأرثوذكسية العريقة (١) . ولكننا لن نرضى بأن نمكنكم من هذا العمل بكنيستنا القبطية الحبيبة ... وحسم هذا الرد الاجتماع وفشلت المؤامرة الانجليزية .

١١ - ولما كان الخالق المبدع قد خلق الكون على قاعدة التدرج والتطور كى يهيء للإنسان الفرصة لأن يسمو ، فإن هذه القاعدة عينها قد تؤدي به الى التدهور . لذلك فكل خطوة يخطوها الانسان نحو التسامى تسهل له الخطوة التالية ، وكل خطوة تنحدر به تسهل الانحدار بعدها - صحيح أن الآب السماوى - فى شامل محبته - قد منح الانسان فرصة للتوبة والعودة اليه ولولا هذه المنحة ما استطاع إنسان أن يبلغ القداسة . وصحيح أن الإنسان فى جهده المتسامى قد يسقط أحيانا ثم يعود . ولهذا فطريق الإنسان ليس خطأ تصاعديا مستمرا ، ولا هو بخط تنازلى مستمر ، إنما هو خط متعرج بين الصعود والانحدار . على أن قاعدة التدرج فى هذه الفترة وضحت فى أن البابا الذى خالف قانون الكنيسة وتقاليدها بضمه البطريركية الى مطرانيته قد تدرج من هذه المخالفة الى ما يشبهها - وذلك بنقل الكهنة من كنائسهم . فالقانون المسيحى العام الذى سن بأن يكون للرجل زوجة واحدة يرتبط بها مدى الحياة ، قد سن أيضا أن كلاً من المطران والأسقف والكاهن يلازم شعبه الذى رسم عليه لأنه أبو الشعب وزوج الكنيسة . وهناك تعبير قديم يوضح لنا تفهم الآباء لهذا الوضع وهو : « لا يترك الكاهن المذبح الذى كشف رأسه عليه » (٢) . ولاداعى الى القول بأن هذا المسلك قد أوجد القلق وعدم الاستقرار وشيئا من الضيق داخل الصدور

ومما زاد الطين بلة أن الحاشية الباباوية وبعض المقربين انتهزوا فرصة هذا القلق وضاعفوه بتسلطهم على الشعب . ولقد بلغ تحديهم درجة جعلتهم يتناولون بلا ورع على سلطة قداسة البابا نفسه ! فكان يحدث أحيانا أن يصدر قداسته أمراً يلغونه هم بلا تردد ! ولما رأى بعض أعضاء المجلس الملى هذا التعدى رأى أن يشارك فيه هو أيضا ، فبدأ يغتصب معظم أموال الأوقاف ، وامتد به الأمر الى أن يغتصب الايراد الخاص الذى لقداسة البابا !

١٢ - هذه كانت أحاسيس الشعب وتصرفات البعض منه - فاذا كان رد الفعل داخل نفس البابا ؟ لقد أوضح لنا تتبعنا لحياة الأنبا يونس خلال رهبنته ومطرانيته أنه كان مهاباً ،

(١) والمقر الرئيسى لهذه الكنيسة فى منطقة كير بلا فى الطرف الجنوبى للهند مقابل جزيرة سيلان . وقد أسسها توما الرسول الذى لم يؤمن بالقيامة المحيية إلا بعد أن وضع أصابعه على مواضع الجراح المحيية . والكنيسة باقية بنعمة الله وهى أرثوذكسية ، وقد منحت الرعاية الإلهية للمؤمنين أن يتصلحوا ويعودوا الى سابق وحدتهم بعد جلاء الانجليز عن الهند . أما القديس توما الرسول فقد نال إكليل الشهادة إذ قد نشره الوثنيون بالمنشار الى شطرين !

(٢) وكلمة كاهن هنا تشمل كل درجات الكهنوت .

حريصاً على كرامته وعلى كرامة كل من يخدم الكنيسة من كهنة وعلمانيين . كذلك كان حاسماً ، مسموع الكلمة ، يحترم الجميع كل أوامره ونواهيه وتوصياته . بل إن شعب المنوفية هو الذى طالب بالانضمام تحت رعايته لما رآه منه من الأبوة الجافية ولكنه ما إن ترك إيبارشيتته سعياً وراء الباباوية ، مخالفاً بذلك القوانين والتقاليد ، حتى اهتزت أعماقه فجعلته يدرك بأنه لا يستطيع الشعور بالراحة « داخل الدار الباباوية » . ولكى يسترجع طمأنينته النفسية دعا سبعة من الكهنة ليصلى كل منهم صلاة القنديل على مدى سبعة أيام متوالية . فيحضر هو شخصياً هذه الصلوات ، ويرجو منهم - بالتتالى - أن يدهنوه بهذه المسحة المقدسة . والسبب فى التجائه الى هذه الصلوات - بل تكرارها السباعى أيضاً - هو أنه كان يرى مرأى العين رؤى تزعجه وتقض مضجعه . وقد عبر بنفسه صراحة عن هذا القلق الألم لعله يكون عبرة لغيره . فكان أثناء تأدية الشعائر بتلفظ بألفاظ الندم لنقضه تقاليد الآباء مردداً قول أيوب (١) ولكن بصيغته الخاصة . كذلك لاحظ المقربون اليه أنه لم يكن يقبل الجلوس على الكرسي البطريركى فى الكاتدرائية ، بل كان يجلس دائماً داخل الهيكل .

١٣ - تلك كانت الحالة النفسية العامة ، وواضح أنها كانت أسيفة . لقد كانت أشبه بالسحابة القاتمة التى تحجب نور الشمس فى رائعة النهار . ولكن الفادى الحبيب وعد أن يكون مع مرديه الى انقضاء الدهر . فكما أنه له المجد لم يستطع لمحبه أن يترك آدم وذريته فى الهوة التى تردوا فيها ، كذلك لم يستطع لمحبه أيضاً أن يتخلى بالكلية عن كنيسته . فمن مراحمه اللانهائية يتدارك الإنسان وسط أخطائه ، ولا يترك الظلمة التى تكتنفه حالكة السواد إنه يومض خلالها بوميض تحننه . فهذه الظلمة التى غشيت الكنيسة تخللها بصيص من النور فكأن الأنبا يونس الـ ١٩ من أن يجمع شتات نفسه المهتاجة ويفتح مدرسة لاهوتيه، للرهبان . فقد وجد أن كنيسة السيدة العذراء بجلوان مركز مناسب لهذه المدرسة لما يحيط بها من منازل مقامة وسط الأشجار والأزهار التى تزين حديقتها الفسيحة (وهى التى كان قد أقامها سلفه الوقور البابا كيرلس الخامس) . فأصدر أمره بإخلاء أربعة منازل وتنظيمها وتأثيثها لتصلح لسكنى الرهبان . ثم أخلى منزلاً خامساً لتكون حجراته غرفاً للدراسة وطالب رؤساء الأديرة باختيار الرهبان الذين يجدونهم أهلاً للدراسة فى هذه المدرسة . وبالفعل بلغ عدد الرهبان الذين كونوا النواة الأولى ثلاثين

(١) أيوب ٣ : ١ - ٧ حيث يقول فى بدايته : « بعد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه ... ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه ... » ، فكان الأنبا يونس يقول : « ليته هلك اليوم الذى تطلعت فيه الى البطريركية » ، راجع كتاب بشارة بطوروس الأنف الذكر ص ٩ - ١٧ . ويضيف القمص شنودة الصوامى البرموسى الى هذه الشهادة قوله : « قيل إن الأنبا يونس كان يتندم ويبكى ويقول أنا كان مالى أجعل نفسى تحت حرم الآباء - صلوا من اجلى يا أولادى » ، فى كتابه المخطوط « تاريخ البطارقة » ص ٢٦٩ .

راهباً . ثم عين ميخائيل مينا ناظراً لهذه المدرسة (١) ، كما عين الأساتذة الذين يعاونونه فى تأدية الرسالة التعليمية . فلما تمت كل الاستعدادات اللازمة افتتحها شخصياً يوم الاثنين ٤ مارس سنة ١٩٢٩ . فتجمع رؤساء الأديرة والرهبان المختارون لاستقباله . وقد ذهب قداسته فى العاشرة صباحاً الى مقر المدرسة ومعه أصحاب النيافة : أنبا باسيليوس مطران القدس ، أنبا مرقس مطران إسنا والأقصر ، أنبا أبرام مطران البلينا ، أنبا إيساك مطران الفيوم وأنبا ميخائيل أسقف ابوتيج . وبالطبع استقبلوا باللحن الكنسى الحلو ، ودخل الجميع فى موكب بديع الى الكنيسة حيث رفعوا صلاة الشكر أولاً . ثم أشار قداسة البابا الى حبيب جرجس ناظر الاكليريكية فتقدم وألقى كلمة عن الرهبنة ، والهدف الأساسى منها ، وعن تاريخها وأثرها فى بلادنا وفى مختلف البلاد . ثم ختم كلمته بتهنئة الأنبا يونس وأصحاب النيافة المطارنة على افتتاح هذه المدرسة . وتضرع الى الله أن يجعلها لبنيان كنيسته ولجده اسمه القدوس .

وعندها وقف قداسة البابا وألقى كلمة أعلن فيها أنه ظل على مدى خمسين سنة يسعى الى تعليم الرهبان ، متمنياً أن يراهم متسامين روحاً وعقلاً . وعبر عن شكره وعرفانه للآب السماوى الذى منحه الفرصة لأن يفتح هذه المدرسة . ثم زود الرهبان بنصائح الأبوية ، وبرجائه فى أن يثابروا على الدراسة والبحث ؛ فيسلحوا أنفسهم لخدمة الكنيسة التى اشتراها الفادى بدمه الزكى الثمين

ولما انتهى قداسته من كلمته سار فى موكب كنسى له روعته يتقدمه الشماسة والرهبان ، ويحيط به المطارنة الأجلاء ، وذهبوا الى المكان الذى أعد للدراسة . فأفتتحه البابا الجليل ببركته الرسولية ، وكرر رجاءه بأن يثابر الرهبان على التسامى . ثم تقدم ميخائيل مينا وألقى كلمة تحدث فيها عن تاريخ إنشاء المدارس الدينية من عهد صموئيل النبى الى أن جاء مار مرقس كارزاً فى بلادنا وأسس المدرسة الاسكندرية اللاهوتية التى شع نورها على جميع طالبى الارتواء من العلوم المسيحية . ثم أضاف أنه يعتبر المدرسة الجديدة بداية جديدة ولو أنها استمرار للجهود القديمة ، معرباً عن أمله فى أن تحمل هذه المدرسة رسالة المدرسة الاسكندرية .

ولم يكتف الأنبا يونس بافتتاح هذه المدرسة ، بل ظل يوالىها بزيارته من آن لآخر ، ويشجع طلبتها روحياً ومادياً ، كما يشجع أساتذتها بكلمات العطف والاستحسان .

أما مواد الدراسة فكانت : ١ - اللاهوت ، ٢ - دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وتفسيره ، ٣ - طقوس وألحان ، ٤ - وعظ ، ٥ - القانون والشرعية ، ٦ - اللغات القبطية . العربية . الانجليزية . الفرنسية . الحبشية ، ٧ - جغرافيا عامة ومعها الخاصة بالكتاب

(١) رُسم بعد ذلك قصفاً ، ثم وضع كتاباً فى علم اللاهوت فى ثلاثة أجزاء ضخمة ، وأخرج جزء منها ظهر فى يونيو سنة ١٩٣٨ ويتألف من مائة وثلاثين صفحة . وقد أوضح فى آخره الاختلافات العقيدية بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وغيرها من الكنائس مستنداً فى ذلك الى الكتاب المقدس والى الأسابيد العلمية الموثوق بها . وقد طبعت جمعية المحبة هذا الكتاب . ومنه نرى أن اهتمام آباء الكنيسة القبطية بالتعليم استمر متأصلاً فيهم حتى فى فترات الضيق والألم . وهنا أجد تأوهات صادرة من أعماقى تلقائياً لتذكرى كل تلك الدعايات المغرضة والجهود الهدامة التى بذلها أديباء التبشير للحط من كرامة كنيستنا الحبيبة .

المقدس ، ٨ - تاريخ عام وكنسى ، ٩ - فلسفة ، ١٠ - منطق ، ١١ - علم النفس ، ١٢ - اللغتين القديمتين العبرية واليونانية .

وثمة خدمة أخرى يمكن اعتبارها تنمة لافتتاح المدرسة اللاهوتية ، هذه الخدمة تحققت بناءً على اقتراح من مرقس سميكة الذى وضع نواة المتحف القبطى ثم تولى رياسته . وقد تقدم باقتراحه الى الأنبا يؤنس وهو تنظيم مكاتب الأديرة وعمل سجلات وفهارس لمحتوياتها ، ثم حفظها فى دواليب خاصة بها . وقد وافق البابا الجليل على هذا الاقتراح ، وانتدب يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى للقيام بهذا العمل الشاق . وقد قضى هذا الباحث الدؤوب فى كل دير المدة اللازمة لتنفيذ هذه المهمة التى ائتمن عليها باباه المكرم ، وبالفعل وضع سجلا ضافيا لكل مكتبة من مكاتب الأديرة القبطية .

١٤ - كذلك أقام الأنبا يؤنس شعائر الميرون المقدس مرتين على سنتين متتاليتين . فقد وجد أن كمية الميرون المقدس ضئيلة وخشى أن ينفذ . ومن ثم سار على خطة سلفائه واشترى كل ما يلزم من الأفويه والعطارة وزيت الزيتون ، وأرسل يدعو إخوته المطارنة ليشاركوا معه فى هذه الصلوات ذات الروعة الخاصة . وبالطبع كان المقدار المتبقى هو الخميرة القديمة التى أضيفت إليها المقادير الجديدة كما جرى به التقليد منذ أن أحضر مارمرقس الرسول نصيبه من الحنوط المقدس . وقد تمت الصلوات فى الأحد الرابع من الصوم الأربعينى ، وكان موافقا ليوم ١٢ برمودة سنة ١٦٤٦ (٢٠ ابريل سنة ١٩٣٠) ، فى كنيسة القديس الشهيد اسطفانوس (الملاصقة للكاتدرائية المرقسية بالأزبكية)

أما فى المرة الثانية فقد كانت فى السنة التالية مباشرة ، وقد أقامها خصيصا للكنيسة الاثيوبية (١) . واشترك فى الصلاة معه نيافة الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا ومعه أسقف اثيوبى ،

١ - صنع الميرون المقدس لاثيوبيا :

قام قداسة البابا يؤنس التاسع بصنع الميرون المقدس لإرساله إلى اثيوبيا . فبدأ فى الأسبوع الثانى المقدس بدق مواد الميرون وسحقها . وفى الأسبوع الثالث من الصوم بدىء بطحنها حسب الطريقة الكنسية .

وبهذه المناسبة حضر من اثيوبيا يوم ١٥ / ٢ / ١٩٣١ صاحب النيافة الأنبا كيرلس المطران القبطى لاثيوبيا ومعه الأنبا بطرس الأسقف الحبشى ، ومعها رسائل من جلاله الامبراطور وأساقفة الحبشة الى قداسة البابا . وكذلك رسالة من رئيس إديرة اثيوبيا . واستقبل المطران استقبالا رسميا وشعبيا ، واستقبله الملك فؤاد . . .

(١) إن تكريس الميرون الذى أدى شعائره الأنبا يؤنس كان قد أداه من قبله واحد وعشرون من الباباوات ، فكانت شعائر التكريس هذه تنقام للمرة الثانية والعشرين . وهى الشعائر الوحيدة التى يجب أن يؤديها قداسة البابا ، ويدعو إخوته الأساقفة للاشتراك معه فى تأديتها . لذلك فكلمنا وجد أحد الباباوات أن الكنيسة فى حاجة الى المزيد من الميرون المقدس قام بصلوات التكريس . وهذه المناسبة نشرت مجلة (الكرمة) التى كان يرأسها الارشدياكون حبيب جرجس مدير الكلية الاكليريكية ، هذه الأخبار فى سنة ١٩٣١ م .

كما اشترك عدد من المطارنة المصريين . وقد أقيمت الشعائر المقدسة هذه المرة خلال أسبوع الآلام فى الكنيسة عينها . وهكذا أصبح معداً يوم الأحد - عيد القيامة المجيدة فى ٤ برمودة سنة ١٦٤٧ . فاستطاع طالبو الميرون المقدس أن يحملوه معهم عند عودتهم الى أديس أبابا فى الأسبوع الثانى من الخمسين .

كذلك رأى الأنبا يؤنس أن الدار الباباوية أصبحت فى حاجة الى ترميم وتجديد ، فأمر بإجراء اللازم لإصلاحها . وقد تبرع بألف جنيه من جيبه الخاص مساهمة منه فى هذا العمل . وبناءً على توجيهاته أقيم فى الدور الأول لهذه الدار الديوان البطريركى ، ويحتوى أيضاً على قاعة فخمة لاجتماعات المجلس الملى العام .

١٦ - وكان مرقس سميكة قد سعى سعياً جديراً بأبناء الشهداء فى أنه بدأ بتجميع الآثار التى كان المنقبون يعثرون عليها بين أطلال الكنائس والأديرة والبيوت ، وبوضعها فى قاعة ملحقة بكنيسة السيدة العذراء (المعلقة) بمصر القديمة . فكان هذا التجميع النواة لما أصبح يعرف بالمتحف القبطى . على أن الحكومة المصرية أصدرت مرسوماً بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣١ يقضى بضم هذا المتحف الى أملاك الدولة . فأرسل وزير المعارف (التربية والتعليم) خطاباً الى الدار الباباوية يبلغها فيها هذا الأمر . فاستثار هذا الخطاب استياء كبيراً بين القبط . ودعا الأنبا يؤنس المجلس الملى العام الى جلسة رأسها شخصياً ، وتداولوا معاً فيما يجب اتخاذه للحفاظ على هذا المتحف ضمن أملاك الكنيسة . وأدت مداولاتهم الى إرسال إنذار على يد محضر الى كل من رئيس الوزراء ووزير المعارف . وعهد قداسة البابا الى حبيب المصرى بكتابته - وبالطبع كتبه ، ومما جاء فيه : « حيث أنه لا نزاع فى أن المتحف القبطى بما فيه ومحتوياته إنما هو جزء غير منفصل عن كنيسة المعلقة وعن الأملاك الخاصة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ومعظم هذه المحتويات ذخائر كنائسية مكونة من كتب قديمة ومن أيقونات وصلبان وملابس كهنوتية ، وحيث أنه إذا كانت الأديرة والكنائس قد قبلت نقل بعض تحفها وذخائرها الى هذا المتحف ، فإنما حدث ذلك على أساس أن تودع هذه التحف وديعة فى كنيسة أخرى ، وأنها لا تزال على أية حال ضمن ذخائر الكنيسة القبطية ومخلفاتها لأن الكنائس لا تتجزأ وحيث أن ملكية الكنيسة لهذه الذخائر والتحف الدينية لا يصح التعرض لها ولا نقلها من يدها بأى وجه من الوجوه . . . وحيث أن واضع المرسوم نفسه بلغ من شدة شعوره بهذا الحق ومن عدم جواز التعرض له ، عقب على النص بإلحاق المتحف ومحتوياته بأملاك الدولة العامة بالنص على أن هذا الإلحاق لا يترتب عليه المساس بما للكنائس من حق الوقف على المتحف والأشياء المذكورة ، ولكنه واضح من مجموع القانون ومما ورد فيه من الأحكام والقيود أنه لا يترتب عليه أى أثر فعلى لمصلحة الكنائس أو أن الأشياء الموجودة بالمتحف لا يجوز نقلها من مكانها فى أى وقت بحكم القانون . فلا تستطيع أية كنيسة إذن أن تستعمل أية ذخيرة من تلك الذخائر فى طقوسها الدينية ولا فى غيرها . وبذلك تكون الكنيسة القبطية قد فقدت جميع خصائص الملكية أو الوقف أو مظاهرها .

ويكون الغرض الوحيد من هذا النص إنما هو مجرد الاحتياط اللفظي لما تضمنه القانون فهلاً من المساس بحق الكنيسة في المتحف وهو حق مقدس لا يجوز قانوناً التعرض له أو العبث به . وحيث أن ما ورد في ديباجة ذلك المرسوم بقانون من وجوب رعاية المتحف القبطي لضمان تقدمه ونجاحه لا يبرر بأي وجه من الوجوه التعرض الفعلي للملكية الكنيسة القبطية له ولا يستلزم مصادرتها في إدارته لأن معاونة الحكومة في صيانة المتحف وإنمائه مستطاعة من غير إلحاقه بأملك الدولة العامة والمجلس الملي يتلقى بالترحاب كل ما تبذله الحكومة من المعاونة أو تسديه من النصح في سبيل ترقية المتحف وحسن إدارته وفضلاً عما تقدم فإن إلحاق المتحف بأملك الدولة العامة على الوجه الذي قرره القانون قد يؤدي من وجوه عدة الى الوقوف عائقاً في سبيل ترقية المتحف على عكس ما قصده الشارع من وضعه ، وذلك لأن الكنائس والأديرة التي أمدت المتحف في الماضي وساعدت على تكوينه بما أودعته فيه وأهدته اليه من التحف والنفائس ستمتنع من الاستمرار على هذه الخطة في المستقبل حرصاً على بقاء هذه التحف مملوكة للكنيسة . وحيث أن المجلس الملي العام هو المختص بحفظ وصيانة الكنائس ومقتنياتها بمقتضى أحكام المادتين ٨ و ١٤ من القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩ وحيث أن المجلس الملي العام فوجيء بصدور المرسوم بقانون المشار اليه بدون مفاوضة سابقة معه ، وهو على ثقة أن الحكومة لو كانت اتصلت به وباحثته في أمر ما يراد اتخاذه من الوسائل والتدابير الكفيلة بصيانة المتحف وترقيته ، لما كانت فكرت في إصدار هذا المرسوم فلهذه الأسباب :

قد أعلنت حضرتي صاحبي الدولة والسعادة المعلن إليهما بتمسك المجلس الملي العام بصفته المذكورة آنفاً بحقوق الكنيسة في ملكية المتحف القبطي بما فيه وجميع محتوياته وفي إدارة هذا المتحف وقد كلفت حضرتيها بأن يتخذ ما يلزم من الإجراءات حتى يستمر المتحف جزءاً غير منفصل من الكنيسة . ومع تصميم المجلس على المحافظة على هذه الحقوق ، فإن أمله وطيد في أن ترى الحكومة أنه لم يقصد من هذا الإنذار إلا وضع الأمور في نصابها وهو يعتقد أن هذا الإنذار سيكون كافياً للوصول الى هذا الغرض .

وقد وقع على الإنذار قداسة الأنبا يونس ، كما وقع عليه ستة عشر عضواً من أعضاء المجلس الملي العام (١) . إلا أنه رغم هذا الإنذار ، ورغم المقابلات الشخصية التي جرت بعد ذلك بين مندوبي البطريركية ومندوبي الحكومة ، فقد ضم المتحف الى أملك الدولة لأن الملك فؤاد أصر على ضمه بل لقد بلغ من إصراره أن أصدر أمره بسد الباب الموصل بينه وبين الكنيسة

(١) إن العدد الكامل لأعضاء المجلس الملي العام أربعة وعشرون ، فيكون ثلاثهم قد وقع على هذا الإنذار بالإضافة الى قداسة البابا الذي يرأسهم بحكم رياسته الكهنوتية ولا يدخل ضمن عددهم . انظر أيضاً « قصة حبيب المصري » ص

المعلقة لفصله تماما عنها! (١) فانطبق على الذين بذلوا الجهود في هذا المضمار قول الشاعر:

على المرء أن يسعى الى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

١٧- إن كل من تتبع قصة الكنيسة القبطية يعلم بأن الصلة التي تربط كنيسة مصر بكنيسة اثيوبيا ترجع الى عهد الأنبا أثناسيوس الرسولى الذى رسم أول مطران لهذا القطر الشقيق (٢). ولكن على الرغم من أن هذه الصلة قديمة العهد وثيقة، إلا أنه لم يتيسر لغير اثنين من الباباوات زيادتها، وهذان هما الأنبا ميخائيل الرابع (البابا الـ ٦٨ - سنة ١٠٨٤ - سنة ١٠٩٤) للتفاوض فى موضوع مياه النيل، والأنبا كيرلس الرابع (البابا الـ ١١٠ - سنة ١٨٥٤ - سنة ١٨٦١) للتوسط فى الصلح وتفادى الحرب بين الجيشين المصرى والحبشى.

أما الأنبا يونس الـ ١٩، فلئن كان البابا الثالث الذى يزور اثيوبيا إلا أنه الأول فى زيارتها زيارة راعوية.

على أنه يجدر بالذكر أن الأنبا كيرلس الخامس أولى هذه البلاد اهتماما كبيرا رغم عدم زيارتها. ففي سنة ١٨٩٨ - وكان عمره آنذاك أربعاً وسبعين سنة - أرسل خطاباً الى كل من الامبراطور منليك ونيافة الأنبا متاوس يوصيها بجرانت عصفور. وحالما وصل الخطابان، استدعى الامبراطور الشاب الموصى عليه وسأله عما يتغيه، فأجاب بأنه يستهدف افتتاح مدارس ابتدائية يتولى التعليم فيها شبان أقباط لكي يضمن القبط والاثيوبيون أن التعليم الدينى فيها يكون أرثوذكسيا صميماً. فراقت الفكرة للامبراطور وأرسل رده الى قداسة البابا قال فيه: «غلب الأسد من سبط يهوذا منليك الثانى ملك ملوك الحبشة الى غبطة الراعى الصالح والأب البار - عامود البيعة الأرثوذكسية غير المتزعزع، الجالس باستحقاق على كرسى الانجيلى مارمرقس الرسول المعظم، الأنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية والحبشة، أدام العلى لنا حياته ونفعنا ببركاته.

من بعد القبلة الروحية البريئة من كل غش وطلب إمدادنا بصالح دعواتكم المقبولة لدى العزة الالهية، نبدى أننا نحن ومملكتنا وشعبنا بنعمة الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد وبركة صلوات قداستكم الطاهرة حاصلون على كل راحة ورفاهية، متمتعون بكل صحة وعافية.

أما بعد أيها الأب الجليل صاحب الفضائل والعفة نبدى لغبطتكم أننا بكل احترام مع

(١) يبدو عن هذا التصرف أن الملك فؤاد قد استمرأ التدخل فى شئون الكنيسة القبطية، فإدام قد أفلح فى فرض رغبته بتنصيب الأنبا يونس بطريركاً - فلماذا لا يتحكم فى غير ذلك من أمور الكنيسة؟ وهى بلا شك أقل خطراً من السابقة الأولى؟!

(٢) انظر حـ ١ من هذا الكتاب ص ١٩٧.

الفرح والسرور تلقينا كتابكم الشريف المختص بحضرة جرانت أفندي عصفور الذي لما دعونا في حضرتنا لإبداء ما عنده من الأفكار، عرض على مسامعنا -شروعاً جليلاً وهو إنشاء مدارس ابتدائية في الحبشة تكون إدارتها موكولة الى نخبة من شبان الأقباط الأرثوذكس فسررنا غاية السرور من الاقتراح الذي ما متعنا من تنفيذه فوراً إلا حدوث موانع وقتية تشغلنا في الوقت الحاضر عن القيام بهذا العمل العظيم الفوائد .

على أنه لما كان هذا الاقتراح قد وقع عندنا أحسن وقع ولقى كل القبول والاستحسان لدينا لاسيما أنه من أهم الموضوعات التي تشغل فكرنا رأينا أن نعدّ هذا الشاب وجئنا لنؤيد وعدنا هذا لغبطتكم بأنه عندما تزول هذه الموانع - وإن شاء الله يكون ذلك قريباً - ونعزم على إدخال التعليم ببلادنا فلا نوكل أمر إنشاء وإدارة المدارس إلا لشبان الأقباط الأرثوذكس الذين نطلبهم من قداستكم . وهنا نزيد أبوتكم توكيداً بأن كل آمالنا وأفكارنا ليست متجهة إلا نحو أبنائكم القبط الأرثوذكس . فأيقنوا أننا لا نكفلُ الى سواهم أمر تربية وتعليم أولاد الحبشة أخوانهم في الدين والمذهب .

وفي الختام نطلب من الباري أن يديم لنا صحتكم و يؤيد كرسيكم العالي الشأن و يشمل أبناء حبور يتكم بكل راحة « وأمان - إنه السميع المجيب » .

أما الأنبا متاوس فقد أرسل الى البابا الوقور خطاباً بتاريخ ٢٠ كيهك سنة ١٦٢٤ (٢٩ ديسمبر لسنة ١٩٠٨) يقول فيه : « ... وقد أنجز الامبراطور منليك وعده المدون في كتابه إذ قد أصدر في أول سنة ١٩٠٧ مرسوماً بأن يكون التعليم إجبارياً لجميع الذكور من اثنتى عشرة سنة فما فوق ... »

ومن ذلك الحين ظل الامبراطور يطلب أساتذة من القبط للتعليم في المدرسة التي أنشأها باسمه في أديس أبابا . وسار الملك تفرى (الامبراطور هيلاسلاسى فيما بعد) على منواله بأن فتح هو أيضاً مدرسة باسمه يقوم القبط بالتعليم فيها (١) .

(١) رأينا من سيرة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس مدى اهتمامه بنشر التعليم على مختلف درجاته في مصر، وهنا نجد اهتمامه بنشر التعليم بين الأحباش . وجديربنا أن نتمعن في مثل هذا الاهتمام لنذكر مدى افتراء الأجنب على آبائنا في دعاياتهم التي لم يكن لها من هدف غير تقليل قيمة هؤلاء الآباء المكرمين في عيون أبنائهم واحفادهم ! اما خطاب البابا الوقور والإجابتان عليه فقد أوردها يوسف جرجس في كتابه آنف الذكر، ص ٦١ - ٦٢ . ومما يجب أن نذكره هنا هو أنه قد جاء على ص ٨١ من الكتاب عينه رسالة كان الانبا كيرلس الخامس أيضاً قد بعث بها الى الملك يوحنا كاسا (السابق على عهد منليك الثانى) يوصيه فيه بأن يعامل المسلمين في البلاد الحبشية بالرفق والعدل . ثم جاء رد الملك على ص ٨٢ قال فيه : « ... اما ما ذكر في رسالة أبو يتكم عن المسلمين المقيمين في السلطنة الحبشية النجاشية وما يتبعها من الأقاليم ، ووصيتكم لنا بأن نتفرق بهم ونعاملهم بالرفقة ونسهل لهم ممارسة شعائر ديانتهم فأحيط شريف علمكم أنه لم يصدر منا شيء يكدر خاطرهم . وحاشا لنا من ظلم خليفة الله ... »

١٨ - وقبل الحديث عن الرحلة البابوية تجدر الإشارة الى أن البرلمان المصرى بمجلسيه :
الشيوخ والنواب كان قد أصدر قراراً بإنشاء قنصلية مصرية فى عاصمة اثيوبيا . وتنفيذاً لهذا
القرار أرسل وزير خارجية مصر خطاباً الى وزير الخارجية باثيوبيا قال فيه : القاهرة فى ٢٠
أغسطس سنة ١٩٢٧ .

ياسعادة الوزير
لى الشرف أن أحيطكم علماً بأن حكومة جلالة ملك مصر رغبةً منها فى ترقية المصالح
المشتركة بين مصر واثيوبيا الى أقصى حد مستطاع وتوثيق عرى العلاقات الموجودة بين البلدين
قررت أن تمثل مصر تمثيلاً قنصلياً فى الحبشة فتنشئ منصب قنصل فى أديس أبابا .
فأكون ممتناً لسعادتكم إذا تفضلتم وأبلغتمونى هل تروم الحكومة الحبشية الموافقة على
إنشاء هذا المنصب ؟

واقبلوا خالص التحيات ،
وزير الخارجية بالنيابة
(إمضاء) أحمد زكى أبو السعود

فجاءه الرد التالى :
أديس أبابا فى ١ أكتوبر سنة ١٩٢٧
يامعالى الوزير

علمت حكومة الامبراطورية الاثيوبية بملء الارتياح من كتابكم المؤرخ ٢٠ أغسطس
سنة ١٩٢٧ بأن حكومة جلالة ملك مصر قررت إنشاء قنصلية فى أديس أبابا .
فأتشرف بإبلاغكم بأن حكومة الامبراطورية الاثيوبية التى ترغب هى أيضاً أشد الرغبة
فى توثيق عرى الروابط الودية بين البلدين توافق على إنشاء هذا المنصب القنصلى المصرى .
واقبلوا خالص السلام ،

المدير العام لوزارة الخارجية
(إمضاء) بلاتن جيتا هيروى

وتنفيذاً للرغبة المتبادلة بين البلدين عينت الحكومة المصرية دكتور فرج بك ميخائيل
موسى ليكون أول قنصل لها فى أديس أبابا . كما عينت محمود أفندى رامز مأموراً للقنصلية ، ونمر

أفندى شنودة سكرتيراً لها . وتسلم ثلاثهم مهام عملهم الجديد فى العاصمة الاثيوبية فى ٢١ فبراير سنة ١٩٢٩ (١) .

١٩ - ولقد كان الأنبا يونس الـ ١٩ يتوق الى زيارة أثيوبيا وهو بعد مطران . وقد أوضح هذه الحقيقة الملك تفرى فى الخطبة التى ودع بها قداسة البابا على رصيف محطة أديس أبابا إذ قال : « ... ونحن نذكر دائماً الفكرة التى ألهمكم إياها الروح القدس وأعربتم عنها لنا فى الحين (أى حينما زار جلالته مصر) ، وقد تحققت بنعمة الله » (٢) .

ومما دعم رغبة الأنبا يونس فى زيارة إثيوبيا أن مطرانها الأنبا كيرلس أرسل اليه دعوة بعد انقضاء أربعة شهور على إقامته فى أديس أبابا بوصفه مطراناً لها . فلقد بعث هذا المطران الوقور بتقرير مؤرخ فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٩ ضمنه ما اختبره من الأحوال الروحية والاجتماعية فى إثيوبيا . وقد وردت دعوته فى آخر هذا التقرير .

فرحب قداسة البابا بالفكرة ، وأرسل الى نيافة المطران الجليل رسالة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩ قال فيها : « ... حيث أن طلب أخوتكم زيارتنا للحبشة قد صادف من نفسنا كل ارتياح وقبول ، لأن هذه الزيارة كانت فى نيتنا من قبل ، وذلك نظراً لما يكنه قلبنا من المحبة الأبوية لشعبنا الحبشى المبارك ، ولاشتياقنا روحياً للتمتع برؤية أصحاب الجلالة الامبراطورة زوديتو والملك تفرى ، والملكة من . وهمنا جداً تفقد أحوال أولادنا المحبوبين كهنة الحبشة وروؤسها وقوادها وحكامها وشعبها المباركين لتعلقنا بهم ورغبة فى الاطمئنان على سلامتهم .

فلذلك قررنا إن أحب الرب وعشنا أن ننفذ هذا العزم ونلبى الدعوة فى أول يناير القادم ، ونكون ممتنين إذا وافيتموننا بمعلومات تلغرافية عن الطريقة الواجب اتباعها لإخطار صاحبى الجلالة الامبراطورة والملك بهذه الزيارة ، وهل الوقت مناسب لذلك ، وغير هذا من التفاصيل الضرورية التى لا يخفى على فطنتكم وجوب العلم بها لإتمام الاستعداد قبل أول يناير .

وقد أعلنت الامبراطورة ، هى والملك ، ترحيبها فوراً وطلبا الى القنصل المصرى أن يرسل تلغرافاً الى وزارة الخارجية المصرية ينبئوها بذلك ، فوصل التلغراف بالفعل فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، وأبلغت الوزارة نص التلغراف الى قداسة البابا .

(١) يوسف جرجس ص ١٢٥-١٢٦ .

(٢) المرجع عينه ص ١٣٥ حيث أورد النص الفرنسى وهو .

« nous nous souvenons toujours des pensees inspirees de l'Esprit saint que vous nous avez exprimees en ce temps-la en nous faisant part de votre desir de visiter l'Ethiopie. et notre joie est maintenant tres vive d'avoir vu ce projet se realiser par la Grace de Dieu.»

وحالما بلغه ترحيب الامبراطورة والملك بدأ يتخذ الخطوات اللازمة للسفر . وكانت الخطوة الأولى هي مقابلة الملك فؤاد والتفاهم معه في هذا الموضوع . فتحددت له الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٩ لهذه المقابلة . وحينما التقى البابا المكرم بالملك فؤاد أعرب له الملك عن ارتياحه التام لهذه الرحلة . ثم أشار الى ما يتوقعه من توثيق الروابط بين البلدين نتيجة لها . كذلك طلب الى الأنبا يونس أن يحمل أصدق تمنياته الى الامبراطورة والملك والملكة ، ولشعبهم ورؤوسه . ومن نعمة الله أنها كانت زيارة مليئة بالتفاهم .

ولقد فرح المصريون جميعاً : المسلمون والقبط على السواء — هذه الزيارة المزعمة ، وعبروا عن فرحتهم كما عبروا عن إعجابهم بعزيمة البابا الجليل الذي لم تقعه السنون عن اتخاذ هذه الخطوة الهامة رغم مشقات السفر آنذاك .

وبعد أن اطمأن الأنبا يونس الى ترحيب الملك فؤاد بالرحلة التي اعتمدها أخذ يختار أعضاء الوفد الذي سيرافقه . فوقع اختياره على الأنبا لوكاس مطران قنا وقوص والأنبا يوساب مطران جرجا (وكلاهما كان ممن أرسلهم البابا الوقور كيرلس الخامس الى أثينا) ، والقمصان جرجس ودوماديوس البرموسيان ، فالأستاذ حبيب جرجس مدير الاكاديمية والدكتور فرنسيس أبادير طبيبه الخاص و يوسف جرجس سكرتيره وعبد المسيح جرجس تلميذه ، (١) ومعهم يوسف كما وبدوى موسى : أولها حبشى وثانيها قبطي ليكونا مترجمين . كذلك اختار عبده عبد الملك رئيس شمامسة الكاتدرائية المرقسية والشمامسة الاكليريكيين أديب نخلة وفوزى يسطس وشوقى مينا وجرجس اسكندر .

ولقد شاء أعضاء المجلس الملى آنذاك أن يعبروا عن حسن تقديرهم لهذه العزيمة الباباوية تعبيراً عملياً فقرروا المساهمة بألف وخمسمائة جنيه مصرى من تكاليف الرحلة ، وتقابل يوسف سليمان باشا وكيل المجلس مع قداسة البابا مساء الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ومع الأعضاء وأبلغوه هذا القرار فشكرهم وباركهم .

واستكمل البابا الجليل استعداداته بأن عين الأنبا ميخائيل أسقف أبوتيج ليكون نائباً عنه أثناء غيابه عن مصر .

٢٠ — ولقد كان توديع البابا الجليل على جانب كبير من الروعة والفخامة . على أن الذى يجب تذكره هو أن الشعب القبطى يتزاحم فى كل مناسبة على باباواته بلا استثناء منذ البداية والى الآن . ولقد اشترك المسلمون مع إخوتهم القبط فى توديع الأنبا يونس — وهذه الظاهرة

(١) يوسف جرجس : ص ١٣٦ — ١٣٩ ، ولتذكر أن الفرق بين السكرتير والتلميذ هو أن الأول يؤدى الخدمات المتصلة بالعلاقات العامة ، فى حين أن التلميذ يؤدى للبابا الجليل الخدمات الشخصية .

هى أيضا العادة التى جرى عليها مواطنونا المسلمون فى كثير من المناسبات . وغنى عن القول أن المودعين لم يتزاحموا على رصيف محطة القاهرة فقط ، بل لقد تزاحموا على امتداد محطات القطار الى الاسكندرية . وفى مدينة الكاروز العظيم كان استقبال قداسته أولاً ثم توديعه عند سفره الى بورسعيد . وكانت المحطة التى وقف عندها القطار هى محطة بنها . وهناك وجد البابا الجليل أن عبد الرحيم صبرى باشا وزير المواصلات آنذاك قد أصدر أمره فأعدت المصلحة صالوناً فخماً لركوب قداسته ، وألحقت هذا الصالون بقطار الاكسبريس الذى قد غادر القاهرة فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

ولقد قصد الى بورسعيد الأنبا باسيليوس مطران القدس والشرقية قبل أن يصلها قداسة البابا ، واستصحب معه القمص أنطونيوس رئيس أديرة القدس ، وأرخناً معروفاً هو سيداروس بشارة بك . فأشرفوا على الترتيبات اللازمة لاستقبال الأنبا يونس ومرافقيه .

وبالطبع تجمعت الجماهير على المحطة يتقدمهم نياقة المطران الجليل ، ووقف الى جانبه السيد محمود الصياد شيخ السادة الصوفية ، وأعضاء مجلس بلدية المدينة .

وما إن نزل قداسة البابا ومرافقوه على الرصيف وسلموا على المستقبلين حتى ركبوا السيارات التى كانت قد أعدتها الجمعية الخيرية القبطية وطافوا شوارع المدينة . ثم انتهوا الى الكنيسة حيث رفعوا صلاة الشكر . وبديهي أن الشامسة طافوا مع الموكب وهم يرددون الالحان الكنسية ، وبديهي أيضا أن تعالت هتافات الشعب حينما مر الركب الباباوى .

وكان قد تقرر أن يبحر البابا المكرم وصحبه الباخرة « چنرال قوايارون » التى ستغادر ميناء بورسعيد صباح الثلاثاء ٢٤ ديسمبر . ولكنها لم تصل الى هذا الميناء المصرى الا فى منتصف ليلة الأربعاء (٢٥ منه) . ولما وجد قداسته أنه سينتظر يوماً بأكمله فى بورسعيد أقام قداساً حبرياً صباح الثلاثاء ، فأدى التأخير الى أن ينال الجميع بركة القداس الإلهى كما ينعم البعض منهم بسر التناول المقدس .

ولما انتهى قداسة البابا من الشعائر المقدسة زار محافظ بورسعيد وحكمدارها لشكرهم على ما قاموا به من خدمات تسهيلاً لإقامته ولتنقله ثم انتدب البابا الجليل مطران القدس وأسقف أبوتيج ليزورا حضرات العلماء والمشايخ ورؤساء مختلف الطوائف المسيحية وغيرهم ممن ساهموا فى الاحتفاء بهم . وقد تمت كل هذه الزيارات قبل موعد الغذاء . فعاد الجميع الى الفندق حيث تغدوا واسترحوا .

ووصلت الباخرة فى منتصف ليلة الأربعاء . وحالما رست صعد عليها القمص سيداروس اسحق وكيل مطرانية شبين الكوم يصحبه اثنان من الأراخنة . فقابلوا الربان

واستفهموا منه عن موعد قيام الباخرة ، فعلموا أنها لن تغادر الميناء إلا مساء اليوم التالي - الخميس ٢٦ منه - ليتمكن المسيحيون الغربيون من الاحتفال بعيد الميلاد المجيد . ولما عادوا وأبلغوا الأمر الى قداسة البابا فضل البقاء فى الفندق والمبيت فيه للاستراحة قبل الإبحار .

وفى الساعة السادسة من مساء الخميس أقلعت الباخرة . ولقد رأى قداسة البابا قبل الصعود إليها أن يرسل تلغرافاً الى الملك فؤاد وآخر الى الامبراطورة زوديتو والملك تفرى . كذلك لم يفته أن يشكر الشعب وكل من ساهم فى تكريمه ، فنشر شكره على صفحات الجرائد .

٢٠ - ولقد قطعت الباخرة قناة السويس فى اثنى عشرة ساعة ، دخلت بعدها البحر الأحمر . ومن نعمة الله أن البحر كان هادئاً ، والجو صافياً ، مما جعل الرحلة مريحة . وخلالها رأى قداسة البابا أن يرسل من وقت الى آخر ببرقيات الى النائب الباباوى ليطمئنه على سلامته هو والوفد الذى معه ، وليبعث ببركته الرسولية الى شعبه . فكان النائب الباباوى يرد عليه ببرقيات أيضاً معبراً فيها عن مشاعر الشعب نحوه وفرحته بالوقوف على أخباره .

ولقد بعث فرج بك موسى قنصل مصر فى أديس أبابا ببرقية الى قداسة البابا يحياه فيها هو ومرافقيه ، و يعلن له ولاءه وفرحه لتوقع مقابله . فرد عليه الأنبا يونس يشكره و يباركه .

أما ربان الباخرة فقد نال بركة مقابلة البابا المكرم بعد ظهر الأحد ٢٩ ديسمبر وقال أثناء هذه الزيارة بأنه كان من المقرر أن تصل الباخرة الى ميناء چيبوتى فى العاشرة من مساء الأثنين . ولكنه مراعاةً لضيافته الكبير أمر بتخفيف سرعة السير لتصل فى صباح الثلاثاء . وبما أنها ستظل فى الميناء الى ظهر اليوم عينه فإن لقداسته الحق فى أن يختار الساعة التى يشاء النزول فيها الى الشاطئ . كذلك وضع إحدى صالونات الباخرة تحت تصرف البابا الجليل لاستقبال الضيوف الذين سيحضرون للترحيب به . وبالطبع شكره قداسة البابا وأعطاه صورته موقعا عليها بيده هدية تذكارا للرحلة ، كما وزع مختلف الهدايا على الملاحين والركاب .

ولقد كان استقبال الاثيوين ورؤوسهم لقداسة البابا استقبالاً يليق حقاً بمن هو خليفة مارمرقس . فلم تدو الهتافات ولم تتدافع الجماهير الفقيرة فقط ، بل خشعت أمامه الأبصار ، وطأطأت الهامات ، وانحنى الرؤوس ، ولمست الجباه أديم الأرض ، وامتلات النفوس خشية وهيبة بعامل الاحترام والتقديس والحب لرئيس الكنيسة الأعلى (١) .

وانتدبت الحكومة وفدين لاستقبال البابا الجليل فى ميناء چيبوتى : الأول يمثل الكنيسة والثانى يمثل الحكومة . كذلك أعدت قطاراً خاصاً مؤلفاً من صالونين فخمين وثلاث عربات من الدرجة الأولى . وقد أوصل هذا القطار الوفدين الرسميين ومعهما قنصل مصر وسكرتير القنصلية

(١) هذا وصف يوسف جرجس فى كتابه ص ١٥١ .

المصرية ومسيحة عبد السيد مستشار وزارة المعارف الاثيوبية ووديع زكى مدير مدرسة منليك (١) وعبد الملك بطرس التاجر فى أديس أبابا . وهؤلاء المستقبلون ظلوا مع قداسة البابا ومرافقيه وصحبوهم فى السفر الى أديس أبابا .

ومما يجدر ذكره أن وفود المستقبلين : الرسميين وغير الرسميين وصلوا الى ميناء چيبوتى قبل وصول الباخرة بأربعة أيام . ولقد حمل الوفدان الرسميان رسائل من الامبراطورة زوديتو والملك تفرى، والملكة من يعبرون فيها عن غبطتهم التى لا توصف بزيارته ، ويعتذرون عن غدم إمكانهم الحضور شخصيا الى چيبوتى ، وما يحتاجهم من انفعالات توقعاً لرؤيته . كذلك حمل الوفد الكنسى رسالة من الأنبا كيرلس يعتذر فيها عن اضطراره الى البقاء الى جانب الملك تفرى فى حداده على عمه كما يقضى بروتكول البلاط الاثيوبى (٢) .

وغادر قداسة البابا هو ومرافقوه الباخرة حوالى الظهر واستصحبهم مستقبلوهم الى فندق « كونتنتال » اكبر فنادق المدينة حيث تغدوا . وكانوا قد أعدوا به جناحا خاصا ليستريح فيه قداسة البابا . كما رفعوا عند مدخله الأعلام المصرية والاثيوبية . ولقد سارع الصوماليون (٣) الى استقبال البابا المرقسى : مسلموهم ومسيحيوهم معبرين عن عميق احترامهم .

وبعد الغداء وقليل من الاستراحة ، قال رئيس وفد الحكومة للأنبا يونس بأن الامبراطورة زوديتو والملك تفرى لم يحددوا موعد قيام القطار الخاص تاركين الأمر له تبعاً لرغبته ولما تسمح به صحته . فأجاب قداسته بأنه مشتاق الى الدخول الى اثيوبيا فى أقرب وقت ، فيفضل السفر حالاً إذا أمكن . أجابه رئيس الوفد بأن كل ما يأمر به البابا المكرم مطاع . وخرج لتوه ليشرف على إعداد القطار الخاص . وبالفعل غادر القطار چيبوتى فى الثامنة والنصف من مساء اليوم نفسه .

وبديهى أن الشعب الحبشى كان آنذاك يتدافع نحو استقبال البابا المرقسى بنفس الحرارة وبنفس المحبة اللتين يتدافع بهما القبط نحوه . فغصت محطات السكك الحديدية التى كان القطار سيمر عليها بالجماهير . وأول محطة وقف فيها القطار ونزل منه قداسة البابا ومرافقوه كانت ديراداوا . وكانت مزينة بالأعلام المصرية والاثيوبية فتقدم الكهنة والشمامسة يحيون البابا الجليل يتبعهم الجنود ، وأحاطوا به ومرافقيه ، فألفوا بذلك موكبا فخما وساروا بهم من المحطة الى سراى الحاكم للمنطقة . وهى فى الواقع سراى الملك تفرى يقيم فيها الحاكم نيابة عنه أثناء وجوده فى أديس أبابا . وتقع هذه السراى على ربوة عالية تمكن ساكنيها من الإشراف على المدينة فى مجملها .

(١) هذا دليل على تحقيق رغبة البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس باستمرار الكنيسة القبطية فى تأدية رسالتها التعليمية فى اثيوبيا .

(٢) كان عم الملك قد مات على أثر سقوط طيارته التى كان يقودها بنفسه . وكان مصرعه فى الفترة التى قضاها قداسة البابا فى بورسعيد .

(٣) لأن ميناء چيبوتى أرض صومالية .

وعندما وصلوا الى السراى وجد قداسة البابا الكهنة والشمامسة المكلفين بانتظاره هناك - وهم قد أتوا من كل حدب وصوب لهذه المناسبة العظمى . وفى جانب من حديقة السراى أقيم سرادق فسيح . فاستراح البابا الجليل على الكرسي الوثير المهيأ له . ثم رفعت الستار عن مسرح مقام فى ركن من السرادق وأخذ الكهنة والشمامسة ينشدون ويرقصون الأناشيد والرقصات الدينية القومية . وكانت وجوههم ونبرات أصواتهم تعبر عن الفرح والحماس اللذين امتلأت بهما نفوسهم لرؤية راعيهم الأول .

فلما انتهوا تقدم كاهن الكنيسة اليونانية وألقى كلمة ترحيب باللغة العربية . وتبعه توفيق ميخائيل (وهو قبطى أيضا) المدرس بمدرسة هرر ، فتحدث أولا بالقبطية ثم بالعربية مرحبا بالبابا الجليل .

وأختتم قداسة الأنبا يونس الحفلة بأن وقف وتحدث الى المجتمعين ثم شكرهم وباركهم لأنهم أتوا من جهات بعيدة متباينة ، مستهينين بمشاق السفر لكى يستقبلوه . فلما انتهى تراكض الجميع ليسلموا عليه الى درجة جعلت المسؤولين يخافون عليه من هذا التزاحم . ولكنهم أصروا على تنفيذ رغبتهم فى تقبيل يده قائلين : « إننا لم نستهن بالسفر الطويل ومتاعبه الا لننال هذه البركة . فأمر قداسته بأن يتركوهم ، وقدم الى كل منهم الصليب الذى فى يده ليقبله . ولما فرح الجميع بخصولهم على هذه البركة الرسولية صعد البابا الجليل الى غرفته ليستريح قليلا . ثم نزل الساعة الخامسة بعد الظهر وقصد الى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل حيث رفع صلاة الشكر ، وقصد معه مرافقوه ومستقبلوه وعدد غير قليل من الشعب .

ثم غادر البابا الجليل ومرافقوه والوفدان الرسميان - غادروا جميعهم ديراداوا صباح الخميس ٢ يناير سنة ١٩٣٠ بالقطار الخاص الذى كان يقف على كل محطة فى الطريق . وكان المسئولون يكتبون أحيانا بمجرد الوقوف ، ولكنهم فى غيرها كانوا يقفون الفترة الكافية لغداء الضيوف ولتقبلهم باقات الزهور التى كان يحملها الأطفال الى قداسة البابا . وفى مثل هذه المناسبات كان البابا الجليل يتحدث الى الجماهير المتدافعة نحوه بكلمات روحية عميقة ويمنحهم بركته الرسولية .

وحينما تحرك القطار من محطة مودجورأى الجميع طيارتين تطيران على ارتفاع منخفض وتنثران باقات من الزهور مربوطة بشرائط حريرية بألوان العلم الاثيوبى ومشبوكة الى أوراق مذهبة اللون مطبوع عليها باللغتين الاثيوبية والفرنسية ما ترجمته : « تستقبل الحبشة بملء الفرح

قداسة أبونا (١) يؤنس بطريك الاسكندرية والنوبة والحبشة . وأنا الطيار بأمر الملك تفرى ماكونن جئت لأنثر من الطائرة هذه الزهور اشتراكا فى الفرح . الطيار مايبه » .

٢١- أخيراً وصل القطار الى أديس أبابا- وصل الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ٣ يناير . وكانت المحطة مزدانة بالأعلام الأثيوبية والمصرية (والفرنسية أيضا !) . وما إن وقف القطار حتى صعد نيافة الأنبا كيرلس ، وتعانق الراعيان تعانق الأخوة الذين تربطهم الكرامة الكهنوتية . ثم نزلا معاً يتبعهما مرافقو البابا والمندوبون الذين كانوا قد استقبلوهم فى جيبوتى . وأول من كان واقفا فى انتظارهم على الرصيف عند باب القطار بالضبط كان الملك تفرى ماكونن ، وعلى جانبه الرؤوس ، ومن خلفه وزراء الدول وقناصلها وكبار الشعب الاثيوبى . وعندما وطئت قدما الأنبا يؤنس رصيف المحطة سجد الملك أمامه ، فرفعه قداسة البابا بيمينه ، وقدم له الصليب فقبله وقبل يده ، ثم قدم له باقة من الزهور .

وبعد أن قدم الملك كبار مرافقيه الى البابا الجليل ، قصد الجميع الى بهو الاستقبال . فجلس قداسة البابا على الكرسي المعد له بينما جلس الملك عن يمينه . وأما الأنبا كيرلس والأنبا لوكاس والأنبا يوساب فقد جلسوا عن يساره . وحالما جلس الجميع وقف الأنبا يؤنس وألقى كلمة عبر بها عن فرحته بزيارة أبنائه الاثيوبيين فى عاصمة بلادهم ، وعن شكره للآب السماوى الذى هياأ له فرصة هذا اللقاء البهيج . ثم تضرع الى الله أن يحفظ الألفة والمودة بين الكنيستين القبطية والاثيوبية ، وأن يملأ قلوب الشعبين بالمحبة التى هى اساس كل البنيان .

ثم قام الجميع : فركب البابا الجليل سيارة ملكية ، وجلس نيافة الأنبا كيرلس عن يساره . بينما جلس الملك على كرسي أمامهما . أما نيافة المطرانين المصاحبين لقداسة البابا فركبا سيارة أخرى وركب معها الرأس كاسا الذى كان يلى الملك فى المكانة الاجتماعية . ثم ركب الباقون سيارات أخرى سارت خلف السيارة الرئيسية ، وأحاطت بالجميع كوكبة من الفرسان ، بينما تقدمت الركب فرقة الحرس الامبراطورى بملابسهم الرسمية . ومن البديهي أن الشوارع والميادين كانت على أجمل زينة ، وقد أرتفعت الأعلام متناثرة بينها ، وسطعت عليها الأنوار . ومن البديهي أيضا أن القنصلية المصرية تزينت واجهتها بالأنوار التى تتخللها الأعلام . وكذلك كان حال كل المباني الحكومية والأهلية .

(١) مما يجب الإشارة اليه أن أكبر لقب يعطيه الاثيوبيون للراعى الأول فى كنيستهم هو « أبونا » . ولقد كانت هذه الكلمة بعينها هى اللقب الأكبر السائد بين القبط للتعبير به عن أبوة البابا والأسقف والكاهن ، فيقولون « أبونا البطرك » أو « أبونا الأسقف » ، وعند استعمالها من غير صفة تتبعها تعنى أبانا الكاهن . فهم كانوا على يقين من أن الصلة التى تربطهم بكهنتهم (على اختلاف درجاتهم) هى تلك الصلة العليا التى اختارها الله لنفسه « سيدنا » الذى أصبح شائعا الآن فلم يكن له وجود إلا منذ أن حاد المسئولون عن قانون انتخاب الراهب للباباوية . فلم يتفاوضوا عن تطبيق القانون فحسب ، بل استعملوا أيضا تعبيراً جديداً تجاه المطران الذى أصبح بابا ، ولم يلبث هذا التعبير أن شمل كل الاساقفة .

ووصل الركب الباباوى الى القصر الملكى فعزفت الفرقة الموسيقية السلام الامبراطورى . ولما جلس البابا الجليل فى الصالة الكبرى قدم له الملك أنجاله وكرماته فباركهم . ثم ألقى أكبر الأمراء سنا خطاباً بالفرنسية . وتبعته أخته فألقت الخطاب عينه بالاثيوبية ثم ألقى فرج بك موسى ترجمته بالعربية . وبعد ذلك قدم أصغر الأمراء باقة من الزهور .

٢٢- وكانت الحكومة قد أعدت برنامجاً لتنقل قداسة البابا من استقباله يوم السبت ٣ يناير الى الاثنين ٢٠ منه ، إذ كان من المقرر أن يعود قداسته الى مصر يوم الثلاثاء ٢١ . فكان مقرراً أن تقام حفلة رسمية فى العاشرة من صباح السبت فى قصر الامبراطورة زوديتو . على أن صحة البابا الجليل انخرقت فى الليل مما اضطره الى ملازمة الفراش ، فألغيت الحفلة . وقد ذهب صاحباً النيافة المرافقان لقداسته الى كنيسة مارمرقس الملحقة بالقصر للابتهاال الى الله بأن يتفضل فيشفى البابا الجليل . وقد حضرت الامبراطورة زوديتو هذه الصلاة بنفسها كما انهالت الاستفسارات الشخصية والتليفونية على القصر الذى كان قداسته مقياً فيه . ومن نعمة الله أن صحة قداسته تحسنت عند المساء .

وقد رجا الملك تفرى من البابا الجليل أن يظل فى غرفته يوم الأحد حرصاً على سلامته . فأقام الأنبا لوكاس القداس الالهى . ومن عادة الاثيوبيين أن يبدأوا صلواتهم يوم الأحد فى الخامسة صباحاً وينتھوا منها فى الثامنة . كما جرت العادة أن يدعو الملك جنوده الحاضرين فى الكنيسة الى الافطار على مائدته .

ولقد حضرت الامبراطورة زوديتو هذا القداس أيضاً من بدايته فى مقصورتها الخاصة . أما الملك فكان واقفاً بين الشعب طيلة الصلوات بملابسه العادية ، كما كان يشترك فى ترديد المزامير والمردات . وقد بدى على الوجوه مدى التأثر والتعاطف لسماع القداس القبطى بألحانه المصرية العريقة .

وما إن انتهت الشعائر المقدسة حتى رجا الأنبا كيرلس من الملك أن يزور المطرانان وحبيب جرجس الامبراطورة . فأرسل رسوله اليها فوافقت على الفور . ولما دخلوا مقصورتها وجدوها واقفة وأمامها سفر المزامير وكتاب الصلوات موضوعان على كرسى خاص . وقد أوصلوا إليها البركة الباباوية الرسولية . فشكرتهم وسألت عن صحة قداسة البابا ، وعبرت عن أسفها لعدم إمكانها رؤيته الى تلك الساعة .

ولما غادر الآباء وصحبهم المقصورة الامبراطورية وعادوا الى الكنيسة تراحت الجماهير عليهم لنوال بركتهم .

وقد أوصل الآباء المطارنة سلام الامبراطورة وتلهفها على الاطمئنان على صحة قداسة

البابا . فطلب الى الأنبا كيرلس الاتصال بقصرها لتحديد موعد لوفد يرسله قداسته ليقدم لها الشكر على مدى اهتمامها بصحته . فحددت لهم الساعة الرابعة من اليوم عينه ، وأرسلت لهم سيارتين . فذهب المطارنة ومعهم حبيب جرجس والقمص يعقوب الحبشى المترجم الرسمى للأنبا كيرلس . وفى أثناء تبادل التحيات عادت الامبراطورة تعبر عن أسفها لأنها لم تنل بركة رؤية قداسة البابا بعد ، وأنها هى التى كان يجب عليها المبادرة بالسؤال عنه . فقال لها الأنبا يوساب : مادام الشعور متبادلاً بين الأب والابن فلا فرق بين أن يسأل الأب أولاً أو الابن أولاً . وقد انشحت الامبراطورة لهذه الإجابة .

ثم قام حبيب جرجس فألقى كلمة أوضح فيها الصلات التى تربط بين الكنيستين القبطية والحبشة بصفة عامة ، والصلات التى ازدادت ترابطاً بين الكنيسة القبطية والامبراطور منليك (والد الامبراطورة زوديتو) بصفة خاصة . ثم أكد فرحة الأنبا يونس بزيارة اثيوبيا والتقاءه مع أبنائه الاثيوبيين وجهاً لوجه . ولكونه ممتلىء حباً بهم فقد قرر تدريس اللغة الاثيوبية فى كل من الاكليريكية ومدرسة الرهبان بجلوان .

وعندما انتهى قالت الامبراطورة بأنها كثيراً ما عزمت على زيارة القبر المقدس ثم الاتجاه من القدس الى مصر لتزور قبر مارمرقس وتتزود ببركته وبركة خليفته . ولكن الله لم يهيه لها الفرصة بعد لتحقيق هذا الأمنية العزيرة .

وفى اليوم التالى - الاثنين ٦ يناير - تحسنت صحة البابا الجليل الى حد أن الأطباء المسئولين عن علاجه أذنوا بإمكانية مقابله . وما إن علمت الامبراطورة زوديتو بهذا النبأ حتى سارعت الى زيارته فى التاسعة من صباح اليوم عينه . وبعد أن قبلت يديه وجلست لم تستطع أن تضبط دموعها التى انهمرت على خديها . وأعلنت أنها كانت مشتاقة الشوق كله الى رؤيته ونوال بركته ، ولم يعقها عن ذلك إلا أمر الأطباء ، فاضطرت الى الاكتفاء بالمكالمات التليفونية . وهى ترفع الشكر لله الذى أتاح لها أخيراً أن تحظى بالبركة الرسولية مباشرة . ولم تكد تخرج من الغرفة حتى دخل الملك تفرى والملكة من . وبعد تبادل التحية قال البابا الجليل للملك إنه يرغب فى وضع الحجر الأساسى لكنيسة قبطية فى الدار المطرانية . فتهلل وجه الملك وهوىعلن ترحيبه بهذه الرغبة ، وأضاف قائلاً بأنه هو أيضاً قرر بناء كنيسة فى قصره ويسعده أن يضع قداسة البابا حجرها الأساسى .

ونظراً لتحسن صحة البابا تقرر إقامة حفلة الاستقبال الرسمية فى التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء - أى صباح عيد الميلاد المجيد ومع كونها رسمية إلا أن الشعب خرج عن بكرة أبيه ليتبرك برؤية قداسة البابا . فكانت حفلة رسمية شعبية فى آن واحد إذ قد حمل الشعب طبوله ونواقيسه ، كما حمل الكهنة الصلبان والمجامر ، وسار الجميع أمام السيارة الباباوية .

وكانت الحفلة فى القصر الامبراطورى . فبعد أن أخذ الجميع أماكنهم فى قاعة الاستقبال ، وقف الأنبا لوكاس وألقى كلمة نيابة عن قداسة البابا الذى كان قد طلب اليه ذلك . وقد تحدث باللغة الفرنسية فى وضوح وسلاسة ثم ترجمها إلى الأثيوبية كاتب المطرانية القبطية . ولما انتهى المترجم تحدث الأنبا كيرلس مطران الكرسى الاثيوبى . وبعده قدم قداسة البابا شكره على كل هذه الحماسة الدافقة وأعطى الجميع بركته الرسولية . وحالما انتهى بدأ الكهنة الاثيوبيون ترانيمهم الروحية ورقصاتهم الدينية ، وبذلك أختتموا الحفلة . وقبل الأنصراف وزع البابا الجليل الهدايا على العائلة الملكية .

ومن نعمة الله أن صحة قداسة البابا تحسنت الى حد مكنه من أن يؤدي شعائر القداس الالهى صباح الخميس ٩ يناير . وقد تناول الأسرار المقدسة من يده الكريمة الامبراطورة والملك وأولادهما .

وبعد الظهر من اليوم عينه ذهب البابا الجليل ومرافقوه الى القنصلية المصرية حيث تناولوا الشاي . وكان فرج بك موسى ومن معه قد اعتزموا إقامة مأدبة غداء يوم الأحد احتفاءً بالضيوف الكرام ، ولكن نظراً للوعكة التى أصيب بها قداسة البابا تقرر الاستعجال فى العودة الى مصر مما اضطرتهم الى إلغاء هذه المأدبة .

٢٣ - وعندما انتهوا من حفلة الشاي ذهب قداسة البابا وصحبه لمشاهدة عمارة منيفة تقرر إنشاء مدرستين بها : إحداهما لاهوتية وثانيتها تعليمية ، كما تقرر إطلاق اسم الأنبا يونس على كليتها . وكان الملك والرأس كاسا وكبار رجال الدولة فى أنتظارهم ، فطافوا بهم فى حجراتها وقاعاتها ، وامتلأت قلوبهم سروراً بما شاهدوه . وقد سلم وزير الأشغال (وهوبانى العمارة) مفتاحها لقداسته معلناً أنها أصبحت ملكاً له مادامت تحمل اسمه الكريم .

وكان عصر ذلك اليوم فائضاً بالبركة إذ قد انتقل قداسة البابا ومرافقوه بعد ذلك الى الدار المطرانية . وهناك أقيمت الشعائر الكنسية الخاصة بإرساء حجر الأساس ، وخلالها أرسى البابا الجليل حجر الأساس للكنيسة التى كان الأنبا كيرلس متشوقاً الى بنائها . ثم اتجه الراكب كله الى المكان الذى كان الملك قد انتقاه داخل حديقة قصره لإقامة كنيسة عليه . فأدى البابا الجليل الشعائر المقدسة وأرسى حجر الأساس لكنيسة الثالوث الأقدس . وحينما شرع قداسته فى الصلوات أخذ المطر يهطل ، فخاف الملك عليه وطلب اليه التأجيل . ولكن البابا الجليل قال له بأن المطر علامة خير وبركة ، وأنه يحس بفرح روحى حين يجد نفسه قادراً على تأدية خدمة لأبنائه الاثيوبيين . وهكذا أقيمت الشعائر الروحية وتم وضع الحجر الأساسى للكنيسة المطلوبة . وتقديراً لهذه الخدمة الروحية التى أصر الأنبا يونس على تأديتها ، أهدى اليه صاحبها الجلالة الامبراطورة زوديتو والملك تفرى أعلى وشاح فى دولتهم وهو (وشاح صليب سليمان) ، كما أهدى اليه تاجاً

وصولها ومظلة من القטיפه ذات اللون النبيذى مزركشة بخيوط ذهبية ، وساعة من الذهب مرصعة بالماس عليها صورة الملك . وفوق هذه الهدايا التى ترمز الى المجد العالمى ، أهدى إليه الأمراء كتابين دينيين ، غلافهما مذهبان ، كما قدمت له الملكة صليباً لليد من الذهب الخالص . ثم وزعوا مختلف الأوسمة والهدايا على المرافقين .

أما قداسة البابا - فبالإضافة الى الهدايا الشخصية - فقد أهدى مجموعة من الأوانى الذهبية لاستعمالها فى حمل الأسرار المقدسة ، وغطاء للمذبح ، ومجموعة من اللقائف : وكلها من الحرير الطبيعى . ثم بعد أن وصل قداسته الى مصر بعث يطلب من فرنسا ثلاثة نواقيس وأرسلها هدية : إحداها للكنيسة التى كان قد بناها الامبراطور منليك ، وثانيها لكنيسة المطرانية ، وثالثها لكنيسة الثالوث الأقدس .

وقد أهدى الى الامبراطورة زوديتونسخة من الكتاب المقدس بالاثيوبية مغلقة بغلاف من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الثمينة ، ومعه حامل للكتاب مصنوع من العاج المزخرف . بينما أهدى الى الملك دواة يعلو غطاءها ملاك رافع جناحيه الى أعلا ، وساعة للمكتب عليها صورة للسيد للمسيح . وفى توزيعه الهدايا لم ينس قداسة البابا أحد ممن أدوا له اية خدمة : فمثلاً أعطى ألف ريال للرجال الذين خدموه فى قصر الضيافة ، ومبالغ مماثلة للعاملين فى المطرانية القبطية وفى القنصلية المصرية ، ولعمال السكك الحديدية فى المحطات التى توقف فيها قطاره .

٢٤ - ونظراً للوعكة الصحية قرر البابا الجليل أن يغادر العاصمة الأثيوبية يوم الجمعة ١٠ يناير ، فلم يقض بتلك البلاد غير ستة أيام من الثمانية عشرة التى كانت مقررة فى البداية . ففى الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم ترك قداسة البابا قصر الضيافة متجها الى محطة السكة الحديدية ، يتبعه موكب ملكى فخم . وقد أصرت الامبراطورة زوديتو على أن تكون على رأس هذا الموكب - وهى المرة الوحيدة التى ودعت فيها ضيفاً على رصيف المحطة . وغنى عن القول بأن الجماهير ودعت خليفة مارمرقس بالحماسة والتهليل اللتين استقبلته بهما . واستراح قداسته فترة فى قاعة الاستقبال حيث تبادل الجميع الخطب التى عبروا فيها عما تكنه القلوب من الود والمحبة . وبعدما منح البابا الجليل بركته الرسولية لمودعيه صعد الى صالونه الخاص بالقطار . وأبت الامبراطورة إلا أن تصعد معه . ثم قدمت لقداسته ومرافقيه هدايا شخصية من أكواب فضية أثرية ومداليات ذهبية . ثم قبلت يد البابا الجليل ووقفت على الرصيف الى أن توارى القطار عن الأنظار .

ولقد كانت العودة على باخرة فرنسية أيضاً تحمل اسم « رولون جارو » التى أقلعت من جيبوتى فى السادسة من مساء الأحد ١٢ يناير ، فوصلت السويس فى الرابعة من بعد ظهر السبت ١٨ يناير . وما إن أقلت مرساها حتى بادر محمد بك صادق خلوصى المحافظ ومعه عدد من كبار

الموظفين وأعضاء الجمعية القبطية بالصعود إليها لاستقبال البابا الجليل . كذلك تزامت الزوارق المزينة بالأعلام حول الباخرة .

ولقد تلقى المحافظ إشارة تليفونية من الديوان الملكي قبيل صعوده الى الباخرة هذا نصها : « قد تفضل صاحب الجلالة الملك فأصدر أمره الكريم بأن تقابلوا غبطة البطريرك بالنيابة عن جلالته وتبلغوا تمنيات جلالته بمناسبة عودته من الحبشة » . فرد قداسة البابا على هذه الإشارة التليفونية ببرقية الى كبير الأمناء بسراى عابدين ليرفعها الى الملك . كذلك أرسل قداسته برقيات الى كل من الأنبا كيرلس والامبراطورة زوديتو والملك تفرى يخبرهم فيها بسلامة وصوله هو ومرافقيه الى أرض الوطن .

ومن نعمة الله أن الليلة التي قضاها الأنبا يونس وصحبه بالسويس كانت ليلة عيد الغطاس المجيد ، فأقام صلوات قداس هذه اليلة المجيدة من الثامنة الى العاشرة مساءً . وازدحمت الكنيسة تماماً إذ قد اشترك المسلمون والأجانب مع القبط فى الاحتفاء بالعيد .

ومما يجب ذكره أن المحافظة أقامت سرادقا فخماً للاحتفاء باستقبال البابا الجليل . وفى منتصف الساعة العاشرة من صباح الأحد ١٩ يناير توافدت الجموع على هذا السرادق . وبعد تقديم الحلوى والسجاير قام فضيلة الشيخ الشرعى فألقى خطبة ضافية نقتطف منها ما يلى : « لقد كان من الحظ المسعود لهذه المدينة أن يكون لها شرف السبق فى استقبال ذلكم الحبر الجليل . والاحتفاء بمقدم ذياكم البطريرك العظيم . ألا وهو الأنبا يونس . كما كان من نصيبى المحمود أن أكون وأنا أمثل الشريعة الإسلامية والقضاء الشرعى فى هذا البلد الأمين - أول خطيب يحى غبطته و يرحب بمقدمه و ينثر بين يديه زهور التكريم والتبجيل . نعم يا صاحب الغبطة إنا نحبيك . وهو الواجب القومى إنا نكرمك . فإنك الخلف الطيب لذلك السلف العظيم ألا وهو القديس المثلث الرحمات الأنبا كيرلس الذى ألف الله على يديه المباركتين عنصرى هذه الأمة حتى محاً من سجل تاريخها كلمة مسلم وقبطى ومسجد وكنيسة . وأبدل ذلك بما وحد الصفوف وجمع بين العالم والقسيس فصار الكل مصرياً والدين لله والوطن للجميع وتألقت ببركته من أول يوم من أيام الجهاد الوطنى تلك الكتيبة القوية التى كان قائدها سعدا وأركان حرها مرقصا ومكرما و و يصا وواصفا وغيرهم من أولئك الذين حملوا راية الاستقلال وتقدموا فى جبهة الدفاع . وأذنوا فى الناس بأن علينا أن نعيش أحراراً أو نموت كراما . فدخل الناس فى دين الوطنىة أفواجا أفواجا . وهم على قلب رجل واحد ولسان واحد حتى أصغت القوة لكلمتهم بعد أن كانت قد صمّت الآذان عنهم . ونظرت فى مطلبهم بعد ما رمته فى سلة المهملات ولا غرابة يا أصحاب الغبطة والنيافة فى مودة المسلمين لإخوانهم الأقباط والأقباط لإخوانهم المسلمين فقد جمعهم الله فى صعيد واحد وتحمت سماء واحد وما جمعه الله لا يفرقه العباد . والله تعالى يقول فى كتابه الكريم : « ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى وذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

لا يستكبرون» و يقول رسول الله (صلعم) : « من أذى ذمياً في نفسه أو ماله أو عرضه كنت خصماً له يوم القيامة... » (١) .

ولما انتهى القاضى الشرعى من كلمته خطب الدكتور ناشد فهمى وتبعه أحد مدرسى المدرسة القبطية معبرين عن فرحتهم برؤية قداسة البابا ومرافقيه ، ومهنيين بسلامة الوصول .

وقد غادر الأنبا يونس هو وصحبه مدينة السويس فى ظهر ذلك اليوم عينه . وكانت الجماهير من قبط ومسلمين تزحم أرصفة المحطات على طول الطريق ، لأن القطار رسا فيها جميعا . فوصلوا بسلامة الله الى القاهرة الرابعة والنصف من بعد الظهر . وبالطبع كان المستقبلون بالآلاف ، وفى مقدمتهم فايق بك يكن تشريفاتى بالقصر الملكى مندوباً عن الملك فؤاد ، ومحمود بك فؤاد موفداً من رئيس الوزراء ، ومعهما رئيس مجلس النواب ومحافظ القاهرة وعدد وفير من رجال الدولة ورجال الكنيسة .

أما الدرب الواسع (٢) فقد اصطف على جانبيه تلاميذ مدرستى الأقباط الكبرى والسلام مع فرقة موسيقى ملجأ الأيتام . بينما اصطف شمامسة جمعيتى نهضة الكنائس وأبناء الكنيسة ومعهم شمامسة الكاتدرائية المرقسية داخل فناء الكنيسة بملابسهم البيضاء ، وفى أيديهم الشموع والدفوف . وما إن وصلت سيارة البابا الجليل الى مدخل الدرب الواسع حتى رنت أجراس الكنيسة ، ثم أخذ الشمامسة يترغمون بالألحان الكنسية أتبعوها بنشيد ألفه وهبى بك الذى كان مديراً للمدراس القبطية (٣) . وقد ظل سيل الوفود والأفراد يتدفق على الدار الباباوية للتهنئة بسلامة الوصول ، وللتعبير عن فرحتهم ومحبتهم . بينما توافد الوزراء ومندوبو الكنائس المختلفة من مساء الأحد الى مساء السبت— أى خلال الأسبوع كله .

ثم قصد الأنبا يونس الى السراى الملكية بالقبة فى الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح الأثنين ٢٧ يناير— فى الموعد الذى سبق تحديده . فقابل الملك فؤاد وأبلغه تحيات الامبراطورة زوديتو والملك تفرى وتمنياتها لجلالته ولأهل بيته وللشعب المصرى . ثم وصف له أهم معالم رحلته ومالقيه خلالها من الإكرام ، وبعدها شكره على اهتمامه من البداية بهذه الزيارة لاثيوبيا . فأعلن له الملك فؤاد عن ارتياحه العميق لكل ما سمع وتمنى له المزيد من التوفيق .

(١) يوسف جرجس ص ٢٠٢—٢٠٤ ، والذميون أو أهل الذمة هم المسيحيون .

(٢) هو الآن « شارع الكنيسة المرقسية » إذ تقوم فيه الكاتدرائية المشيد الى جانبها مقر البابا المرقسى ، وقد ظلت المركز للباباوات من عهد الأنبا مرقس الثامن (البابا المنة والثامن سنة ١٧٩٧ - سنة ١٨١٠) الى عهد أنبا كيرلس السادس (البابا الـ ١١٦ — سنة ١٩٥٩ — ١٩٧١) ، ثم نقله البابا شنودة الثالث — أطال الله حياته — الى الأنبا رويس بالعباسية .

(٣) راجع ما جاء عنه فى حـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٨٧ .

ولما انتهى المهنتون من التعبير عن مشاعرهم نشر قداسة البابا شكره إياهم جميعاً على صفحات الجرائد كذلك أرسل بطاقات شخصية للوزراء . وهكذا انتهت هذه الرحلة الراحوية بسلام وارتاح لها الجميع .

٢٥- على أنه وسط هذه الأحداث المفرحة رنت نغمة من النشاز— ذلك أنه كان قد حدث أن استولى المجلس الملى على أوقاف الكنائس بالقاهرة وضواحيها ، وعلى أوقاف الأديرة الخمسة للراهبات ، كما وضع اليد على أوقاف المدارس ووارداتها . ثم وُحِد الوارد من كل هذه المنشآت على اعتبار أنه سيصرف مرتبات العاملين في المدارس ويسد احتياجات الراهبات . إلا أنه من بوؤنة سنة ١٦٤٨ (يونيو سنة ١٩٣٢) ظل شهوراً طويلة لا يصرف مرتباً لأى شخص ولا يدفع لأى دير شيئاً . وكلما طالبوه بحقوقهم أجاب بأنه لا يوجد مال لديه ! وبالطبع لا يستطيع المدرسون والمدرسات (على الأقل) أن يعيشوا من غير مرتب حتى لو افترضنا جدلاً بأنه فى مقدور الكهنة والراهبات أن يصبروا ! ونتيجة لهذه الإجابة المقلقة التى بدا أنها لن تنتهى رفع الكهنة عريضة الى رئيس مجلس الوزراء راجين منه أن يصدر قراراً بفصل أوقاف الكنائس وأديرة الراهبات والمدارس عن المجلس الملى العام وإعادةها الى البطريكية . ومع أن القرار المطلوب لم يصدر إلا أن المظلومين نالوا حقوقهم بأن صرفت لهم مرتباتهم (١) . وذلك لأن مجلس الوزراء قرر منح البطريكية القبطية ثلاثة آلاف جنيهاً مصرياً لمعاونتها على الخروج من ضائقتها المالية . ثم منحها بعد عدة شهور ألفى جنية أخرى . وهكذا أراحت الحكومة الكهنة والمدرسين والمدرسات والراهبات الذين عاشوا فى ضيق بضعة شهور . فحقاً إن الله لا ينسى تعب المحبة .

٢٦- ومما يجدر ذكره أن تصاعد الوعى القومى لازمة بالضرورة تزايد الوعى بالتراث القومى . وقد نتج عن هذا التصاعد أن دعا مريت غالى (حفيد لبطرس باشا غالى) بعض الأراخنة وتشاوروا معاً فى وجوب توجيه الرأى العام الى التراث القبطى العريق . فأدى تشاورهم الى عقد جمعية عمومية يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩٣٤ أعلنوا فيها تأسيس « جمعية محبى الفن القبطى » ، واختاروا صاحب الدعوة رئيساً للجمعية الناشئة . وللوصول الى هدفهم أصدرت مجلة سنوية ظهر أول عدد منها سنة ١٩٣٥ ، ونظموا رحلات للأماكن الأثرية . كذلك قام بعض العلماء من مشتركهم بحفريات فى بعض مناطق الصعيد لم يكن المنقبون قد عملوا فيها . ولقد كانت المقالات التى تنشرها المجلة تنشر بلغات كاتبها ، فتضمنت المجلة أبحاثاً بالفرنسية والانجليزية والألمانية الى جانب القبطية والعربية . وكان يأتى فى آخر البحث ملخص له بالعربية . ولقد كان المقال الافتتاحى للعدد الأول على شكل « مقدمة » لتوضيح الغرض الأساسى من إنشاء الجمعية ومن إصدار المجلة ، وكان بالفرنسية ليتمكن الأجانب المهتمون بالدراسات القبطية من مطالعته . ونقتبس هنا منه ما يأتى : « ... إن التصوف الفكرى لمصر

(١) هذه المعاملة هى إحدى الأدلة على أسباب تثبيت البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس بوجود استمرار الأوقاف تحت إدارة أصحابها ، وهم البطريكية ورؤساء الأديرة إذ كان يتميز بالشفافية الروحية .

المسيحية له روحانيوه والمتبحرون فيه . ففى مصر نشأ آباء الصحراء ومؤسسو الرهبنة ، وخلفوا تلاميذهم ومريديهم ومؤلفاتهم ، والفنون القبطية لها روعتها ومحبوها « ... ومن الخطأ أن يزعم البعض أن بضعة القرون التى تؤلف العصر القبطى هى حقبة منفصلة ، لأن مصر بعراقتها وثبوت تقاليدها تشمل كل أحقاب تاريخها الطويل الغائر فى القدم الممتد الى اليوم ... وهكذا نجد من حقبة الى أخرى بصمات الشخصية المصرية ... إذن فليس من المنطق فى شىء لأى محب للتراث المصرى أن يظل على الحياد فيما يتعلق بالحياة العنيفة الفوارة- روحيا وفنيا- التى اتسمت بها الحقبة القبطية . ولهذا فجمعيتنا توجه نداءها الى كل مصرى صميم متشوق الى الارتشاف من المنهل العذب الذى فجره له آباؤه . كما توجه نداءها الى كل إنسان مرهف الإحساس بالإنتاجات الإنسانية العليا ... ونحن نرجو أن نقدم الى هذا وذلك كل ما يمكننا تقديمه من معرفة خاصة بالحقبة القبطية ليجد أن مصر باندفاعها الروحية والفكرية لم تسطع على الشرق الأوسط فقط بل امتد نورها أيضا ليشمل حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومنه الى إنجلترا وايرلندا ، ثم استدار لينير سو يسرا وما حولها ... (١)

ثم رأى مريت غالى والعاملون معه أنه من الأوفق تغيير اسم الجمعية الى « جمعية الآثار القبطية » ، وذلك ابتداءً من سنة ١٩٣٨ . والسبب لهذا التغيير كثرة العلماء الذين ساهموا بأبحاثهم أو بحفرياتهم مما وسع دائرة العمل ورفعته من مجرد « هواية » أو « محبة للفن » الى دراسة علمية مدعمة بالأسانيد فى كل مجالات العلوم والفنون . ومن نعمة الله أن الجمعية مازالت باقية تباشر نشاطها قدر إمكاناتها . وهى مازالت أيضا تحت رياسة مؤسسها مريت غالى . ومما يجدر ذكره بالاعتزاز أن المجلة التى تصدرها موجودة فى كل المكتبات العالمية الكبرى كمكتبة المتحف البريطانى والأهلية بباريس والعامية بنيو يورك . ويصحب المجلة عدد من الكتب نشرتها الجمعية على نفقتها ، وأشهر هذه الكتب الأجزاء الأخيرة من « تاريخ البطارقة » ...

٢٧- ولما كانت اثيوبيا هى الدولة المستقلة الوحيدة بين الدول داخل افريقيا ، فإن هذا الاستقلال لم يرق فى عيون الأوربيين الطامعين . وتلفتت ايطاليا فرأت أن لانجلترا وفرنسا بلاداً واسعة تحت سيطرتها . وبما أنها أوربية مثلها- فلماذا لا يكون لها هى أيضا مستعمرات تحكمها وتمتلىء غروراً بسيطرتها عليها؟! وحين تراحت هذه الخيالات فى عقول الحكام الايطاليين قرروا الهجوم على اثيوبيا ، خصوصا وأنهم كانوا قد حاولوا قبل ذلك الاستيلاء على هذا البلد الامين ففشلوا (فى المعركة المعروفة بمعركة عدوى) . وعلى ذلك أرسلوا جيوشهم لمحاربة الاثيوبيين فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

وقامت معارك ضارية بين طرفين غير متكافئين ، فالأحباش مازالوا يستعملون الأسلحة

(١) صدر هذا العدد فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

القديمة التي اعتادوها منذ أجيال ، والطلليان مستعدون بأحدث الأسلحة . ورغم هذا التفاوت الشاسع فقد استمرت المعارك سبعة شهور قبل أن يتمكن الطليان من الاثيوبين ! ولو كان الضمير الإنساني صاحياً لسارع البعض على الأقل الى مد الشعب المدافع عن أرضه بالأسلحة التي تمكنه من أن يذود عن حرّيته . ولكن المثل الانجليزي يقول : « من كان عائشاً في بيت من الزجاج لا يستطيع أن يرمى بحجارة على غيره » . فلو فرضنا أن أحداً من تلك الشعوب الغربية رفع صوته احتجاجاً لقليل له بأن يلتفت الى ما يعمله قومه في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم . على أن الدول التي كانت موصوفة بأنها «عظمى» (وقد دارت عليها الدوائر الآن) سلمت بالسيطرة الايطالية على اثيوبيا رغم مبادئ «عصبة الأمم» (١) .

٢٨ — وقد وجد الامبراطور هيلاسلاسى (الملك تفرى سابقاً) أنه يتحتم عليه مغادرة بلاده كى لا يقع فى أسر أعدائه . فقابل الأنبا كيرلس وأخبره بهذا القرار، واثمنه على الشعب ثم هرب هو وعائلته وكل من استطاع الخروج معه من الأمراء والرؤوس . وقد عانى الشعب الاثيوبى ألواناً من التعذيب والإرهاب مدى السنوات الست التي حكمه فيها الطليان . وقد أبدى الأنبا يونس اهتماماً كبيراً بالشعب الكسير : فوجه نداءً الى القبط ليجمعوا كل ما يمكنهم من مال وطعام وملابس وأدوية لإرسالها عن طريق الصليب الأحمر اليه وبالفعل سارع أبناؤه الى تلبية هذا النداء . كذلك لجأ بعض الأمراء الى مصر فأنزلهم البابا الجليل فى بيوت على حساب البطريركية ، وأنفق على تعليم من كان منهم لا يزال فى سن التلمذة . وهكذا ساندتهم فى الرخاء وفى البؤس . أما الامبراطور وزوجته فقد لجآ الى انجلترا حيث استشار الرأى العام ضد فظائع الطليان . ومن نعمة الله أنه نجح الى حد أن عدداً من الدول الأوربية أعطته السلاح الذى عاود به الحرب وانتصر وأجلى الطليان عن وطنه . ويسعدنى أن أقول إننى كنت ضمن من جمع التبرعات وقدمها الى قداسة البابا لنجدة الشعب الشقيق .

٢٩ — ولقد كان للقبط — منذ بداية المسيحية — نشاط روحى إجتماعى : يتضاعف أحياناً ويتناقص أخرى . كذلك كانت تختلف أساليبه . فى العصور الأولى درجت العائلات القادرة على تبنى الأيتام : فتأخذ العائلة طفلاً (أو أكثر) تضمه الى أولادها وتعامله بالضبط كما لو كان واحداً من أولادها بالفعل . ومن أعظم الأمثلة الأنبا يوساب الأول (٢) الذى رباه أبوان بالتبنى . أما فى بداية القرن العشرين فقد أنشئت « الملاجىء » التابعة لجمعيات خيرية يرعى

(١) كان هذا الاسم هو الأول للمنظمة الدولية المعروفة الآن باسم الأمم المتحدة ، راجع دائرة المعارف البريطانية الطبعة الـ ١٥ ح ٦ ص ١٠١١ حيث ورد ما ترجمته : « ... على الرغم من مبادئ عصبة الأمم فإنه حتى وزير خارجية انجلترا (سير صموئيل هور) وزير خارجية فرنسا (بيير لافال) استسما للواقع وهو إقامة حماية ايطالية على اثيوبيا ... » ، ابضاح ح ١٢ ص ٧٥١ حيث قيل بأن أوروبا اكتفت بإبداء استشفاعها شقوباً !

(٢) هو البابا الرقسى الثانى والخمسون (سنة ٨٢٣ — سنة ٨٤١) ، راجع سيرته فى ح ٢ من هذا الكتاب ص

أعضاؤها الأيتام الذين يعيشون فى هذه المنشآت . ولقد تزايد عدد الجمعيات التى كانت تستهدف خدمة الفقراء والمعوزين وتعليم أولادهم دينياً وعلمياً . ومن أبرز هذه الجمعيات « جمعية الايمان » التى أنشأها القمص جرجس بطرس والتى جمعت بين نشر العلم ونشر الوعى الدينى ، كما كان لها مستشفى ومستوصف .

إلا أن بعض الجمعيات ركزت نشاطها على الناحية الفكرية الروحية ، واحداها هى « جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الأرثوذكسية » . ولقد احتفلت هذه الجمعية بيوبيلها ألفضى فى فبراير سنة ١٩٣٦ ، ثم خصصت عدد مجلتها لذلك الشهر لتسجيل هذا الاحتفال على صفحاتها . وكان الاحتفال على جزئين : أولهما لتقديم كلمة الجمعية عن أعمالها ألقاها سكرتيرها العام . ثم تكلم طالب من كلية العلوم كان واحداً ممن استمتعوا بالإقامة فى المنازل التى كانت الجمعية قد أنشأتها للطلبة الآتين من الأقاليم . وتبعه رئيس فرع الجمعية بالمنصورة . وبما أن الجمعية كانت لها فروع فى عدد من الأقاليم فقد كان لها سكرتير متجول ليتفقد سير العمل فيها . فقام بدوره وقدم تقريراً عنها .

وتلى هؤلاء المتحدثين باسم الجمعية حبيب المصرى الذى ألقى كلمة جاء فيها : « بعد ذلك الاشتراك الجميل من جانب الجنس الذى منه أمهاتنا وزوجاتنا وأخواتنا وبناتنا — أنشدتنا ألعانا عذبة ، ذلك الاشتراك الذى يمثل دوماً فى نظرنا الرحمة والعدل والتشجيع أقول كلمة موجزة أوجهها الى الشباب من حسن حظ العالم ، أو من مقتضيات التطور الاجتماعى ، أننا نعيش الآن فى نظام من الحرية وفى ظل الحرية وحدها تنمو الشخصية كاملة والحرية خير ولكنها خير مقترن بشر . هى كالحياة تماماً . ولكن شر الحرية لا يجوز أن يحملنا على أن نقضى عليها لكى نتخلص من هذا الشر . بل يجب علينا أن نعالج شر الحرية كما نعالج شر الحياة . فيجب أن ندرك أن الحياة خير وبركة ، وأن الواجب علينا أن ننقيها ، وأن نسمو بها ، وأن نجعلها جديرة بأن تعاش حقاً . . . فالعلاج الصحيح لشر الحرية هو رفع الروح الأدبية فى الجماعات لايجاد التوازن بين الحرية والشعور بالمسئولية . . . إن الشعور بالمسئولية القائم على الخوف من القانون ليس كافياً ، وإنما يجب أن يكون الضمير هو قانون الإنسان المهذب يحتكم اليه قبل أن يحتكم للقضاء . . . وهذه الجمعية — وغيرها (١) ، التى تعمل على نشر روح الثقافة وتقوية روح البر والتضامن الإنسانى ، وهذه الجهود التى تبذلها ، إنما هى مظهر من مظاهر علاج شرور الحرية برفع المستوى الأدبى فى الجماعات . وهى تتكون من رجال وفتيان قد يظنون أنهم يعملون عملاً صغيراً لأنهم ليسوا من ذوى الأسماء الضخمة ، ولأن الأعمال التى يقومون بها ليست من الأعمال البارزة التى تخلب لب الجماهير . ولكن الواقع أنهم يجاهدون جهاداً عظيماً فى سبيل ايجاد التوازن

(١) للوقوف على عدد الجمعيات القبطية فى القاهرة والأقاليم راجع : « الدليل العام للأقباط المسيحيين فى الشرق » ، لوضاعه الصحفى عادل سامى — الطبعة الأولى مصر سنة ١٩٥٠ — ص ١١٧ — ١٣٦ ، وعددها اثنتان وتسعون جمعية بالقاهرة ، وخمس وثلاثون بالاسكندرية ، ومائة وسبع وسبعون بالأقاليم (حينذاك) .

الأدبى فى مصر . فإن لم ينقدوا إلا فرداً واحداً- وهم حتما ينقدون الكثيرين ويحولونهم الى طريق التفكير واليقظة- فإنهم يكونون قد قاموا حقاً برسالتهم .

أما الجزء الثانى من الاحتفال فقد كان حفلة سمر أنشدت فى بدايتها تلميذات كلية البنات بالعباسية ترنيمتين كما أنشدن لحنأ باللغة القبطية . ثم أنشد بعض شبان الجمعية لحن «ياملك السلام» . وقد تخللت هذه الترانيم وهذه الألحان كلمات تتضمن التحية لمناسبة اليوبيل الفضى . وآخر هذه الكلمات ألقاها حبيب المصرى أيضا ، قال فيها : «أريد أن أرفع هذه الكأس الممتلئة ماء لكى أشرب نخب أعضاء الجمعية ومؤسسيها : الأحياء منهم . وأنا لا أستطيع وأنتم تقيمون عيدكم الفضى- أن أنسى أصحاب الفكرة الذين سبقونا الى عالم الخلود . ولا يسعنى إلا أن أبعث إليهم بالتحية . فإن الإنسانية مكونة من الموتى والأحياء على السواء- ولعل جهاد الموتى أكبر أثراً من جهاد الأحياء . ولا شك عندى فى وجود الصلة بين الأحياء وبين إخوانهم وأصدقائهم الذين جاهدوا الى جانبهم ثم انتهت حياتهم على الأرض . ومادام هناك شيء فى الحياة غير المادة سيبقى بعد الممات ، فإن هذه البقية الباقية ترفرف الآن على هذا المكان ... وأنا أحب اسم جمعيتكم . أحب هذه الصداقة التى توجدونها بينكم وبين الكتاب . فإن الصداقة القائمة بين انسان وكتاب أو مؤلف هذا الكتاب هى أعمق الصداقات (١) . والكاتب الذى تقرأ له وتستريح الى أسلوبه وآرائه تتولد بينك وبينه صداقة وبخاصة لأنك لا ترى منه إلا النواحي العالية الجذابة فى شخصيته . فينشأ بينكما ذلك الاتصال العميق القوى الكائن بين فكر وفكر... فإن كنتم أصدقاء الكتاب فأنتم أصدقاء الفكرة التى يعبر عنها الكتاب . وأى كتاب أسمى من ذلك الكتاب المقدس الذى استهدف أن يوجد للبشرية نجماً تهتدى به ؟ والمبادئ والأفكار التى تضمنها هى المبادئ والأفكار التى تتطلع إليها البشرية فى تطلعها نحو الكمال ، وتلمسها لكى تضىء لها طريقها... وأنا أحمل شباب اليوم وأطفاله أن يقولوا لمن سيكملون الجهاد من بعدنا : إن إخواننا وآباء وأصدقاء لهم قد جاهدوا وعملوا لكى تكون شببية اليوم خيراً من شببية الأمس . وشببية الغد خيراً من شببية اليوم . بلغوهم تحية إخوانهم الكبار وقولوا لهم إننا سنحضر معهم بالروح ، ونشترك فى أفراحهم- وأتراحهم- وإن أعجزنا الاشتراك معهم بالجسد (٢) .

أما جمعية التوفيق فقد دأبت على الاحتفال بعيد النيروز احتفالاً وطنياً عاماً . وفى سنة ١٩٣٥ كانت حفلتها تحت رعاية البابا يونس ورياسة شرف أحمد نجيب الهلالي باشا (وزير

(١) من نعمة الآب السماوى على أن هيا لى فرصة لمعرفة مدى هذه الصداقة . فقد حدث أننى حضرت القداس الالهى صباح الأحد ١٩ يوليو سنة ١٩٨١ فى كنيسة مارمرقس بجزى سبتى (بولاية نيوجرزي) . ولما انتهت الصلوات المقدسة ، وكنت فى طريقى الى الخروج إذا بشابة أمريكية لا أعرفها تطوفنى بذراعيها وتقول (رداً على دهشتى) : أنا أعرفك . نعم . أنا أعرفك . فقد قرأت كتابك .

(٢) راجع «رسالة جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الأرثوذكسية» - العدد الثانى فبراير سنة ١٩٥٠ - ص ٢١ ، ٢١ ،

التربوية والتعليم) ، وبحضور رجال القصر الملكي وكبار الزعماء الشعبيين . وتحدث عن الجمعية حبيب المصرى الذى ركز على الكفاح الروحى والكفاح العقلى والكفاح السياسى : أى أنه أوضح كفاح المصريين المستمر فى الميادين وفى تألف وتعاون .

كذلك كانت حفلة النيروز لسنة ١٩٣٧ تحت رعاية الأنبا يؤنس ، أما رياسة الشرف فقد أسندت الى عبد السلام فهمى جمعة رئيس مجلس النواب . وحين وقف حبيب المصرى ليلقى كلمة الجمعية استعرض كل الأدوار التى مر فيها الكفاح : من المظاهرات الشعبية والمصادمات ضد جيش الاحتلال والمفاوضات الرسمية الى إقامة حكومة دستورية .

ثم احتفلت الجمعية فى يونيو سنة ١٩٣٨ بمرور سبع وأربعين سنة على تأسيسها . ولكنها اكتفت فى هذه الذكرى بمقال نشرته فى عدد مجلتها الصادر فى ٨ بوؤنة سنة ١٦٥٤ ش (١٥/٦/١٩٣٨) . وكان أول عدد للمجلة فصدرته الجمعية بالمقال المذكور ضمنته تلخيصاً لأعمالها منذ تأسيسها . و يسعدنى أن أقول إن أحد المؤسسين كان مينا منقر يوس — وهو جدى لأمى .

أما فى سنة ١٩٤٢ فلم يكتب كبار المصريين بحضور حفلة النيروز، بل لقد قررت الحكومة إذاعة الخطاب الذى ألقاه حبيب المصرى أيضاً فى تلك المناسبة . ولقد ختمه بقوله : «... ففى هذا المكان الذى وقف فيه سعد العظيم منذ إحدى وعشرين سنة كاملة فأعلن مبدأ التضامن الوطنى وبذلك جعله مكاناً تاريخياً مقدساً ، فى هذا المكان الذى يشرفه بحضوره اليوم خليفة سعد وأقطاب الأمة المصرية ، لنقف لحظة كى نجدد عهدنا القديمة وذاكر ياتنا الماضية ، ونستمد الأمل والقوة والعبرة من تلك الذكريات . لنحى ساعة من ساعات الثورة المصرية الحكيمة الجامعة التى تعانق فيها الصليب والهلل . لنذكر أن مصر الخالدة هى فوقنا جميعاً وأن مصلحتها فوق كل مصلحة (١) .

كذلك أبدت جمعية السلام نشاطاً فى مجالات مختلفة : فقد كان لها كنيسة هى كنيسة مارجرجس بالجيوشى (بشبرا) ، كما كان لها ملجأ لليتيمات — ولو أنه فى بيت بالإيجار . فرأى رئيسها — متى ساو يرس — أن يقتحم ميداناً جديداً كتبت عنه جريدة «الوطنية» مايلى : (٢)

(١) قصة حبيب المصرى ص ١٦٧ — ١٧٠ .

(٢) فى عددها الصادر يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٣٩ .

مدام حبيب بك المصرى تعمل بنشاط فى ميدان الرحمة والإحسان

تلقيت نشرة مطبوعة من جمعية السلام القبطية للسيدات بالقاهرة تحت عنوان «أسبوع اليتيمة» وجهتها الجمعية بتوقيع رئيسها الفخرية الى حضرات السيدات فى القاهرة وضواحيها رأيت أن أنشرها بحروفها بنصها الآتى قالت : «حضرة الفاضلة المحترمة— بعد تقديم عاطر التحيات ، ووافر الاحترامات— إن من بواعث اغتباط جمعية السلام القبطية للسيدات ، أن تتقدم اليك بأجل آيات التهانى والتبريك بقرب حلول عيد ميلاد السيد المسيح له المجد . وتتشرف بأن تعرض على كرم مسامعك فكرتها الإنسانية التى ترجو أن تجد من شريف معاونتك ، ما يثير إعجابها بعواطفك الجميلة وما يسجل لك فى ملكوت السموات أجمل الجزاء .

وتلك الفكرة الإنسانية تنطوى على أرحم الدعوات وأروع الرسائل وهى أننا استلهمنا ما نشعر به من حسن ميولك نحو البر بالفقراء والعطف على المحتاجين فأوحت الينا بأن نرسل اليك بهذا الصندوق الذى نأمل أن يتجمع فيه ما يفيض عن حاجياتك وما تضحين به فى سبيل الخير من ضرورياتك مهما بلغت قيمته فى مدة أسبوع واحد أسميناه «أسبوع اليتيمة» ليخصص إيراده جميعاً لمعاونة الفتيات اليتيمات الاثني يضمهن ملجأ السلام القبطى والترفيه عنهن والعمل على إسعادهن كى يشتركن معنا فى مباحج العيد ومسراته الفياضة . لتذكرى أيتها السيدة الكريمة أن أولئك اليتيمات هن من أسر كانت عريقة المحمد طيبة الأرومة وفى مجبوحة العيش ثم أخنى عليها الدهر وسلبها عزها التليد . فكل مساعدة تقدم الى فتيات ملجأ السلام لليتيمات ، يتضاعف أجرها فى السماء ، ويردها الله الى اليد التى امتدت بها اضعافاً مضاعفة— ووقت أن يشعر هؤلاء الفتيات اليتيمات بحرارة هذا العطف الصادق ، الذى تجلى فى معاونتك هن وإسعادك لنفوسهن— تشعر قلوبنا بالفرح العميق يتماوج فى حنايا الصدور دلالة رضى الضمير وارتياح الفؤاد . ونكون بذلك العمل النبيل قد تضافرت جهودنا فى استجلاب رضى صاحب العيد الذى عملنا بوصاياه الثمينة فى مؤاساة المساكين وإسعاد البائسين ،

رئيسة الجمعية الفخرية

مدام حبيب بك حنين المصرى

وقرأت فى أمهات الصحف اليومية البيان الآتى مشفوعاً بصورة السيدات المجتمعات— تحت عنوان «بناء ملجأ ليتيمات جمعية السلام بشبرا» فرأيت نقله عنها بدون الصورة لأعلق عليه بما يأتى :

دعت حضرة السيدة الفاضلة مدام صاحب العزة حبيب حنين المصرى بك الرئيسة الفخرية لجمعية السلام القبطية للسيدات بشبرا طائفة من كرائم السيدات والآنسات الى حفلة شاي أقامتها بدار الجمعية فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس للنظر فى مشروع بناء دار فى شبرا للجبأ السلام لليتيمات .

وقد لبث الدعوة نخبة من السيدات والآنسات وبعد تناول الشاي . نهضت حضرة الداعية فتكلمت عن الغرض من الاجتماع وتناولت هذا المشروع الخيرى الذى يرمى الى البر باليتيمات بالافاضة والتفضيل .

وبعد تبادل الرأى تقرر تأليف لجنة برياسة صاحبة الدعوة وعضوية ثمانى عشرة من السيدات والآنسات اللواتى لبين الدعوة- وبنعمة الله نجحن فى الوصول الى هدفهن وأصبح للجمعية بيت تعيش فيه اليتيمات .

وفى سنة ١٩٣٨ أيضا ولكن فى شهر نوفمبر أصدر حبيب جرجس كتابا بعنوان « المدرسة الاكليريكية القبطية الأرثوذكسية بين الماضى والحاضر » بمناسبة مرور خمس وأربعين سنة على إنشائها . وهنا نكرر حقيقة طالما رددناها لأنها تضيع هذه الأيام وسط التحزبات الموجهة . وهذه الحقيقة علمنا إياها رب المجد بقوله إن واحداً يزرع وآخر يحصد إذ طالب تلاميذه أن يرفعوا أعينهم وينظروا الحقول (١) . فهذه المنشآت وغيرها بدأت عملها فى عهد البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس ، فاستمرت فى جهادها وأنت بثلاثين وستين ومائة من الثمار . لهذا فحينما نتأمل نهضتنا الحديثة علينا أن نذكر أن «آخرين تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم» . ومن هذا المنطلق يجب أن نذكر أيضا أننا مادما نجنى ما زرعه سابقونا وجب أن نضيف تعبنا لكى يستمر الإثمار بل لكى يتزايد كذلك .

وبمناسبة هذه الذكرى ، واستمراراً لجهاد الأنبا كيرلس الخامس أصدر الأنبا يونس الـ ١٩ منشوراً باباوا يا هذا نصه :

خريجوا المدرسة الاكليريكية والرتب الكهنوتية

تلقينا من الاستاذ حبيب جرجس ناظر المدرسة الإكليريكية صورة المنشور البطريركى الصادر من غبطة البطريرك المعظم إلى أصحاب النياقة المطارنة ، والخاص بقصر رسامة القسوس على خريجي المدرسة الإكليريكية .

(١) يوحنا ٤ : ٣٥-٣٨ .

ونحن ننشره بمناسبة الاحتفال بمرور ٤٥ عاماً على تأسيس المدرسة الإكليريكية .

حضرة صاحب النيافة أخيها الحبيب الروحي الأنبا ... مطران كرسى ... دامت

قداسته

بعد القبلة الرسولية والمصافحة الأخوية ، نرجو بنعمة الله أن تكونوا بآتم صحة وأكمل

رفاهية .

نخبر أخوتكم أن حضرات أولادنا المباركين أعضاء المجلس الملى العام ، طلبوا منا أن نوجه نظر حضرات أصحاب النيافة إخواننا الأقباط المطارنة ، إلى وجوب قصر رسامة القسوس فى أبروشياتهم على خريجي المدرسة الإكليريكية من الآن . وعدم قبول تزكية إن لم تكن مشفوعة بشهادة المدرسة النهائية .

ولكى يكون المرشحون فى المستقبل معروفين للابروشية ، التى يرسمون قسوساً فيها ، ولأصحاب النيافة المطارنة ثقة فيهم ، رأى أن يرشح كل مطران فى أول كل سنة دراسية عدداً من أبناء الشبان الذين تلوح عليهم دلائل النعمة ، ويتوسم فيهم الصلاح واللياقة للرتبة الكهنوتية المقدسة ، وتتوافر فيهم شروط القبول بالمدرسة ، ويرسلهم إلى مدرستنا الإكليريكية ، لكى يقضوا مدة الدراسة المقررة فيها ، وينالوا شهادتها النهائية ، ثم يعودوا إلى أبروشياتهم لترشيحهم للرتب التى تخلوها .

وقد وافق هذا رأى استحساناً ، إذا بواسطته يزداد عدد الكهنة المتخصصين لرتبتهم السامية ، شيئاً فشيئاً . وبذلك يرتقى مستوى الإكليروس العالماني فى الكنيسة علمياً . ولا شك عندنا فى أن نيافتكم بصفتم أحد أقباط الكنيسة يهكم تقدمها ونجاحها وكل متمناكم إسناد الخدمة الكهنوتية إلى من يستحقها . فتساعدون على تنفيذ هذا رأى الصالح الذى يراد به تمجيد اسم الله القدوس فى كنيسته وخلاص النفوس .

نعمة الرب تشمل جميعنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً ٢٩ برمهات سنة ١٦٥٤ ١٠ أبريل

سنة ١٩٣٨ .

يونس بابا و بطريرك الكرازة المرقسية

قرار المجمع الإكليريكي المقدس

ولما اجتمع المجمع المقدس للكنيسة القبطية الارثوذكسية فى الدار البطريركية بحضور الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة والمجلس الإكليريكي ، فى يوم الاثنين ٩ بشنس سنة ١٦٥٤

الموافق ١٧ مايو سنة ١٩٣٨ و يوم الثلاثاء ١٠ بشنس سنة ١٦٥٤ الموافق ١٨ مايو سنة ١٩٣٨ برئاسة حضرة صاحب الغبطة الأنبا يوانس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية . أصدر المجمع القرار الآتى ضمن قراراته ،

« وجوب تنفيذ المنشور البطريركي الصادر فى ٢٩ برمهات سنة ١٦٥٤ الموافق ١٧ ابريل سنة ١٩٣٨ والقاضى بعدم جواز اختيار قسوس الكنائس إلا من طلبة المدرسة الاكليريكية الحاصلين على دبلومها النهائى

منشور بطريركى

يوانس التاسع عشر ، بنعمة الله ، بابا وبطريرك الاسكندرية ، وسائر الكرازة المرقسية .

القبلة الروحية والمصافحة الأخوية ، لحضرات إخوتنا الأقباط المطارنة والأساقفة . والبركة الرسولية والنعمة والدعوات الخيرية ، الى أبنائنا المباركين ، الكهنة ورؤساء الجمعيات ، ونظار المدارس القبطية .

وبعد : تعلمون أن من أقدم واجباتنا الراعوية ، السهر على تربية أبنائنا التربوية الروحية ، ولا يخفى أن الأولاد الأحداث هم أعز ما لدينا ، لأنهم الأزهار اليانعة والثمار الزاهرة فى حقل الكنيسة ، ومنهم ينشأ الجيل القادم . ومن الواجب بذل الجهود فى سبيل العناية بهم والمحافظة على أرواحهم .

ولما كانت المدرسة المبنية على الأسس الصحيحة ، هى المكان المقدس الذى يبنى عليه أساس الإصلاح الحقيقى ، وأن الغرض من المدارس ليس التعليم ، ولا إزالة الأمية من الأمة فقط ، بل الغرض منها أن تكون معاهد تبعث الحياة فى نفوس النشء ، وواسطة لتقوم نفوسهم ، وتكوين اخلاقهم ، والأخذ بيدهم للسير فى مناهج الحياة الحقيقية السعيدة ، بالحصول على خير ما يمكن الحصول عليه من وسائل الكمال المسيحى .

ولقد أثلج صدرنا وزاد فى اغتباطنا ، ما لمسناه من اهتمام إخوتنا المطارنة والأساقفة ، والغيرة التى دبت فى نفوس كثيرين من أبناء وبنات شعبنا المبارك ، وسعيهم المتواصل فى تأسيس المدارس الأولية . لا سيما فى القرى والبلاد المحرومة من نعمة التعليم ، مما يذكرنا بقول القديس افرام « من يعلم أميا كمن يفتح عين أعمى » وقول من قال « من يفتح مدرسة يغلق سجنًا » .

ولما كان التعليم الدينى هو الأساس القويم ومنبع الكمالات ، وعليه تبنى أسس التربية الصحيحة لذلك يسرنا أن نرسل لكم عدد نسخة ، من البرنامج الذى أقره مجلسنا الاكليريكى ولجنة مراقبة طبع ونشر الكتب الدينية تحت رياستنا ، ونسخة من كتاب المبادئ المسيحية الأرثوذكسية للمدارس الأولية ، الذى كلف بوضعه ابننا المبارك الأستاذ حبيب جرجس

مدير مدرستنا الاكليريكية ، المتضمن المواد التي يدرسها التلاميذ من المحفوظات من نصوص الكتاب المقدس ، والمزامير ، والعقيدة الأرثوذكسية ، والألحان والترانيم الكنسية ، واللغة القبطية . (١)

ولنا ملء الثقة بأن تشاركونا في سرورنا ، ومباركتنا لهذا العمل ، وتبذلون أقصى الجهد في إنشاء المدارس الأولية .

وبما أنه يهمننا جداً أن يكون للتعليم الديني ثمرته المطلوبة ، نأمل أن تلاحظوه بعنايتكم ، وتعهدوا الى من تولوه ثقتمكم ، للتفتيش عليه في جميع مدارسنا الأولية والابتدائية والثانوية حسب البرامج والكتب السابق اعتمادها . منا لينشأ أبناؤنا نشأة صالحة ، وليكونوا رجالا كاملين نافعين لكنيستهم ، وصالحين لخدمة وطنهم .

وليبارك إلهنا الصالح كل عمل ، لمجد اسمه القدوس ، ولعظمته الشكر دائماً ،

ولقد بدت مراحم الله في أن عدداً من الأراخنة تشارك في الاحتفاء بمرور الخمس والأربعين سنة على إنشاء الاكليريكية بأن ساهموا بأفلامهم فتضمن كتاب حبيب جرجس

ولقد بدت مراحم الله في أن عدداً من الأراخنة تشارك في الاحتفاء بمرور الخمس والأربعين سنة على إنشاء الاكليريكية بأن ساهموا بأفلامهم فتضمن كتاب حبيب جرجس المشار اليه مجموعة من الكلمات عبرها أصحابها عن فرحتهم بهذه الذكرى . ومن المساهمين في هذا المجال حبيب المصرى الذى قال : « إذا كان للأقباط أى رجاء فى إصلاح شئونهم الاجتماعية الكنسية ، وفى أن يستردوا بعض ذلك المجد المفقود الذى كمل هاماتهم قروناً عدة ، وفتح للعالم المسيحى فى العصور القديمة آفاقاً واسعة فى السمو ، وأضاء الشرق والغرب بنور ساطع ، فإن ذلك لن يكون إلا عن طريق تثقيف كهنتهم ثقافة عالية تتفق ومطالب الجيل الحديث ، وتماشى روح الحضارة فى القرن العشرين ، وتسد مطامع الشباب وتطلعاتهم نحو المثل الأسمى . فإذا أتيح لنا أن نهض بالمدرسة الاكليريكية حتى نجعل منها كلية لاهوتية عظيمة تخرج لنا من نحن فى حاجة إليهم من الرعاية العلماء الأتقياء فإننا نكون قد وضعنا الأساس الصحيح الذى يؤدى الى تحقيق أغراضنا من هذه الناحية . فلعلنا جميعاً ندرك ذلك حق إدراكه ، وندرك أن المدرسة الاكليريكية — أستغفر الله بل الكلية اللاهوتية القبطية الأرثوذكسية — هى وحدها تفتح لنا باب النجاح على مصراعيه . وأن كل قوانا يجب أن تتجه الى بلوغها المنزلة التى تمكنها من تأديتها مهمتها السامية » .

(١) يلاحظ القارىء أن الأهتمام بالتعليم شمل اللغة القبطية أيضاً .

وقد أصبح من واجب الشعب أن يدرك اليوم إدراكاً قاطعاً أنه لا يجوز أن يزكى كاهنا إلا من خريجي المدرسة الاكليريكية . وأن تزكية أى شخص خارج هذه الدائرة العلمية جريمة فى حق الكنيسة وفى حق الأجيال المقبلة . فلا يتساهل أحد فى هذا لأن التساهل فى الشؤون الكنسية خور وضعف وإهدار لحقوق مقدسة . « (١)

ومما يجب ذكره أن الجميع ساندوا حبيب جرجس فى هدفه لأن حضرات الآباء المطارنة وافقوا على وقف الرسامة الكهنوتية على خريجي الاكليريكية حينما اجتمع المجمع فى الدار الباباوية فى يومى ٩-١٠ بشنس سنة ١٦٥٤ ، إذ قد أصدروا القرار التالى : « وجوب تنفيذ القرار البطريركى الصادر فى ٢٩ برمهات القاضى بعدم جواز اختيار قسوس الكنائس إلا من طلبة الاكليريكية الحاصلين على دبلومها النهائى » (٢) .

٣٠- وقد حدث أيضاً سنة ١٩٣٨ أن المعمارين المسئولين عن كنيسة القيامة بالقدس رأوا وجوب ترميمها إذا قد تصدعت نتيجة لسلسلة من الزلازل . ولما قدروا نفقات الترميم قرروا توزيعها على من لهم نصيب فى هذه الكنيسة العظمى . وللاقباط أن يعتزوا بأن مكانهم فيها هو المكان الثانى بعد الروم مباشرة (٣) . وقد تقرر عليهم مبلغ ثلاثين ألفاً من الجنيهات . ولمواجهة هذا الموقف عقدت لجنة تمهيدية اجتماعاً فى مساء الأربعاء ١٨ مايو سنة ١٩٣٨ برئاسة نيافة الأنبا ثيوفيلس مطران القدس الذى شرح للحاضرين ما أصاب هذه الكنيسة العظمى من تصدع ، وأكد ضرورة الإسراع فى ترميمها . وقد قرر الجميع أن يلتمسوا من قداسه البابا توجيه نداء الى الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة ، والى كل من يهمه الأمر بالمساهمة فى هذا العمل الحيوى . فلما رفعوا قرارهم بالفعل دعا قداسته الى عقد المجمع .

ولقد اجتمع المجمع المقدس تلبية للدعوة الباباوية فى ٣١ مايو فى التاسعة صباحاً . وبعد التداول أصدر القرارات التالية :

١- قبول التبرعات من الشعب .

٢- دعوة كبار الأقباط الى اجتماع لينتخبوا لجنة عامة لجمع التبرعات - وتتفرع عن هذه اللجنة العامة فروع فى الايبارشيات برئاسة الآباء المطارنة ، وتتعاون كل هذه اللجان مع بعضها البعض ومع الأنبا ثيوفيلس مطران القدس والأنبا توماس مطران الغربية وسكرتير المجمع المقدس ،

(١) كتاب حبيب جرجس ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٢) مجلة التوفيق عدد ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ - ص ١٩ .

(٣) راجع ما جاء عن هذا المكان المقدس فى ح ٢ من هذا الكتاب ص ٢٥٤-٢٥٥ .

٣- دعوة كهنة القاهرة للاجتماع فى صباح اليوم التالى مباشرة فى الدار الباباوية تحت رئاسة قداسة البابا لتنظيم جمع التبرعات . ١

٤- أناب المجمع المقدس نيافة الأنبا ثيوفيلس مطران القدس فى اتخاذ كل التدابير اللازمة للمحافظة على حقوق مصر فى كنيسة القبر المقدس فى القدس على أن يرجع فى جميع تصرفاته الى المجمع المقدس .

وقد تقبل المجمع عقب اجتماعه مباشرة التبرعات التى افتتحها الأنبا يونس بمبلغ ستمائة جنيه ، وبلغ ما تسلمه يومذاك أربعة آلاف وأربعمائة وستين جنيها . فكانت باكورة تبعتها تبرعات من مختلف الجهات إذ قد سارع الجميع : كل من التهب قلبه حباً بالمكان المقدس الذى يضم القبر الذى قام منه الفادى الحبيب - سارع الى تقديم كل ما يستطيعه للحفاظ على الكنيسة التى يتبرك بزيارتها الآلاف من المسيحيين فى شتى المناسبات .

ومما يجب تسجيله فى هذا الصدد أن الحكومة المصرية ساهمت بثلاثة آلاف من الجنيهات .

ولمتابعة هذا العمل الحيوى دعا قداسه البابا ستين شخصا من كبار رجال الكنيسة الى حفلة شاي أقامها لهم فى الدار الباباوية بعد ظهر الأحد ١٢ يونيو سنة ١٩٣٨ . وقد لبي الجميع هذه الدعوة الأبوية . وبعد الانتهاء من تناول الشاي وقف يوسف باشا سليمان وتحدث عن تفاصيل الموقف : دوليا وكنسيا . ثم ذكر أنه تقابل مع رئيس الحكومة وأقنعه بأن ترميم هذه الكنيسة العظمى مسألة قومية عامة وليست مسألة قبطية خاصة . وبالفعل وافقه على هذا الرأى وتحدث تليفونيا مع قنصل مصر فى القدس ليتعاون مع الرهبان الأقباط فى المحافظة على الحقوق القبطية فى المدينة المقدسة وهكذا تضافر المصريون : كنيسة وحكومة لكى ينجحوا فى الحفاظ على نصيب القبط فى الكنيسة العظمى التى هى كنيسة القيامة والتى تتوسطها الصخرة المحفورة التى رقد داخلها الجسد المقدس لفادينا الحبيب من مساء الجمعة الى فجر الأحد . وبالطبع أدى هذا التضافر المصرى الى النجاح المنشود .

٣١- وحدث فى سنة ١٩٣٤ أن صدر قانون بوجوب جعل التعليم إلزاميا . والنتيجة الحتمية لهذا القانون إنشاء العدد اللازم من المدارس ليستطيع كل طفل مصرى أن يتعلم . وافتتاح هذا العدد من المدارس يتطلب عن الحكومة أن تنفق أموالاً طائلة فى بنائها ثم فى الصراف عليها . وخلال الخمس سنوات الأولى من إصدار هذا القانون وجدت الحكومة نفسها عاجزة عن تحقيقه بمفردها . لذلك أضاف على ماهر باشا مادة على القانون هى أن كل طفل يثبت أنه يتعلم تعليما لا ينقص عن التعليم الإلزامى الذى قرره الحكومة يعفى ولى أمره من العقوبة التى قررها القانون ،

وهي إما غرامة مقدارها خمسة جنيهات (١) وإما الحبس ثلاثة أيام - وقد يجوز الجمع بين العقوبتين .

وما إن صدر القرار بهذه المادة الإضافية حتى نشطت السيدات بصفة خاصة . ولا غرابة في ذلك لأن المرأة هي الأم فهي المربية بالغيرة . فانعقدت اجتماعات عديدة في مختلف المدن أدت الى تأليف جمعيات نسوية هدفها افتتاح المدارس الإلزامية أو المساهمة مع الجمعيات المهتمة بالمدارس .

ومن أكبر المجموعات التي تألفت حينذاك « جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة » التي تم تأليفها وصدق على قانونها في ٢٦ يناير سنة ١٩٤٠ . ومع أن الأعضاء كن جميعاً من السيدات إلا أنهن طلبن الى حبيب المصري أن يصوغ لهن قانون جمعيتهم . وبعد أن صاغه اخترنه ليكون المستشار القانوني لهن . كذلك اخترن حبيب جورجي كبير مفتشى الرسم بوزارة التربية والتعليم لرأس اللجنة المختصة بتنظيم المدارس . وقد فوض لكل منها أن يختار من يشاؤه لمعاونته . ولما كان حبيب المصري عضواً بالمجلس الملي العام فقد استعان ببعض زملائه في هذه الهيئة ، واستعان حبيب جورجي ببعض المشتغلين في وزارة التربية والتعليم . وبعد التشاور معاً ومع السيدات اللواتي أولوهما ثقتهن استعانا بحبيب جرجس مدير الأكلير يكية وعضو المجلس الملي العام . فتفاهما معه على إنشاء قسم خاص بالتربية في كليته ولأنه أدرك أهمية المشروع الذي تستهدفه السيدات وافق لفوره على هذه الفكرة . ومن ثم كانت غالبية المعلمين الذين عينتهم اللجنة التابعة للجمعية من خريجي الاكلير يكية الذين نالوا أيضاً قسطاً من الدراسة التربوية في القسم الذي أنشئ خصيصاً لهم . ولقد كانت هذه الخطوة من أهم المقومات التربوية التي تسببت في نجاح المدارس التي أنشأتها الجمعية والتي تعاونت مع الجمعيات المحلية على استمرارها . ذلك لأن الثلث من مواد الدراسة الإلزامية كان للتربية الدينية وحدها ، والثلثين لباقي المواد جميعها . فكان المدرس الاكلير يكي العامود الفقري لهذه المدارس .

ولقد كتب عبد الحليم إلياس نصير المحامي وعضو المجلس الملي العام بجريدة مصر مساء الثلاثاء ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ رسالة بعنوان « رسالة الكنيسة » اختتمها بالحديث عن مدرسة المعلمين قال فيه :

ولقد امتحنت مدرسة المعلمين القبطية لتخرج معلمين صالحين لتدريس مادة الدين المسيحي الأرثوذكسي وكذا المواد المدنية بالمدارس الأولية والرياض والابتدائية والثانوية المتوسطة

(١) قد تبدو هذه الغرامة ضئيلة هذه الأيام ولكنها كانت باهظة آنذاك ، كما أن الطبقة التي كان يذهب أولادها الى المدارس الإلزامية كانت طبقة الكادحين الذين يؤذيهم هذا المبلغ .

والخاصة ، وقد أنشئت بقرار من المجلس الملى العام فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وتشد أزرها جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة برأسة السيدة الجليلة حرم نجيب باشا غالى .

ومجرى التدريس فيها وفق منهج عملى ودراسة فى علوم التربية على أحدث النظريات الحديثة ، وفى كل عام يتخرج منها نخبة من أصلح رجال التربية والتهذيب الدينى والتعليم الفنى . مما أثار إعجاب كبار الفنين بوزارة المعارف . وقد ظهرت ثمارهم فى المدارس الأولية القبطية على خير ما يرجى . ويا حبذا لو عنى المجلس بتحسين حال خريجي هذه المدرسة لأنهم حقاً مفخرة للتربية . ولنا فى سامى وطنية معالى الأستاذ الجليل وزير المعارف خير رجاء فى شمول هذه المدرسة وخريجها بالعطف والرعاية لأنها تسد فراغاً كبيراً فى تعليم الدين للعنصر الثانى فى الأمة المصرية الكريمة فهو قسم فى التكليف والحقوق .

هذه هى الجهات الأصلية الأربع التى تشع أنوارها فى تلك البقعة المضيئة بمهمشه فى طريق الإسكندرية (١)

ومن نعمة الله أن اختارت السيدات حرم نجيب باشا بطرس غالى رئيسة للجمعية ، لأن هذه السيدة الفضلى أدركت مدى مسؤوليتها إدراكاً تاماً منذ البداية . وفى الجلسة الأولى ، بعد اختيارها - قالت للأعضاء : « إن انضمامنا لهذه الجمعية معناه وعينا بواجبنا ، ولكى نؤدى هذا الواجب بأمانة يجب أن نشابر فى جهادنا . لذلك أرجو أن نحدد من الآن الموعد الذى حددناه ضرورة موضوعة علينا . فلا نتغيب إلا للضرورة القصوى » . وبما أن هذه السيدة الوقور كانت ذات كلمة مسموعة فقد نفذ الجميع طلبها ، فكان بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع هو « موعده الجمعية » . وهذه المثابرة كانت من أكبر العوامل التى دعمت نجاح الجمعية .

ولم تكتفى حرم نجيب غالى بالمواظبة على الاجتماع الأسبوعى فقط ، بل كانت أيضاً تقدم الشاي أو المرطبات لمعضدى السوق - وكانوا بالمئات من غير مغالاة . لأن المجتمع المصرى فى ذلك الوقت كان متآلفاً متماسكاً ، يسارع الى التعاون والتعاطف ويرى فى خدمة البعض خدمة عامة للجميع (٢) .

(١) صحيح أن هذا المقال نشر فى عهد الأنبا يوساب الثانى ، ولكن وضعه هنا إثبات على الاستمرار والتتالى ، وعلى أن كل جيل إنما يحصد ثمار ما غرسه الذين سبقوه .

(٢) ظل نشاط الجمعية يتزايد تصاعدياً منذ إنشائها الى نهاية العالم الدراسى لسنة ١٩٥٢ ، إذ قد بلغ عدد المدارس التى أنشأتها والتى تعاونت مع جمعياتها المحلية إحدى وخمسين مدرسة متناثرة ما بين الاسكندرية ولغاية البلينا . ثم أخذ عدد المدارس يتناقص تدريجياً حتى لم يعد للجمعية سنة ١٩٧٩ غير مدرستين هما مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة ومدرسة الأنبا إيسيدورس بمصر القديمة . وفى نهاية تلك السنة سلمت المدرسة الأولى للبطريركية ، والثانية لأسقفية الخدمات . ومن نعمة الله أن مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة مازالت تؤدى رسالتها إذ قد دعا نيافة الأنبا صموئيل (أسقف العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية) عدداً من السيدات وتباحث معهن فى إعادة تكوين جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة . فأدت هذه المباحثة الى ثمرة حلوة ، وبدأت الجمعية نشاطها عند افتتاح العام الدراسى لسنة ١٩٨٠ ، وهى مازالت فى عملها الى الآن ولو أن جهودها قاصرة على مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة بالتعاون مع الديوان البطريركى .

والخطاب التالي من الشواهد على نشاط الجمعية في بدايتها :

حضرة صاحب العزة مدير إدارة البطريركية :

يتشرف بتقديم هذا أيوب مقار ناظر ومراقب عمارة كنيسة القديسة دميانة ببولاقي . لقد بذلت المستطاع في انتخابات المجلس الملي السابقة كي تفوزا- إذا أعلم يقينا رغبتكم الصادقة في إصلاح حال الطائفة القبطية سواء من ناحيتها التعليمية أو التهذيبية .

ولكم هنا أموراً قد تكون خافية على حضراتكم .

أذكر لكم إحداها :

هل تعلمون أن أملاك البطريركية في نقطة بولاقي تفصيلاً- اعتقد أن الوقت قد حان لأوضح لكم حقيقة الأمر .

فالبطريركية تملك في هذا الحى مساحة كبيرة من الأراضى تبلغ أربعة عشر فداناً من بينها ثلاثة أفدنة ونصف كانت فى الأصل مجموعة تعليمية عظيمة هوت واندثرت- فقد كانت تجمع هذه المساحة .

أ- كنيسة القديسة دميانة .

ب- مدرسة الصنائع للأولاد وتشغل هى وورشها فدانين .

ج- مدرسة ابتدئية للبنين وتشغل نصف فدان .

د- مدرسة التدبير المنزلى للبنات وتشغل نصف فدان- انشأها كيرلس الخامس .

وكانت المدرسة الأبتدائية عامرة بالأولاد يتقدم منها سنويا العدد الوفير للامتحان فى شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وكانت لها شهرة كبيرة فأنحط مستواها الآن وقل عدد طلبتها وهى تخرج نتيجة لا تساوى ٢٠% من نتائجها السابقة

وكانت مدرسة البنات أحسن مثل يقتدى به فى تخريج أمهات صالحات لإدارة منازلهن اذا كانت تعلم إدارة المنزل وأعمال التطريز والتدبير الحيوى وكل هذه الأمور لازمة للفتاة التى ستصبح أم المستقبل ولكن البطريركية للأسف أغلقت هذه الدار النافعة ، مع العلم بأن هاتين المدرستين من أهم مستلزمات الطائفة فى هذا الحى .

أما مدرسة الصنائع فكانت فى الأصل تضم أبناء الطائفة اما نسبتهم بها الآن لا تزيد عن ٣٠% وتعلمهم الصناعات النافعة وكانت للمدرسة شهرة كبيرة فى صناعاتها وكانت تأخذ مقاولات من الحكومة وعمارات مقاولين وكانت تحوز شهرة عظيمة بمعرض الصناعات بفخر صناعاتها الجيدة . ولكنها الآن قد انحط مستواها عن ذى قبل وهى تصرف على البطريركية سنويا ٢٠٠٠ جنية وإيرادها لايساوى ربع هذا المبلغ ويستحسن تأجيرها فإن أقل مقاول يأجرها

بخمسين جنيها شهريا أى ٦٠٠ جنيه سنويا وتوفر على البطريركية ٢٠٠٠ جنيه .

هذه هى حالة المجموعة المدرسية السابقة فى هذا الحى الآن . وقد علم لمقدمه أخيرا أن سعادة حبيب بك المصرى وصاحبة العصمة ارملة المرحوم نجيب باشا غالى ذات القدح المعلى فى أعمال البر والخير يفكر أن فى بناء مدرسة أولية الزامية فى هذا الحى وهذا عمل حميد .

ولكن يلاحظ أن الأبنية موجودة اذ لا تزال مدرسة البنات القديمة باقية على حالها وهى مكونة من دورين الأرضى ويحتوى على ستة غرف والثانى على ثلاث ففى الإمكان تخصيص هذه الدار لهذا العمل الخيرى العظيم وتعليم الناشئة تعليما إلزاميا سواء كانوا ذكورا أو أناثا الذى جعلنى أتقدم بهذا رأى وأنا الضعيف العاجز انه علمت بأن حضر يتها شرفا الكنيسة فى يوم الأحد ٢١ يوليه وأرشدهما أحد قسوس الكنيسة الى هذا الأمر والى بناء المدرسة الإلزامية فى حوش الكنيسة بجوار المدخل وفى الواقع هذا رأى من جانب القس المذكور وخصوصا وهو مستجد ولا يلم بشئون الحى فيه خطل لأنه فضلا عن أن للكنيسة حرمتها الدينية فان الحوش فى حد ذاته غير صالح لهذا الغرض وخصوصا وأن هناك دار صالحة فبدلاً من الصرف والإنفاق فالبناء موجود ولا يحتاج إلا الى تأثيث وإدارة حازمة بهذا الرجاء يتقدم مقدم هذا الطلب راجيا ان تنظروا بعين الرعاية إلى هذا الحى وتعملوا على إصلاحه ونشر الدين المسيحى به ،

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

تحررى ١٩٤٠ / ٧ / ٢٥

مقدمه

أيوب مقار (١)

٣٢- وحدث فى منتصف شهر يوليو سنة ١٩٤٠ أن قام بعض رهبان دير المحرق بثورة ضد رئيسهم مطالبين إياه بافتتاح مدرسة داخل الدير لتعليم الرهبان الذين هم فى حاجة إلى التعلم وأخرى الدير لتعليم أولاد المنطقة المجاورة للدير . فاحتدم رئيس الدير غضباً وأمر باخراجهم من الدير بحجة أن الطاعة إحدى القواعد الأساسية للرهبنة . فخرجوا بالفعل وجاءوا إلى القاهرة واعتصموا بالمسكن الموجود فى الدور العلوى من جناح المدرسة الإكليريكية بالمهشمة . ولكن رئيس الدير فى حدة غضبه لم يرقه اعتصامهم بمنزل تابع للبطريركية فبعث بشكوى مريرة إلى الأنبا يونس البابا الأسكندرى . وسرى الغيظ كالشرر من نفس رئيس الدير إلى نفس البابا

(١) ولقد تحقق بالفعل اقتراح مقدم هذا الخطاب - ولئن أفرحنا خبر إنشاء مدرسة أولية إلا أنه من المحزن أن يضيع الجهود الذى بذله البابا القور فى سبيل النهوض بأبنائه وبناته فى حى بولاق . وليسمح القراء بأن أقول إننا لم نكتف بتضييع جهد الأنبا كيرلس الخامس ، بل زدنا على ذلك تفشى الجهل بيننا بما أداه فاتهمناه بالتراخى فى رعايته ! وما على الراغب فى معرفة مدى الرعاية الأبوية لهذا البابا القور إلا الاطلاع على ح ٥ من هذا الكتاب حيث يشهد الأجانب لسهره وتشعب نواحي أعماله .

الذى أرسل يطلب إلى مأمور قسم الشرايية اخراج الرهبان من المكان الذى اعتصموا فيه . ومن نعم الله أن المأمور كان رجلاً لبقاً لم يشأ أن يستعمل القوة مع الرهبان . فذهب اليهم ساعة أن وصلته الإشارة الباباوية . وكانت الثالثة بعد الظهر— وأبلغهم بمضمونها كما أفهمهم بأنه لا يريد إخراجهم قسراً فهو لذلك سيمهلهم حتى المساء لعلهم يفلحون فى الحصول على صفح البابا . وما أن تركهم المأمور حتى تكلموا بالتليفون مع حبيب المصرى الذى ما كاد يسمع بالخبر حتى ذهب لمقابلتهم فوراً . واتفق معهم على أن يذهبوا جميعاً معاً لمقابلة الأنبا يونس كما اتفق معهم على أنهم حالما يصلون إلى حضرته يضربون له المطانوة (١) و يتركون الكلام له . ونزل الجميع لساعتهم . ونفذ الرهبان ما أشار عليهم به . ثم تحدث هو كما وعد إلى البابا الذى تأثر جداً بكلامه . فعانقه وطلب اليه أن يكتب رسالة العفو إلى المأمور . فعاد الرهبان إلى المهمشة يحملونها . أما حبيب المصرى فاستمر مع الأنبا يونس يناقشه فى أمر هؤلاء الرهبان ثم اتفق معه على النقط الآتية :

- ١- يوقف رئيس الدير إلى أن يتم تحقيق اللجنة فى المطاعن الموجهة اليه ؛
- ٢- يتولى شؤون الدير مؤقتاً وكيل يختاره الرهبان أو يعينه البابا إذا شاء ،
- ٣- تقوم اللجنة بتحقيق شامل نحوشكاوى الرهبان من الرئيس وفى الوقت ذاته تجرى تحقيقاً فى تصرفاتهم ؛
- ٤- تحقق اللجنة أيضا جميع ما يرى من وجوه الاصلاح الواجب تنفيذها ؛
- ٥- بعد الانتهاء من التحقيق إذا تبين أن المطاعن ضد الرئيس فى محلها فيرسم سواه طبقاً لقانون الرهبنة الموضوع سنة ١٩٢٨ . ولا يشترك فى انتخابه الرهبان المغضوب عليهم إذا لم يكن قد صفح عنهم لغاية ذلك الحين ؛
- ٦- اقتراح بتأليف اللجنة من ثلاثة مطارنة ممن كانوا أصلاً بالدير ومن عضوين علمانيين أحدهما كامل بك ابراهيم الذى كان وزيراً للزراعة فى وقت ما وكان عضواً بالمجلس الملى آنذاك .

ولقد تألفت اللجنة بالفعل وأجرت التحقيقات اللازمة وانتهت إلى استصدار الصفح الباباوى عن الرهبان الثائرين وإعادتهم إلى الدير؛ وإلى افتتاح مدرسة بالدير ومدرستين فى قريتين مجاورتين للدير يتعلم فيها أولاد المنطقة على أيدي الرهبان الذى لهم المقدرة والمؤهلات العلمية اللازمة لمثل هذا العمل . ولقد بعث الرهبان بخطاب الى حبيب المصرى وهم فى طريقهم إلى الدير بتاريخ أول أغسطس سنة ١٩٤٠ قالوا له فيه : بوش . عزبة البار أنبا بولا فى . ١٩٤٠ / ٨ / ١ .

حضرة صاحب السعادة الغيور حبيب بك المصرى بورك فى حياته الغالية بجوده تعالى
تكونون فى أتم صحة وأكمل سعادة .

(١) المطانوة هى الاستغفار بالانحناء حتى تمس الجبهة الأرض .

إن الرهبان يشعرون شعوراً عميقاً على ما بذلتموه من تضحيات بوقتكم الثمين وصحتكم الغالية وبالرغم من هذا سائرين في ما وضعتموه من نصب أعينكم من نصرة الحق وازهاق الباطل لا تبتغون شيئاً من وراء هذا إلا إرضاء ضميركم وأداء رسالتكم .

هذا ونحن بدورنا لا يسعنا أزاء خدماتكم الجليلة ومواقفكم المشرفة إلا أن نقدم لكم أثنى ما نملك وهى قلوبنا لتكون عروشاً تجلسون عليها ، بل ونسكب أنفسنا أمام العلى ضارعين إلى مراحمه الكثيرة أن يبارككم وأولادكم وأفراد اسرتكم الكريمة ويمنحكم نعمة الصحة ويقويكم لتقوموا بعملكم نحو كنيستكم المحبوبة وهبكم من الخيرات والبركات ما أنتم أهل له .

سلام الرب يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع . آمين ،

رهبان الدير المحرق

عنهم القمص باسيليوس يواقيم (١) .

٣٣- ولئن تعجب البعض من تزايد النشاط القبطى فى باباوية الأنبا يونس على الرغم من تغاضيه عن التقليد الأصيل فالإجابة على هذا التعجب هو أن الكنيسة هى جماعة المؤمنين بأسرهم . فالبابا مهما علت مكانته ومهما التهب القلوب بحبه ليس هو وحده الكنيسة ، وما كان يمكنه أن يكون البابا من غير شعب فهو وشعبه معا الكنيسة . إنه أشبه بقمة الهرم التى لا يمكن إلا أن تتركز على البناء المتراص تحتها . وكثيراً ما حدث ، وما زال يحدث مثل هذا العجب وهو أن المحبة الحقيقية تدفع الى العمل البناء فهى وحدها القوة الباذلة البانية ، وحينما تترابط القلوب بالمحبة ينحنا الآب السماوى النعمة على الثمر المتكاثر . كما أن الشعب حين يكون على وعى دقيق بمسئوليته ، وعلى وعى دقيق بأن الضرورة موضوعة عليه - لا على الكهنوت فقط - فإنه سيكافح لخير الكنيسة . والشخصية المعنوية للبابا خلال هذا الكفاح الشعبى هى الحافز ، إنها الدافع الأساسى الذى ينبعث فى واقعه من هذه المكانة الروحية التى أضفاها الكاروز الحبيب - مرقس الانجيلى - على خلفائه ، إنها المحبة الدافعة التى ربطت القلوب - من قداسة البابا الى أصغر عضو فى الكنيسة . ولهذا حدث - فى أكثر من مرة - أن استمر القبط على ولائهم لكنيستهم ومثابرتهم على العمل لرفعها فى ظل بابا دفعهم تصرفه الى الشعور بشىء من الخيبة (٢) .

٣٤- وبعد أن قاد الأنبا يونس ال ١٩ دفة الكنيسة على مدى ثلاث عشرة سنة وستة

شهور ، تنيح بسلام فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٤٢ .

وقد ظلت السدة المرقسية شاغرة بعده مدة سنة وسبعة شهور وواحد وعشرين يوماً .

(١) قصة حبيب المصرى ص ٢٤٩-٢٥١ .

(٢) راجع ح ٢ من هذا الكتاب ص ٣٣٨ و٤٩٢-٤٩٥ ، وح ٣ ص ٣٥-٣٩ و٨٠-٨٣ .

٣٥- وفى يوم الأربعاء أقامت الكنيسة صلاة الجناز على باباها الراحل . فلما انتهت الشعائر الدينية وقف حبيب المصرى يؤبن الفقيه الجليل بمحدث قال فيه :

أن الكنائس التقليدية تعتبر رؤساءها خلفاء للرسل المؤسسين لها الذين نشروا تعاليم السيد المسيح بين أبنائها .

لهذا نقول نحن الأقباط إن الأب البطريرك هو خليفة مارمرقس على بعد الزمن . لأن مارمرقس وضع اليد على خلفه أنيانوس ومن ثم تسلم البطاركة واحداً إثر واحد هذه الأمانة الروحية - فكونوا بذلك سلسلة متصلة الحلقات .

«... إننا نحن الأقباط نحب الكرسي البطريركى ونعزه ونحوظه بإكرام لا يساويه اكرام و بإجلال لا يساويه إجلال .

ولعل صلة الشعب القبطى ببطاركته أوثق من صلة أى شعب آخر برئاسته الدينية لأسباب تاريخية واجتماعية عديدة ولأن البطريرك عادة فرد من أفراد الشعب الذين عرفوا بالتقوى وبالزهد فى الدنيا والانقطاع الى عبادة الله عرف له الشعب صلاحه ورفعته بيديه و بإرادته الى كرسي الرئاسة الدينية العليا

نحب كرسي مارمرقس ذلك الكرسي الذى توالى عليه منه وثلاثة عشر رجلا كان أولهم مارمرقس الرسول نفسه وكان آخرهم الى الأمس القريب أنبا يونس التاسع عشر- ونعتقد طبقاً لتقاليد كنيستنا أن البطريركية خلافة رسولية مقدسة .

ثم إننا نصلى دائماً للبطريرك فى حياته . . ونظل نصلى له بعد مماته فى كل قداس تقيمه الكنيسة مدة أربعين يوماً متوالية . لأن بطاركة الكرسي المرقسى كانوا الصلة بيننا وبين المجد والتاريخ . كم تنكرت لنا الأقدار، وتنكر لنا التاريخ حتى أوشكنا أن ننسى ماضيها . أوشكنا أن ننسى أن لنا تاريخاً مجيداً ، وان ننسى لنا أحساباً كريمة . ولكن البطاركة باتصاهم واتصال حياتهم معنا ، واعتبارهم وحدة مستمرة مستديمة ربطوا ما بيننا وبين الماضى . فإذا نظرنا الى البطريرك شعرنا أن هذا البطريرك لم يكن خليفه لسلفه وحده بل كان خليفة لمارمرقس نفسه وقد اتصل الزمن بينها ، فنشعر بأن مارمرقس أيضا كان معنا بالأمس . فالجالسون على الكرسي البطريركى حملوا رسالة الماضى إلينا وحملوا رسالتنا الى الماضى .

وطالما اختلف الكثير من البطاركة بعضهم عن بعض . . . واختلفت عقلياتهم وبيئاتهم . . . ولكن كان هناك شىء اتحدوا فيه جميعاً على ممر الأجيال هو تعلقهم بكنيستهم وبشعبهم ، و دفاعهم عن عقيدتهم ، وتمسكهم بتقاليدهم ، فنقلوا الوديعة سالمة كاملة أمينة إلينا . . . واتصلوا بشعبهم اتصالاً فشاركوه قسوة الزمن وعذابه واضطهاداته : لم يحدث يوماً أن

عذب الشعب فلم يعذبوا ، أو اضطهد فلم يضطهدوا . كل فرد حمل صليبه . أما البطريريك فكان يحمل صليب الجميع ...

ثم أن موت البطريرك الراحل ، واستغفر الله على خطأى ، لأن البطارقة لا يموتون بل ينتقلون ، كانت مظاهرة عظيمة أثرت فى نفوسنا أعمق الأثر: فلم يكن مآتمه مآتماً قبطياً بل كان مآتماً مسيحياً وكان مآتماً قومياً مصرياً فقد توافد علينا رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى لا ليعزونا فى رئيس أحبارنا فحسب بل ليعزوا أنفسهم أيضاً فى رئيس كنيسة مسيحية عريقة .

وتوافد علينا المصريون المسيحيون والمسلمون من أمير ونبييل ووزير ومن الشعب كذلك لكى يشتركوا فى العزاء لأن البطريرك القبطى معدود دائماً من رجالات مصر البارزين .

والمعروف أنه فيما سوى بعض حالات شاذة فقد كان بعض بطارقة الأقباط دائماً محل احترام وإجلال من جانب أمراء المسلمين الذين توالوا على مصر وازداد هذا الإكرام خصوصاً فى عهد الاسرة المحمدية العلوية .

واننى وأنا فى هذا المكان المقدس أرى من واجبى التنويه الآن بهذا الموقف — موقف التضامن القومى — فقد تبادر إلى بعض الأذهان بسبب بعض الأحداث السياسية الأخيرة أن هذا التضامن قد قتر وضعف معناه .

كلا ، لن يضعف هذا التضامن لأن الحياة فى مصر قد قامت على حقيقة لا محيص عنها وهى أن مسيحيها ومسلميها — وهم فى غالبيتهم من جنس واحد ودم واحد — سيبقون أبد الدهر جنباً إلى جنب فى الحياة وفى الموت .

ولم يكن اعتبار التضامن القومى أساساً للحياة العامة فى مصر وليد الصدفة أو الاعتباط أو مناورة سياسية ولكنه قام على ناموس طبيعى لا سبيل ولا مصلحة إلى التحول عنه .

فإذا كان بعض الناس من الفريقين قد قصر نظرهم وعبثوا بهذا المبدأ القومى فإن الروح المصرية السليمة ستعبث بعبثهم وسترد الأمر إلى نصابه وسيعمل العقلاء وأهل الحكمة من الفريقين على تحقيق هذا المعنى دائماً وز يادته توثقا .

وبعد فإن الأمم تنظر إلى ماضيها لإعداد مستقبلها . تنظر إلى ماضيها لكى تستخرج منه العبر لإستئناف السير فى حياتها .

وقد أنتقل البطريرك إلى رحمة الله فوجب إنتخاب بطريرك يجلس على الكرسي المرقسى وينضم إلى ذلك السبط الذى ينتظم مئة وثلاثة عشر بطريركا من قبله و يكون جديراً بهم .

وشروط إنتخاب البطريرك القبطى معروفة مقررة فى قوانين الكنيسة وتقاليدها من بتولية وزهد وتقوى وعفة وفقر— وفوق هذا كله وقبل هذا كله تنزه تام عن المطامع .

نعم تنزه تام عن المطامع فالبطريرك القبطى يجب أن يجره الشعب القبطى جراً إلى الكرسي . لا أن يسعى هو إلى الكرسي ولا يتطلع إليه .

... إن الحرص على التقاليد هو الذى أبقي إلى اليوم كنيسة اسمها الكنيسة القبطية راسخة كالطود ، قادرة على مقاومة زعازع الدهر . قد يتحول البعض عنها ، وقد يتنكر لها البعض ، ولكنها ستبقى أبد الدهر هى الكنيسة المرقسية ذات التقاليد .

لا تسموا التحول عن هذه التقاليد تجديداً . لنجدد روحانياتنا . لنجدد عقليتنا . لنجدد فى تربية أولادنا . لنجدد فى أساليب حياتنا . أما قوانين كنيستنا وتقاليدها وطقوسها ، فلتبق مقدسة لا تمس .

أن الأهرام لا يطفى بالظلاء . وأبا الهول لا يزخرف ظاهره بالنقوش . فأنا أناشد الآباء المطارنة والآباء الكهنة ، وأناشد الرهبان . وأناشد أفراد الشعب القبطى قاطبة أن يحتكموا إلى ضمائرهم وأن يعتبروا انتخاب البطريرك مسألة أعز لديهم من أية مسألة شخصية وأن يسموا بها عن مستوى المطامع والشهوات والغايات وأن يجعلوا هذا تقدمه منهم للسيد المسيح وعبادة . فخلافة مارمرقس جديرة بأن تنزه عن الأهواء .. وبأن تمتنع عن الغايات .

إن الاقباط قد يختلفون رأياً فى كثير من المسائل فالخلاف فى الرأى أمر طبيعى وليس الخلاف فى الرأى عيباً وإنما كل العيب أن يكون الدافع إلى الرأى مصلحة شخصية أو غاية يريد تحقيقها ، وكل رأى منزه عن الغايات رأى محترم جدير بالبحث والنظر والمناقشة ، أما الرأى المشوب بالغاية فهو رأى وضيع ووضع صاحبه ...

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهبىء للقبط طريق الرشاد والحكمة ، وأن يرزقهم ذلك البطريرك الصالح الذى يعترفون به ويفتح أمامهم الآفاق— آمين ..

ولقد كان حبيب المصرى فى المستشفى القبطى لإصابته فى حادث أوتوبيس حينما نعى الناعى الأنبا يونس . ولكن حبه الملهب بالكنيسة جعله يتحامل على نفسه ويحضر جناز الأربعين ثم يقف ليؤبّن باباه . ويبدو أن حماسه فى الحديث كان سبباً فى عدم عودته إلى المستشفى إذ أحس بأنه استعاد صحته تماما ! وما إن شاع هذا الخبر حتى جاءه الخطاب التالى :

نزالى جانوب الدير المحرق فى ٩/٧/١٩٤٢ ..

حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا

نشكر الله تعالى الذى أسبغ عليكم نعمة الشفاء بالباسم ثوب العافية والصحة ، لك التحية من قلب عامر .

أبعثكم تهنئة الكثيرين بمناسبة إبلاككم الميمون الذى حل برداً وسلاماً على قلوب عارفى فضلكم وخدماتكم . الذى طالما خفقت بإهلاله وإجلاله وجدت كلما زادتها اللهفة عليكم والتحصير على آلاماتكم المبرحة . والآن وقد أسفرت شمس طلعتكم بعد حجاب هلعنا له وارتعبنا من أجله فزال جزعنا . فحل الرجاء عوض اليأس والفرح عوض الترح والطمأنينة بدل الاضطراب ، إنا لا نغالى فى القول إذا قلنا انكم الرجل الذى يعمل بإخلاص فى جد وغيره لايعتورهما فتور . فكم قومت من الأيادى المسترخية والركب المخلعة وكنت لساناً للعاجز وحجة للضعيف . الأمر الذى جعل الألسنة تتفق مجتمعة على مدحكم والثناء على أفضالكم . إن لشفائكم أثر بالغ فى نفوس المخلصين اليكم ومقدرى خدماتكم إذ أنتم المثل الأعلى فى التضحية ، ليس هذا فحسب . بل ببذل راحتكم وصحتكم فى خير الجماعة ضربتم الرقم القياسى حتى صرتم أشهر من نار على علم . أجل . نعم هذه الشخصية الفذة التى جمعت بين إقدام القائد وشهامة المحارب ، بل ونعم هذا الابن البار الأمين لأبناء كنيسته .

وان ننسى فلا ننسى موقفكم المشرف الأخير الذى وفقكم الله فيه خير توفيق — جزاكم الله كل خير — بالرغم من ضعف صحتكم . ونحن بدورنا لا يسعنا أزاء هذا الشفاء الذى ارتاحت اليه النفوس وأثلجت له القلوب إلا أن نرفع أكف الضراعة الى الحق سبحانه كما ضرعنا اليه سابقا فاستجاب لابتهالاتنا وتقبل توسلاتنا أن يحفظ عليكم نعمة الصحة والعافية ويجزل لكم الاجر والثواب .

بادرت بتسطير هذا اليكم اذ هو دين فى عنقى ألا أنساكم ما حييت .

عاطر سلامى وخالص دعواتى لأفراد الأسرة الجليلة .

سلام الرب الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى ابنه يسوع المسيح آمين ، ودمتم للمخلص .

القمص باسيليوس يواقيم .

٣٦ — ومن الجهود البناءة فى هذه الفترة تشييد إحدى عشرة كنيسة فى القاهرة هى :

١ — كنيسة الأنبا أنطونيوس بشارع ترعة الجلاد بشبرا ،

٢ - كنيسة مارمينا بأول شارع الترعة البولاقية بشبرا - وقد شيدت على نفقة أولاد مينا
مقار الأرخن الأسيوطى الأصل ،

٣ - كنيسة يوحنا الحبيب بحلمية الزيتون تعاون أهل المنطقة على تشييدها ،

٤ - كنيسة السيدة العذراء بالمليحة بجدايق القبة - وهذه أيضا تضافر شعب المنطقة فى
بنائها . والطريف أنهم وجدوا المتبقى من الأرض فسيحا فأقاموا فى الركن الشمالى الشرقى منه
بيتا افتتحوا فيه مدرسة وتعاونت معهم فى تنظيمها وتسييرها جمعية السيدات القبطية لتربية
الطفولة . ومرة أخرى وجدوا متسعا من الأرض فبنوا بمحاذاة مبنى المدرسة كنيسة باسم رئيس
جند السمايين الملاك ميخائيل ،

٥ - كنيسة السيدة العذراء بالمهمشة - وهى فى الركن الشمالى الشرقى من حديقة
المبنى الذى كان الاكلير يكية من عهد البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس الى أن نقله قداسة البابا
يوساب الثانى الى المبنى الخاص على أرض الأنبا رويس . وقد نشر حبيب جرجس فى مجلته
« الكرمة » مايلى : « تدشين كنيسة السيدة العذراء بمهمشة : قام بتدشينها قداسة البابا يؤنس
التاسع عشر ، وأقام أول قداس فيها ، يوم الجمعة ٢٧ أمشير الموافق ٦ مارس سنة ١٩٣١ . واشترك
معه فى الصلوات أصحاب النيافة أنبا كيرلس مطران أثيوبيا ، أنبا بطرس الأسقف
الاثيوبى ، أنبا سرايامون مطران الخرطوم ، أنبا ابرآم مطران البلينا ، أنبا يوساب مطران جرجا ،
أنبا ميخائيل مطران أبوتيج ، أنبا لوكاس أسقف منفلوط ، أنبا ديمتر يوس أسقف المنوفية .

٦ - كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون بشبرا ،

٧ - كنيسة الشهيد أبو سيفين والشهيدة الست دميانة بأرض رائف بشبرا ، أما الأربع
كنائس الباقية فهى باسم الشهيد العظيم مار جرجس وهى :

أ - بخماروية .

ب - بجزيرة بدران .

ج - بشارع الجيوشى - وثلاثها فى شبرا ؛ والرابعة فى الظاهر أقامتها جمعية تألفت
خصيصاً لبنائها . فأقامت الكنيسة الضخمة عن يمين الداخل . ثم أقامت مقابلها مبنى جعلت منه
ملجأ للصبيان وألحقت به غرفة لتعليمهم الحرف اليدوية . وخصصت غرفة كبيرة وضعت فيها
ماكينة مطبعة .

واستكمالاً لرسالة الكنائس شجع قداسة الأنبا يؤنس الجماعات الشماسية ، ومن أبرز
الأمثلة على هذا التشجيع إقامته شعائر القداس الالهى مع شمامسة جمعية نهضة الكنائس الذين
سجلوا هذا الحادث البهيج فى مجلتهم كمايلى :

يعد حادث إحياء القداس الالهى الكيرلسى وإعادة الصلاة به فى كنائسنا القبطية
حادثا تاريخيا عظيما . فقد حاول كثيرون من الآباء البطارقة والأراخنة العظام إعادة الصلاة به فى

المائة سنة الماضية . ولكن ذهبت محاولتهم أدراج الرياح . وصادفت رغبتهم مقاومة عظيمة من الكهنة والشعب لصعوبة ألحانه ولطوله ، وأشار الى ذلك المرحوم اقلاديوس بك لبيب فى مقدمة الخولاجى الذى قام بطبعه فى زمن المتنيح الأنبا كيرلس الخامس .

فعودته تنهض دليلاً قوياً على نهضة روحية امتاز بها عهد غبطة البابا المكرم الأنبا يونس (١٩) البطريرك المائة والثالث عشر . سيذكرها التاريخ بمداد الإعجاب والفخر . فقد قوبل هذا القداس فى كل جهة بالغبطة والثناء . وضحي الآباء الكهنة ومعلمو الكنائس كثيراً من أوقاتهم فى سبيل حفظه . وإجادة ألحانه الملائكية الخالدة وقاموا بمجهود عظيم ستذكره لهم الأجيال القادمة بالثناء والحمد لأنهم حافظوا على هذا التراث الخالد . وانتشلوه من براثن الفناء والضياع .

ولقد قدر حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم هذا المجهود العظيم وباركه وأظهر رضاه عن القائمين به بتفضله بعمل صورة فوتوغرافية تاريخية لغبطته يحوط به أبناؤه الكهنة والمعلمون أبطال القداس الكيرلسى وأعضاء مجلس إدارة جمعية نهضة الكنائس القبطية المركزية إحاطة الهالة بالقمر . وهذه مكافأة أدبية لا تقدر بمال .

قداس الآباء الروحانيين العظام

هكذا دعا غبطة البابا هذا القداس الكرم . فقد امتاز بالتعمق فى الروحانيات . وبالألحان الضافية المؤثرة التى تنقل الانسان مهما كان غافلاً من عالم المادة إلى عالم الروح . ولقد أرادت الكنيسة الملهمه بالروح القدس أن تدرب أبناءها على حياة أهل الفردوس فرتبت لهم قداسها المرقسى فى زمن البابا كيرلس الكبير على غرار تسابيح الملائكة ، وتهاليل أهل السماء . ففى نعمات صلواته تذلل ، وحزن ، ورجاء ، وشوق عظيم إلى كل ما هو سام . وإلهى كرم .

فالقداس الكيرلسى تدريب روحى لحياة السماء يقوم به المؤمنون بفرح وغبطة لا مزيد عليها . ففى السماء لن يجد الانسان غير هذه التسابيح المقدسة والانشيد المباركة ، ستختفى من حياة السماء كل الأشياء التى تشغلنا فى حياة الأرض ، ولا يكون لنا عمل هنالك غير التسبيح ، وهذا ما أراد الآباء أن يعودونا عليه ، ويعلمونا إياه ، ويعلمونا بهذا القداس الملائكى .

القداس الكيرلسى متمم لطقس العبادة

تحتوى صلاة التسبحة فى الصباح الباكر فى كنائسنا القبطية على ألحان غاية فى الروعة والجلال يستغرق القاؤها أربعة ساعات كاملة . وهذا الطقس من العبادة المطولة لا يتسق مع نظام القداس الباسيلى المختصر . بل أكبر الظن إنه وضع على غرار طقس القداس الكيرلسى وألحانه العظيمة فى الجلال والفخامة . ويكاد يكون لكل لحن مشهور فى التسبحة نظير فى صلاة القداس الكيرلسى وبمزاولة القداس الكيرلسى بالصلاة به فهما معنى صلاة التسبحة وألحانها البارعة .

القداس الكيرلسي ثروة روحية للكاهن

ولقد شعر الآباء الذين أجادوا الصلاة بهذا القداس أنهم أضافوا ثروة روحية ثمينة الى معلوماتهم يلجأون اليها كلما احتاجوا للتعزيز والنشاط الروحي . ففي القداس الباسيلي العادي يدفعهم الحنين الى السمو الروحي بتلاوة بعض صلواته السامية . وهذا أكبر عامل على ذبوع هذا القداس في كنائسنا . وانتشاره قريباً بقوة الله في طول البلاد وعرضها .

وهذا ويوالي حضرة الاستاذ الكبير المعلم ميخائيل جرجس إلقاء « درس الكيرلسي »
بدار جمعية نهضة الكنائس بالفجالة أيام الاثنين والثلاثاء والخميس من كل أسبوع — وأملنا عظيم في حضرات الآباء والمعلمين الذين لم تمكنهم ظروفهم الى الآن لحضور هذه الدروس القيمة أن يتكرموا بالحضور . وستعمل لهم الجمعية كل وسائل التسهيلات لحفظ ما فاتهم من الدروس (١) .

٣٧ — ولقد استهل الأنبا يونس بابا ويته برسامة الأنبا كيرلس مطرانا على اثيوبيا يوم الأحد ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ (وسيأتى الحديث عنه فيما بعد) .

ثم قام بعد ذلك — كلما دعت الضرورة — برسامة غيره ، والذين نالوا الكرامة الأسقفية على يديه هم :

١ — أنبا أغابوس — كان راهباً بالدير المحرق باسم عبد النور ، ثم أقيمت الشعائر المقدسة التي رفعتة الى الأسقفية في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٩ لكرسي ديروط وصنبو . واختير في أول يناير سنة ١٩٣٩ ليرأس الدير الذي ترهب فيه ، فظل في هذه الرئاسة الى أن استقال منها في ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ . وقد كان مهيباً كريماً محبوباً ، عمل كل ما في وسعه للنهوض بالشعب الذي أوتمن عليه . فكانت دار مطرانيته تزدهم بالوافدين عليه من مصريين وأجانب (٢) .

٢ — أنبا ساويرس — كان طالباً بالاكليركية وأكمل دراسته بها سنة ١٩١٤ . ثم قصد الى دير السيدة العذراء — برموس حيث ترهب باسم بقطر في ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٧ . وبعد ما قضى ما يقرب من ثلاث عشرة سنة في رهبنته رسمه الأنبا يونس أسقف في ١١ أبريل سنة ١٩٣٠ على المنيا والأشمونين ، فمطراناً بعدها بأربع سنوات .

(١) مجلة نهضة الكنائس ، أمشير ١٦٥٨ = مارس ١٩٤٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) ويسعدني أنني نلت بركة هذا الأب الجليل في ديروط في مايو سنة ١٩٥٤ حينما كنت في طريقى للتبرك بزيارة الدير المحرق مستحبة معي بعض الصديقات والأصدقاء الانجليز .

٣- أنبا لوكاس - كان هذا الحبر الجليل من رهبان دير السيدة العذراء - المحرق باسم عبد المسيح واصف . عاش في الدير من سنة ١٩١٧ - سنة ١٩٣٠ . وفي ١٩ يونيو من السنة الأخيرة نال الكرامة الأسقفية . على كرسى منفلوط وأبنوب . وكان ولوعاً بالتفتيش في الكتب ، فثابر على البحث والاطلاع ، ونشر عدة مقالات دينية وطقسية في مجلة مارجرجس الشهرية ، جمعها كلها القمص بولس باسيلي (صاحب المجلة) ونشرها في كتاب أسماه « اللوكاسيات » . ثم أصدر نيافته مجلته الخاصة باسم « الحكمة » ، ولكنها لم تظهر الا لبضع شهور فقط . ولقد كتب - أيام رهبنته - كتابا ذا قيمة كبرى عن القمص ميخائيل البحيري الذي كان الأب الروحي لكل الرهبان المحرقين المعاصرين له . واسم الكتاب طريف للغاية إذ هو « بلوغ المرام في تاريخ خليفة الأنبا ابرام » . وفوق هذا كله فقد كان ممن يمكن وصفهم « بالساسة اللبقيين » إذ قد اختير عدة مرات ليرأس اللجنة المختارة للتفاوض مع الاثيوبيين . وكل من يعرف شيئا عن هذا الشعب يعرف مدى طول الآناة والحكمة اللازمتين للوصول معهم الى أية نتيجة !

٤- أنبا توماس الذي كان ذا نشاط واسع سنتبعه بإذن الله عند تسجيل سيرة الأنبا يوساب الثاني وما جرى في عهده . ونكتفى هنا بالإشارة الى أنه اتخذ طنطا مقراً له . ولكنه رعى شعب البحيرة بزياراته المتوالية وبالاشتراك مع كهنته وشعبه في أنشطتهم المختلفة . ومن هذه الأنشطة المؤتمر التربوي الذي نظمه القمص بولس بولس بمدينة دمنهور وجعله تحت رعاية نيافته . وإليكم بعض ما نشرته مجلة الايمان عن هذا المؤتمر (٢) .

دعا جناب الآب القمص بولس بولس الهيئات والجمعيات الدينية العاملة بدمنهور ونواحيها إلى مؤتمر عام للتربية « يبحث مشاكل أولادنا وبناتنا و يبين الطرق المثلى لتربيتهم في وقت عمت فيه الحضارة الكاذبة والتصرفات الشاذة » وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام من ١١ - ١٣ يونيو . وانتظم صفوة من المحاضرين والمحاضرات في مختلف الموضوعات التربوية والنفسية والروحية . كما أقيم فيه معرض لأشغال شابات مدارس الأحد ، وعملت مسابقات بين الأطفال . وقد ألقى القمص بولس في دعوة الآب القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الايمان ، فذهب لحضور المؤتمر يوم الجمعة ، وألقى كلمة عن تاريخ جمعية الايمان ، وكيف قامت في أساسها بعون حلقات الصلاة والعبادة المنتظمة التي كانت تقام ليتعهد الرب العمل وينميه ، وكيف استجاب الرب لهذا الدعاء فنمت أعمال الجمعية منذ سنة ١٩١٤ حتى الآن ، ومن أروع ما قيل يومذاك الكلمة التالية :

(٢) في عددها الصادر في سبتمبر سنة ١٩٥٢ ثم استكملت الموضوع في عدد أكتوبر من نفس السنة ، وهنا يجب أن نذكر أن « البحيرة » التي كانت إبارشية الأنبا يونس ظلت من غير أسقف طيلة باباوتيه . وهنا يتضح لنا خطر آخر من نقض القوانين الرسولية وهو أن الأسقف الذي يصبح « بابا » يظل شعبه بلا راع . صحيح أن الآباء الكهنة موجودون . ولولم تكن هناك حاجة الى أسقف (أو مطران) فما الداعي الى رسامته ؟ ولكن الحاجة الى الأسقف حتمية لأنه « ربان » السفينة المسئول عن رعاية الكهنة والشمامسة والشعب : إنه الأب الأول . ولأن شعب البحيرة ظل بلا « أب » فقد أوكل الأنبا يونس الى أخيه في الخدمة الرسولية - الأنبا توماس مطران الغربية - أن يتولى النظر في شؤون هذا الشعب « اليتيم » .

سر الاعتراف بالنسبة للطفل والشاب

للاب القمص ابراهيم عطيه مدير الكلية الاكلير يكية

إن كل ديانة تقوم على عناصر ثلاث : العقيدة . الأدب . الطقس . فالذين لا يهضمون العقائد يصبحون غير ملمين بالأدب أو الطقس ، أى لا يعرفون الديانة . وسر الإعراف هو سر مقدس به يشكو الإنسان نفسه أمام الله على يد كاهن شرعى لسمع منه إعلان الحل من خطيئته . وهو سر غريب فى طقسه فالمعترف يمثل ثلاثة أغراض ، الشاكى ، المشكو ، والشاهد . أما الكاهن فهو القاضى ، وتتجلى قيمة سر الاعتراف فى أنه يشبه بمدن الملجأ قديماً ، وكان يهرع إليها الخاطيء حين يشعر أنه يستحق الموت أو الاعدام فينجو منها . فسر الاعتراف هو مدينة الملجأ التى نحتمى بها . فالمرأة الزانية حين تقدمت إلى المسيح تبل رجليه بدموعها وتمسحها بشعر رأسها كانت بذلك تعترف بأنها خاطئة ، وكانت لغة اعترافها هى الدموع فصيح عنها المسيح وقال لها : « أذهبى بسلام مغفورة لك خطاياك » — فهنا نجد أن المرأة قد حصلت على الأمان لالتجائها إلى هذه المدينة العجيبة - مدينة الملجأ — أو مدينة النجاة .

وسر الاعتراف معمودية أخرى لأن الإنسان لا تعاد معموديته إذ لا يمكن أن يولد مرتين — وإنما دموع توبته وندمه تعتبر معمودية ثانية ، كما أن التناول يعتبر مثبتاً له من جديد فى صلته بالمسيح ، فيكون كسر الميرون تماماً . وقد يعترض بعض الناس قائلين كيف بعد الإثم والشر والإجرام تتم المغفرة بمجرد اعتراف بسيط وبكلمات قليلة . والإجابة عن هذا السؤال أن الله يريد أن يبسط أمامه وسائط الخلاص حتى يكون بلا عذر .

وشروط الأعراف الصحيح :

١ — الشعور بالخطيئة والحكم على ذاتك بأنك خاطيء . على أن يكون الدافع إلى ذلك لآخوفك من الجحيم وإنما لكى ترجع إلى إنسانيتك وفضيلتك السابقة .

٢ — ويجب أن يتم الاعتراف أمام كاهن قانونى يتصل كهنوته بالرسول ثم بالمسيح له أنجد .

٣ — والتوبة لا يجب أن تكون مغرضة — أيام الامتحان مثلاً ، وإنما يجب أن تكون لذاتها وللرجوع إلى الله .

٤ — وليحذر المعترف أن يشكو غير نفسه .

٥ — وأن يكون صريحاً فلا يقول أنا مخاصم فلان ، أو أنا مختصر عن فلان ، لكنى لا أحمل له شيئاً فى قلبى — فهذا نوع من التحايل على أن الاقتصار قد يكون أحياناً مفيداً إذا ترتب عليه دفع ضرر ، بشرط أنك إذا قابلته تحييه وتتمنى له الخير .

ولقد كانت الكنيسة فى عصورها الأولى تخصص آباء كهنة لتلقى اعترافات الشعب
وحبذا لو رجعنا إلى هذا النظام فى عصرنا الحاضر .

وللكاهن المعرف الأثر الأول فى اكتساب الشاب وفى تشجيعه على الاعتراف بما يتبعه
معه من أسلوب الحكمة والرفق كالسيح له المجد الذى تدرج مع السامرية من الحديث عن الماء
الطبيعى إلى ماء الحياة الروحية . أما مع الطفل فإنى أسأله : « عملت حاجة ؟ » وذلك لأشعره
أنه قد جاء ليقرب بذنبه ، ثم أسأله عن مواظبته على حضور مدارس الأحد وأوجهه للنواحي الإيجابية
فى الفضيلة ،

ولقد تابع القمص بولس بولس عمله الراعى بإقامة الندوات والاجتماعات العامة التى
ظل يدعو اليه كل من يعرفه من الخدام والخادمت . فكانت كل هذه الأنشطة تحت رعاية نيافة
الأنبا توماس الذى رعى شعب البحيرة بكل أمانة .

٥ - أنبا تيموثيوس - من رهبان دير كوكب البرية القديس أنطوني ، دخله سنة
١٩١٥ وتسمى باسم حنانيا (١) . وفى سنة ١٩٢٧ عين وكيل لأوقاف الدير بالقاهرة . ثم رأى
الرهبان أن يقيموه رئيساً عليهم خلفاً لرئيسهم المتنيح ، فعاد إلى حياته الديرية فى ١٨ أكتوبر
سنة ١٩٢٨ . وحينما دارت رحى الدعايات للكرسى الباباوى - تلك الدعايات التى انتهت بفوز
الأنبا يونس ال - ١٩ - كان القس حنانيا الأنطوني أحد المرشحين (٢) . فلما شغل الكرسى
الأسقفى للدقهلية والبرارى ودمياط ، رسم هذا الراهب الأنطوني عليه فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١ .
وكان كسيده الفادى الحبيب طويل الروح حليماً هادئ الطبع ، كما كان على جانب كبير من
السخاء والسعى للسلام . ولهذا كان الشعب يحبه حباً خالصاً ، ويسارع نحوه كلما سنحت
الفرصة ، لأن وجهه اللطيف وابتسامته الحلوة ولحيته النازلة إلى جيب قميصه (٣) . كان يجعل
كل من يراه أن يعود بذاكرته إلى بطاركة الكتاب المقدس .

وكان لغيرته ومحبهه لكنيسة الآباء والأجداد لا يرسم كاهناً فى إيبارشيتته الا من خريجى
الاكليريكية . ولهذا السبب رجا منه حبيب جرجس أن يكتب له كلمة تشجيع ، فكتب له
ما يأتى :

(١) هذا هو الشكل العربى لأسم أنيانوس الخليفة الأول لكاروزنا الحبيب الذى منح الرسامة المقدسة بيده الطاهرة إلى
أنيانوس - راجع ج ١ من هذا الكتاب ، الفصل الخاص بمارمقس .
(٢) يسعدنى أن أسجل بأن حبيب المصرى أنتخبه آنذاك . كذلك يسعدنى أن أسجل بأنى استمتعت بكرم ضيافته حينما هيا
لى الآب السماوى بركة زيارة الست دميانة بالبرارى . فقد كان الضيوف يتوافدون جماعات وأفراداً فتمد لهم الموائد ، حتى إذا ما
شبعوا وارتبوا حلت محلهم جماعات أخرى . فكان سبيلاً مستمراً على مدى أيام عيد الشهيدة القديسة : فالزوار لا ينقطعون ،
والعاملون تحت رياسة المطران الحنون لا يكلون ! حتى لكأن هدوءه النفسى وعينيه الساطعتين مبعث قوة لهم .
(٣) مزمو ١٣٣ : ٢ .

كلمة حضرة صاحب النيافة الاب الكلى الاحترام

الانبا تيموثاوس مطران الدقهلية (١)

حضرة الابن المبارك الأستاذ حبيب جرجس مدير المدرسة الاكليريكية

بعد الأدعية الصالحة ، ومنحكم باسم الرب البركات .

يمكننى أن أقول إن فضل هذا المعهد العلمى على الكنيسة القبطية ، أمر لا يحتاج الى برهان ، ولا يختلف فيه إثنان ، والفتاة لنظر الشعب إلى معرفة قيمة وفضل هذا المعهد أقول :

إذا كانت الدول العظيمة تولى شأنها وتحافظ على دوام استقلالها ، بمعدات حربية تحسبها قوة قوية كالبوارج والغواصات البحرية .

فخليق إذن بشعبنا القبطى وكنيستنا الأرثوذكسية ، المحافظة على دوام استقلالها الدينى ، وسلامة بنينا من عبث الأيادى الأثيمة ، وتفشى روح التعاليم الغربية فيها والعمل على اتساع نطاق هذا المعهد المعتبر خزانة لأسلحة الكنيسة ، كما قال الرسول معلمنا بولس « وأنت منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحمك للخلاص الخ . »

ففى تقدم هذا المعهد تقدم لقيادة الشعب الروحية والأدبية ، ولا ينكر أحد الفرق بين العهدين كالفرق بين الظلمة والنور ، وآثار عمله فى البلاد والقرى خصوصاً فى هذا العصر .

أما سر نجاح هذا المعهد فبفضل نعمة الله التى قيضت له رجالاً أمناء فى خدمة الله دون المادة ، وعلى رأسهم غبطة البابا المعظم الأنبا يوانس الذى يفخر بشمر عمله فى عهده الميمون . وبصلواته وبحسن رعايته نرجو لهذا المعهد كل تقدم ونجاح على يديكم .

ونعمة ربنا تشملكم ولعظمته الشكر دائماً ،

١٢ بابة سنة ١٦٥٥ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٨

تيموثاوس

مطران الدقهلية

(١) عن كتاب : « الاكليريكية بين الماضى والحاضر » لحبيب جرجس ص ١٨١-١٨٢ .

٦ - أنبا ديمتر يوس - قصد الى دير الأنبا بيشوى واستقر فيه . وفى مارس سنة ١٩٣٠ اختاره إخوته الرهبان ليكون رئيساً . والعجيب أنه قضى سنة تماماً فى هذه الرياسة إذ قد نال الكرامة الأسقفية فى ١ مارس سنة ١٩٣١ على كرسى المنوفية . وكان ذا صوت شجى حنون ، شديد الحب للكنيسة ، كما كان سخياً . وحينما انزوى الأنبا مكار يوس الثالث فى دير الأنبا بولا كان ضمن الآباء الذين زاروه للاطمئنان عليه ، وفاء للزمالة فى الرهبة - لأن كليهما من دير الأنبا بيشوى .

٧ - أنبا كيرلس - من رهبان دير كوكب البرية حيث عاش عدة سنوات . وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١ اختير رئيساً للدير . ولكنه لم يبق فى الرياسة غير ثمانية شهور وخمسة أيام رسم بعدها على كرسى قنا وقوص . وكان هو أيضاً من محبى التفتيش فى الكتب ، وبالتالى كان كبير التقدير للعلماء ، يعلن تقديره إياهم جهاراً . وقد شيد كاتدرائية فخمة ، وألحق بها داراً للمطرانية لا تقل فخامة . فكانت محط الغادين والرائحين ، لأن الأنبا كيرلس كان وقوراً مهذباً يستقبل الجميع بحنانه الأبوى الجذاب . كذلك كانت شخصيته الرصينه مبعث قوة وثبات فى قلوب أبنائه .

٨ - أنبا مرقس - هذا الأب - مع كونه من مواليد جهينه بطهطا - قصد الى دير السيدة العذراء - برموس حينما رغب فى الرهبة . فترهب فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٢ باسم بشارة . وبعد عشر سنين من الرهبة عينه الأنبا يونس وكيلا للباباوية بالاسكندرية . ولكنه لم يلبث أن عاد الى الدير . ثم التحق بمدرسة الرهبان بجلوان . وفى ٢٨ مارس سنة ١٩٣٤ نال كرامة الأسقفية على كرسى أبوتيج وطهطا . وبعد أن قضى سبع سنوات فى خدمة دوؤب وفى رعاية الشعب الذى ائتمنه عليه رب الكنيسة . لذلك رأى قداسة الأنبا يونس أن يبين له تقديره فدعاه وأقام الصلوات التى رفعتة الى مطران - فى ١٧ أبريل سنة ١٩٤١ . وقد بنى الكثير من الكنائس ، وجدد القديم منها . كذلك وجه عنايته الى مختلف الأنشطة التابعة للكنيسة من مدارس وملاجىء ومشاغل . ولما كانت طهطا من أكبر المراكز للنشاط الكاثوليكي ، فقد شجع كهنته ووعاظه على تثبيت العقيدة الأرثوذكسية . ومن الذين استجابوا لتشجيعه القس مرقس شنودة الذى أصدر مجلة شهرية باسم « رسالة مار مرقس » ، استهدف من الأبحاث والمقالات التى نشرها فيها توضيح العقيدة الأرثوذكسية وإبراز الجهود الجبارة التى بذلها الآباء فى الذود عنها . وفى عددها الأول من السنة الخامسة (يناير سنة ١٩٥١) كان المقال الرئيسى هو « عظة عن سقوط الشيطان » عن كتاب « سلاح المؤمنين » للأنبا يوساب الأبح (١) . واستمر فى نشر هذا الكتاب فى سلسلة متتابعة من المقالات تدعياً للتعالم الأبوية فى القلوب . ولقد بدأ هذا القس الشاب جهوده حتى

(١) كان أسقفاً على كرسى جرجا ، عاصر الأنبا يونس الثامن عشر (البابا الـ ١٠٧ ، سنة ١٧٧٠ - سنة ١٧٩٧) كما عاصر ثلاثة غيره من الباباوات المرقسية . وكان عالماً ضليعاً فى العقيدة الأرثوذكسية . فلما أرسل الحبر الرومانى رسالة الى الأنبا يونس يحاول فيها استمالة هو وكنيسة القبطية الى الانضمام تحت لوائه ، طلب البابا الاسكندرى الى الأنبا يوساب ان يرد بنفسه على هذه الرسالة - راجع ح ٤ من هذا الكتاب ص ١٥٣ ، ١٦٨ - ١٨٣ .

وهو بعد شماس (باسم و نصا شنودة) ، فنشرت مجلة الايمان إعلاناً عن كتاب أصدره بعنوان «التاج المفقود» يناشد فيه الشباب أمثاله بالاحتفاظ بعفتهم . وقد ظهر هذا الإعلان فى عدد شهرى ديسمبر سنة ١٩٤٢ و يناير سنة ١٩٤٣ فى آخر صفحاته .

ولقد شاء الآب السماوى أن يمىد فى عمر هذا المطران الجليل فعاش الى باباوية الأنبا شنودة الثالث (١) (أطال الله حياته) . ولقد انتدبه البابا كيرلس السادس ليرأس الوفد القبطى الذى ذهب الى روما ليتسلم رفات الكاروز الشهيد من يد البابا الرومانى و يأتى بها الى القاهرة حيث أقيمت الاحتفالات البالغة الروعه احتفاءً بمرور تسعة عشر قرناً على استشهاد هذا الكاروز الأمين : وكان ذلك فى ٢٤-٢٦ يونيو سنة ١٩٦٨ . وقد بدئت هذه الاحتفالات بالقداس الالهى الذى اشترك فى تأديته مع البابا القبطى العظيم - أنبا كيرلس السادس - مندوبو الكنائس الأرثوذكسية اللاخقليدونية (٢) . ولما انتهت هذه الصلوات القدسية التى اهتزت لها القلوب ، حمل البابا كيرلس بمعاونة بعض كهنته الرفات المقدسة ووضعها فى المزار الذى أقيم خصيصاً لها تحت المذبح الرئيسى للكاتدرائية الكبرى التى أقيمت على أرض الأنبا رويس احتفاءً بهذه المناسبة الروحىة العظمى .

ومما يجدر ذكره أن الأنبا مرقس نشر كتيباً أنيقاً سنة ١٩٤٩ بمناسبة اليوبيل الفضى لمدارس الأقباط الكبرى فى أبوتيج وطما ، تتبع فيه نمو هذه المدارس وتزايد عددها وعدد التلاميذ والتلميذات فيها . فقال فى المقدمة : فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ وضعت نواة هذه المدارس من فصلين فقط ، ولم يتجاوز عدد التلاميذ آنذاك الأربعين . والآن - وفى سبتمبر سنة ١٩٤٩ نرى هذه النواة وقد أصبحت شجرة عظيمة متفرعة الأغصان إذ قد صارت ست مدارس : واحدة ثانوية للبنين ، وثلاثة ابتدائية - إحداها للبنين ، وثانيتها للبنات فى أبوتيج ، وثالثتها مشتركة فى طما ، وروضتان للأطفال مشتركتان : إحداها بأبوتيج وثانيتها بطما . كذلك افتتح الأنبا مرقس قسماً داخلية سنة ١٩٤٦ للبنين الذين يريدون المجيء اليه من مختلف القرى . وفى السنة عينها شرع نيافته فى بناء مدرستين ابتدائيتين : إحداها فى صدفا والثانية فى أولاد الياس

وهكذا انشغل هذا الأب الساهر برعاية شعبه وتعليمه روحياً وعقلياً .

٩ - الأنبا ثيئوفيلس - لبس الزى الرهبانى فى دير الأنبا أنطونى باسم بطرس . ثم خدم فى كنائس الأراضى المقدسة وفى السودان عدة سنوات . ثم اختير رئيساً لديره فى آخر ديسمبر سنة ١٩٣١ . وفى ١٩ مايو سنة ١٩٣٥ رسمه البابا يونس مطراناً على القدس الشريف وكرسى الشرقىة مع احتفائه برياسة ديره . وقد كان ممن يوصفون بأنهم «تخمروا فى الرهبنة» إذ

(١) أى أنه عاصر خمسة باباوات .

(٢) راجع ما جاء عن خلقيدون فى الفصل الأول من ح ٢ لهذا الكتاب .

قد تحلى بكل الفضائل الرهبانية ، ومن أبرزها فضيلة « الفرز » (١) . فقد رآه كل من نال بركة
التقديس أيام حبريته جالساً على الكرسي الأسقفى فى هيبة ووقار ، فى صالون المطرانية ، يتلقى
تهانى قناصل الدول وحاكم المدينة المقدسة ، صباح عيد القيامة المجيدة ، كما رآه المستيقظون فى
الفجر المبكر لابساً جلايية وعلى رأسه طاقيه يغسل أرض الكنائس مع رهبانه وأتباعه (٢) .

ومن مآثره التى يجب ذكرها بالتقدير عطفه ورعايته المستمرة لجمعية السيدات القبطية
لتربية الطفولة . ولم تقتصر هذه الرعاية على مداها بالمال ، بل كثيراً ما كان يحضر الحفلات
السنوية لمدارسها . ومن أشيق ما حدث أن أطفال مدرسة السيدة العذراء بالمهمشة أقاموا حفلة
بمناسبة انتهاء السنة الدراسية مثلوا فيها بعض أمثال السيد المسيح ، الى جانب بعض من سير
الشهداء . وكانت الحفلة تحت رعاية الأنبا ثيوفيلس الذى بلغ به الفرح بالأطفال ما جعله يوزع
عليهم الهدايا من عنده ، كما قدم خمسمائة جنيه للسيدة رئيسة الجمعية تشجيعاً للعمل الذى
تؤديه (٣) . وكانت السيدات قد أعددن وجبة كاملة للأطفال تقديراً لجهودهم . وجبة من اللحم
والخضار والأرز والحلوى والفاكهة . وكم كان شعورهن بالخيبة بالغاً إذ قد رفض الأطفال أن
يأكلوا لأن « صوم الرسل ابتدا امبارح واحنا صايمين ! » وبأزاء هذا الإصرار على الرفض
استنجدت إحداهن بالأنبا ثيوفيلس . فجمعهم جميعاً فى قاعة الطعام (التابعة للاكليريكية) ،
وصلى معهم ثم قال لهم : « يا أولادى عليكم حل وبركة أن تأكلوا ما أحضرته لكم السيدات ،
وغداً تصومون من جديد . ووقف فى وسطهم ريثما أجلستهم السيدات ووزعت عليهم الطعام ، ثم
رسمهم بعلامة الصليب وانصرف .

ومن المحزن أن فلاحاً بعزبة الدير بيوش أطلق عليه الرصاص وهو يتفقد الزراعة ونموها
فأرداه قتيلاً .

حبيب حنين المصرى باشا يتحدث عن الانبا ثاوفيلس

نشرت جريدة الإنذار الغراء فى عددها الصادر يوم الاحد ٧ أكتوبر تحت هذا العنوان
مايأتى :

« قال لنا صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصرى باشا عضو المجلس الملى العام إن
الكنيسة القبطية فى مصر وفلسطين قد خسرت خير أخبارها العاملين بوفاة مثلث الرحمات الأنبا

(١) ومعناها أن تعرف مع من تتكبر ومع من تتواضع .

(٢) وأشكر الله أن أبى وأمى وأخوتى وأنا- كلنا قد سعدنا برؤيته فى الموقفين كما سعدنا باستضافته إيانا فى مدينة ملك
السلام وبحضوره حفلات جمعية تربية الطفولة .

(٣) ومرة اخرى نذكر القراء أن هذا البالغ يساوى عشرة أضعافه- إن لم يكن أزيد .

ثاوفيلس . فان آثاره فى نهضة الكنيسة وأفكاره الشديدة فى الإصلاح . وأعماله الباهرة فى القدس . وفى أبروشيات الشرقية والمحافظات ، أثبتت بحق أنه كان من نوابغ المفكرين . ولا يمكن أن ينسى ممن زاروا القدس . أو تتبعوا ما بذله من الجهود فى كل دائرة هناك . كيف كان نيافته رحمه الله وطيب ثراه يحتل فى نفوس الناس من جميع الأديان أرفع مكانة بمبادئه السامية وأخلاقه العالية : وفضائله وطهارته . وإذا كانت الكارثة فادحة الى هذا الحد بفقده على غير انتظار . فإننا نرجو الله ان يعوض الكنيسة بمن يسرون على نهجه إلى الغايات الرفيعة ويحذون حذوه فى الإصلاح والتعمير والتشييد والتدبير فقد عاش حياته وهو يخدمها . ومات وهو يجاهد فى سبيلها . « أه »

و « الوطنية » تقول إن سعادة الباشا برهن بشهادته هذه على نبهه اذ قرر الحقيقة التى لمسها بيده فى زيارته المتكررة لفلسطين . وفى هذه الأعمال التى رآها رأى العين فى القاهرة وبوش والشرقية والمحافظات مدة وكالته للمجلس الملى . وطالما كنت أسمع من سعادته هذه الإشادة والترحم بمناقب المتنيح الأنبا ثاوفيلس ولا سيما الإدارية والإصلاحية منها . وقد نشرت ما سمعته من سعادته فى حينه عن هذا الخبر العظيم . وفى اعتقادى ان خليفة الباشا على كرسى وكالة المجلس رغم الخصومة القاسية التى بينه وبين فقيدنا جميعاً سينشر تقديره لفضائله عند عودته من لبنان باذن الله . فالشكر لسعادة النابغة الكرم الاستاذ حبيب المصرى باشا . لانه أحسن غيبة الراحل العظيم

(الأنبا ثاوفيلس – الجرىء المقدام شهيد الواجب)

إن جمعية الشبان الأقباط الأرثوذكس لتعترف بالجميل لنيافة الراحل الكرم لتفضله بشمولها برعايته الروحية وتقديره لمجهودها وتشجيعها على تأدية رسالتها فى جميع مرافق الشعب القبطى الارثوذكسى الحيوية . وفى إن بكته انما تبكى فيه الجرأة الحقة والإقدام والمثابرة على رفع شأن الكنيسة والمحافظه على قوانينها وطقوسها . فقد كان رحمه الله حركة مستمرة يواصل ليله بنهاره لتنفيذ برنامجه الإصلاحى الذى قطف الشعب ثماره اليانعة حيث رفع شأنه وأعلى كلمته فى وادى النيل وفى الأقطار الشقيقة لأنه كان من خيرة ممثلى الكنيسة المقدسة .

ففى القدس وفى المحافظات والمديريات التابعة لابروشيته أصلحت الكنائس القديمة وتجددت وكثرت بجوارها الكنائس الجديدة ونشطت الجمعيات الدينية والخيرية حيث كان يشجعها ويمدها أديباً ومادياً بما يلزمها للقيام برسالتها

أما عن دير الأنبا انطونيوس المشمول برئاسته فبفضله وإقدامه أصبح مفخرة للأقباط عموماً و ينبوع صلاح وثقافة حيث جمعت مكتبته المنظمة الكثير من المخطوطات والمؤلفات القديمة والحديثة . الدينية والاجتماعية مما رفع مستوى الدير وقاطنيه من الآباء الرهبان المحترمين . هذا

فضلاً عن إثناء ثروة الدير ومتانة نظامه وتجديده من جميع الوجوه . أما عن مواقفه المشرفة الجريئة في الدفاع عن حقوق الكنيسة وكرامة المجمع المقدس فحدث ولا حرج لأن الجميع يعلمون علم اليقين وقعائمه المشهورة ودفاعه المجيد لإرجاع الحق دائماً إلى نصابه وإلزام الجميع باحترام المجمع المقدس وتنفيذ قراراته . وكم كان يتحمل في صبر جميل من الافتراءات والادعاءات الباطلة الموجهة إليه . وكان رده الوحيد عليها الاحسانات مقابل الاساءات لا عن ضعف أو خوف إنما عن محبة مسيحية وسعى متواصل لايجاد الوحدة القومية بين جميع أفراد الشعب وبين الكليروس

وإنا لعلى يقين من ان الجميع في حسرة ولوعة على جهاده وخدماته وإصلاحاته وقلما يسد الفراغ الذي تركه شهيدنا في هذا الوقت العصيب . اللهم الا إذا عمل المجمع المقدس على تنفيذ رسالته باتحاد أعضائه اتحاداً قوياً يشمل الكنيسة وأبنائها جميعاً

جورج منصور جرجس — رئيس جمعية الشبان الاقباط الارثوذكس (١)

٣٨ أ — صحيح أن الأب السماوى قد منح الإيغومانس ميخائيل مينا أن يعاصر ثلاثة من الباباوات المرقسيين هم : الانبا يونس الـ ١٩ ، الأنبا مكار يوس الثالث ، الأنبا يوساب الثانى . ولكن بما أن عمله الراعى الكبير قد ارتبط بالأنبا يونس الذى عرفنا أنه عينه ناظراً للمدرسة الرهبانية اللاهوتية بجلوان ، كما منحه الكرامة الكهنوتية بعد ذلك ، رأينا أن نربط بينه وبين هذا البابا الذى أولاه ثقته . ومع عظيم الأثر الذى أحدثه هذا الراعى الأمين إلا أنه معروف بعمله أكثر مما هو معروف بسيرته — فهو أيضاً ضمن الجنود المجهولين الذى يتحدث عنهم جهودهم .

ولعدم إمكانية الوقوف على معلومات عنه نسجل لمحتين عابرتين يدرك القارىء خلالها قيمة الجهد الذى بذله طيلة حياته :

تحريراً فى ٢١ / ٣ / سنة ١٦٥٥ (١١ / ٣٠ سنة ١٩٣٨)

حضرة صاحب السعادة المحترم حبيب بك حنين المستشار الملكى

سلاماً وتحية روحية — وبعد فقد كنت ممن حظوا أمس بسماع خطاب سعادتك الممتع الذى جاء آية ودليلاً على عبقريتكم لما حواه من العبارات البليغة التى سحرت القلوب وملكت الأفتدة وتركت فى النفوس أثراً لايمحى .

(١) جريدة الوطنية - الخميس ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ .

وإني وحقك لمعجب بهذا الخطاب إيما إعجاب ومازلت ولن أزال أشيد بمدحه وأثرتم
بذكره ضارعاً الى التقدير أن يزيدكم من فيض نعمه

هذا وإني أتشرف بأن أقدم لسعادتكم مؤلفي (علم اللاهوت) بمجلداته الثلاثة مصداقاً
لإعجابي ببراعتكم وعظيم إخلاصكم وأكون شاكراً لو تفضلتم وقبلتموه مني هدية إخلاص وتقدير.

وتكرموا بقبول احترامنا - وله الشكر دائماً ،

ناظر المدرسة اللاهوتية
القمص ميخائيل (١)

المتنيح الايغومانس ميخائيل مينا

يرتعد القلم بين أناملتي إذ أنعى لقراء « الإيمان » نجم الكنيسة الذي أفل وكوكبها الذي
هوى بنياحه الأب العلامة واللاهوتي العميق الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة الرهبان
اللاهوتية بجلوان والكاتب الأول لمجلة الإيمان وصاحب الموسوعة اللاهوتية والعظات الذهبية .

لاقى ربه فجأة بعد أن خدم جيله حسب مشورة الله تاركاً وراءه فراغاً لا يسد وأماً لا
يوصف : حياة مليئة بالثمار كلها نشاط وأنتاج لأنها حياة التكريس الكامل وحياة الخدمة
المثالية .

كان نيح الله نفسه إذا ما وعظ بكى وأبكى لأنه يتحدث بالروح الى الأرواح والقلب
الى القلوب . وإذا ما كتب، نقب عن أثمن الجواهر ومحت عن أغلى الكنوز فيقدمها تحفة نادرة
للأجيال وهدية ثمينة للكنيسة .

كان معلماً للأخبار معنياً كل العناية بمن تضمهم مدرسة الآباء الرهبان التي أوكل اليه
أمر تدبيرها ورعايتها . فلا غرابة أن بكتته الكنيسة وحزن على رحيله الأقباط لأن الخطب فيه جليل
والخسارة جسيمة .

غير أن إيماننا ورجاءنا الصالحين في الله براحة الخلود وسكنى النعيم لهما أكبر معز لنا .

(١) يشير حضرة الأب المكرم الى خطاب كان ألقاه حبيب المصري على طلبة المدرسة اللاهوتية التي كان قد أنشأها قداسة
البابا الأنبا يونس . ومما هو جدير بالذكر أن هذا المعلم اللاهوتي الكبير كتب - الى جانب مؤلفه الضخم المشار اليه - عدة كتب
ومقالات عن العقيدة الأرثوذكسية الصميمة . ومن أهم هذه الكتب « تحفة هذا الجيل في شرح التوراة والإنجيل » الذي نشرته مجلة
الإيمان تباعاً ابتداءً من العدد الثاني للسنة السادسة والعشرين الصادر في بابة سنة ١٦٧٣ ش = أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

ففى سبيل الله قضت هذه النفس الكريمة وفى سبيل الخدمة والرسالة جاهدت الى النفس الأخير . ولم تلق العلم من يدها حتى ودعت الجسد على رجاء اللقاء .

فالى موضع النياح الأبدى أيها الواعظ المؤثر والأب الروحى حيث الأربعة وعشرين قسيساً ولا تنسى أن تذكرنا أمام عرش النعمة لننظر الى نهايتك فنتمثل بايمانك ،

غطاس: بشاره (١)

٣٨ ب - العلمانيون .

العلامة غازر ارمانوس

هو الأب غازر الراهب النقى بدير الانبا بولا بالصحراء الشرقية - كان رحمه الله صيدليا كبيراً خدم الجيش المصرى بالسودان برتبة يوز باشى وحضر وقائع فتح السودان وأنعم عليه بمداليتى الحرب السودانية - ثم تعين كبير صيادلة القصر العينى . وقام بتدريس فن الاقربازين بمدرسة الحكيمات بالقصر . ثم ترك خدمة الحكومة وفتح صيدلية السلام التى خدم بها الفن والإنسانية فى شخص الفقراء

ومن مؤلفاته التى خدم بها جيله - مذكرة الأطباء والصيادلة فى الطب والاقربازين - والمذكرة اللغوية لابن ارمانوس - تذكرة ابن ارمانوس أكبر كتاب ظهر بالعربية لشرح المادة الطبية - قاموس النبات الطبى باللغات الأربع اللاتينية والفرنسية والعربية والانجليزية - المجموعة النباتية الصغرى - قاموس الجيب الطبى -

اشتهر رحمه الله بالصبر والتقوى . تزوج وماتت زوجته وتركت له ابنين رباهما أحسن تربية . ولكنها ماتا فى شرح الشباب الواحد بعد الآخر . فقابل جميع هذه الكوارث بالصبر الجميل . وختم حياته بدخول دير الأنبا بولا وانقطع للعبادة والنسك وتنيح فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ .
نيح الله روحه فى فردوس النعيم (٢)

٣٩ - إنه مادام الهدف من دراسة التاريخ هو معرفة أجداد كنيستنا فان هذا الهدف بعينه يحتم علينا الحرص على التراث الأبوى . ومثل هذا الحرص نراه واضحاً فيما يلى :

أطلعنا حضرة الأستاذ الكرم يوسف أفندى جرجس سكرتير القصر البطريركى على وثيقة تاريخية عظيمة القيمة ، وهى عبارة عن درج مخطوط طوله أربعة أمتار وعرضه ١٦ سنتيمتر

(١) مجلة الأيمان عدد السنة السادسة والعشرين : توت سنة ١٦٧٣ ش (سبتمبر سنة ١٩٥٦) ص ٤٣ .

(٢) مجلة نهضة الكنائس - أبريل سنة ١٩٤١ - ص ٦٣

على رأسه جملة « بسم الله الرؤوف الرحيم » وتحتها جملة « يا الله الخلاص » بالخط الديوانى الكبير، « رئيس الكهنة يوانس سنة ١٤٨٤ للشهداء » مكتوبة باللغة القبطية وبالخط الأحمر وصادرة من غبطة البطريرك ومبصومة بخاتمه القبطى على شكل قربانة . الى أبناء الكنيسة اكليروساً وشعباً بمصر والقاهرة وضواحيها ، يذكر فيه أمانة الكنيسة مفصلة منذ خلق آدم ، وعقيدة التثليث والتوحيد ، وسر التجسد الكرم ونبوات الأنبياء عنه الى ان أخذ يوضح عقيدة الكنيسة فى طبيعة المسيح الواحدة قال :

« نعرف بابن الله المولود من الأب خاصياً أزلياً قبل كل الدهور ، وولد من مريم العذراء بالجسد فى آخر الأزمان من أجل خلاصنا ، كما علمنا بولس المغبوط اذ يقول : إنه لما دنا كمال الزمان أرسل الله ابنه ، فكان من امرأة ، وهذا الواحد هو الاله ، وهو ابن الله بالروح ، وهو ابن الانسان بالجسد ، ولسنا نقول عن هذا الابن الواحد إنه طبيعتين ، واحدة نسجد لها وأخرى لا نسجد لها ، بل طبيعة واحدة لله الكلمة ، تجسدت ، نسجد لها مع الجسد ، سجدة واحدة ، ولا نقول باثنين : واحد هو ابن الله بالحقيقة وله نسجد وآخر انسان من مريم لا نسجد له ، وإنه صار ابن الله بالموهبة مثل البشر ، بل الذى هو من الله ، وهو الله كما قلنا سابقاً ، وهو ابن واحد لله ، هو هو المولود أيضاً عن مريم بالجسد فى آخر الأزمان وليس هو آخر كما قال الملاك للعذراء مرتميم

عندما سألته قائلة : كيف يكون لى هذا وأنا لم أعرف رجلاً قط ، فقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك ومن أجل هذا الذى تلديه قدوس وابن الله يدعى .

فالذى ولد من مريم البتول هو ابن الله بالطبيعة ، وهو الاله بالحقيقة وليس بالنعمة ولا بمشاركة اللاهوت ، هو انسان بالجسد وهو ابن الله بالروح وهو الاله الوجدانى ، وتأمم بالآلام التى لنا كما هو مكتوب إن المسيح تألم بالجسد عنا ، وهو غير متألم بالروح ، وقال أيضاً بولس الرسول إن الله لم يوقر ابنه وحيداً بل بذله عنا جميعاً ، وبقي بحاله دائماً بدون تغيير لأنه غير مستحيل باللاهوت كما قال النبى إنى أنا الله ولم أتغير ، ومات بموتنا عن خطايانا لكى يبيد الموت بموته كما قال الرسول : اذ يقول ابتلع الموت بالغلبة ، وأين شوكتك ياموت ، وأين غلبتك يا جحيم ، مات المسيح عن خطايانا كما فى الكتب ، وبقي بحاله دائماً غير ماثت باللاهوت ، وغير مضبوط بالموت ، كقوة الله الآب غير المتألمة ، كما قال بطرس الرسول . إن الموت لم يستطع أن يضبطه . وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب أعنى الكلمة بجسده الذى رفعه عن الأرض . كما قال داود النبى : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت موطىء قدميك ، فهو غير محوى باللاهوت ، وهو يحوى مع الآب كل الأماكن ، هو أبدي من ابدى وهو مع أبيه أزلى كقوة الله الآب غير المدركة كقول بولس الرسول : « إنه قوة الله ، وحكمة الله ، وياتى هذا الاله الواحد الوحيد ابن الله . لبيدين الأحياء والأموات كما وعد » وكما قال أيضاً : « إن الذى يدين المخفى من الظلمة ويبين أفكار القلوب . وياتى بكرامة . ويلوم كل واحد كاستحقاقه » .

فالذى يعلم غير هذا التعليم ، الذى هو من كتب الله المقدسة و يقول إن ابن الله هو غير الانسان المولود من مريم ويجعلوه ابناً بالنعمة مثلنا حتى أنهم جعلوه اثنين ، واحد طبيعى هو ابن الله ، وآخر بالنعمة هو الانسان الذى من مريم العذراء . والذى يقول إن جسد الرب من السماء وليس هو من مريم العذراء أو إنه استحال باللاهوت إلى الناسوت أو اختلط معه أو تغير أو إن لاهوت الابن تألم أو إن الجسد الذى للرب غير مسجود له كأنه جسد انسان فقط . ولا يقول إنه مسجود له ، لأنه جسد الرب الاله فهذه الكنيسة المقدسة تحرمه اذ سمعت العجيب بولس وهو يقول : « إن بشركم أحد بغير ما سمعتموه منا فليكن محروماً » .

وهنا استشهد بأقوال ساويرس بطريرك انطاكيا ، وإغناطيوس ، وغريغور يوس الثاولوغس وباسيليوس وبوليدس ، وپرلوكس ، وأثناسيوس ، وكيرلس عمود الدين ، وديسقوروس ، التى تدعم ما سبق قال :

فنحن نحرم نسطور الكافر القائل بطبيعتين وأقنومين ومشيتين وفعالين وإرادتين ، ونحرم أوطاخى القائل إن الكلمة استحال وصار جسداً لطيفاً ، لأنه قال بطبيعة واحدة ولم يعترف ويقول بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . ونحرم المجمع الخلقيدونى القائل بطبيعتين ومشيتين وفعالين وإرادتين تابعتين كقول لاون بطركهم القائل عن الاله الكلمة إنه صورتان كل واحدة تفعل ما يخصها واحدة تفعل العجائب وأخرى ملقية للشتائم

وأما نحن فنعترف بأن ربنا يسوع المسيح أخذ جسداً كاملاً من سيدتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ولا تغيير . وأعترف الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى . وأسلم ذاته عنا على خشبة الصليب المقدس بإرادته وحده ، ونعترف ونؤمن بأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا غمضة عين .

ثم ختم هذا الطرس البطريركى بحض شعبه على التمسك بعقيدة الرسل والآباء ، ولا يميل الى التعاليم الأجنبية والذئاب الخاطفة ، ثم منحهم البركة الرسولية ، وأرخه هكذا : وكانت كتابة هذا الدرَج الشريف يوم الاثنين المبارك خامس عشر ابيب سنة ١٤٨٨ ش — الموافق ١٤ ربيع الثانى سنة ١١٨٦ هـ ليلية هجرية

وقد كتب فى نهاية هذا الدرَج الأسقف أنطونيوس ما يأتى : —

« أنا الحقير أنطونيوس أسقف الأقباط اعترف بهذه الأمانة التى لآبائنا القديسين الأب المعظم أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية . والقديس أثناسيوس وأبينا القديس ديسقورس ، والأب الفاضل ساويرس بطريرك انطاكية . وأحرم لاون القائل : إن فى ابن الله فعالين وطبيعتين . وأحرم المجمع الخلقيدونى وكل من يقول بقوله أو يعتقد بأمانته وأحرم مرقيان و يلثرية

زوجته ، وأنا الحقير أنطونيوس أكون محروماً إن كنت أرجع الى دين الافرنج مثل ما كنت القائلين بالطبيعتين والمشيئتين بل أعترف بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة (١)

والأنبا يونس الثامن عشر هو البابا السابع بعد المئة ، وقد وردت سيرته فى ح ٤ من هذا الكتاب ص ١٤٨ - ١٨٤ . أما الأنبا أنطونيوس الذى جاءت كلماته تحت ما كتبه البابا المكرم ، فقد حدث له أن وقع تحت تأثير الكاثوليك وترك كنيسته كما ورد على ص ١٦٢ . ولقد فرحت فرحاً عظيماً لعثورى على هذه الوثيقة لسببين :

أولاً- التواضع العجيب الذى اتصف به الأنبا يونس الثامن عشر ، إذ نرى من رسالته كيف أنه أوضح العقيدة الأرثوذكسية بجلاء ، ثم استحث شعبه على التمسك بها . ومع ذلك فحينما أراد أن يجيب على المناورة الرومانية بعث الى الأنبا يوساب بن الأبح طالباً إليه أن يكتب الرد (ص ١٦٣ و ١٦٨ - ١٨٣) .

ثانياً- إن المعلومات التى كانت فى متناولى يوم الكتابة عن الأنبا يونس الثامن عشر وعن عصره لم ترد فيها توبة الأسقف الذى كان قد استماله إغراء الكاثوليك . ولكننا نرى من الوثيقة المنشورة هنا أنه كتب بخط يده معلناً توبته . إذن فكلما فتشنا فى الكتب ازدادت معرفتنا وازداد إدراكنا بقيمة تراثنا الكنسى .

٣٩ ب- ولئن كان الحرص على تراث الماضى ذا قيمة عظمى ، فإنه يستلزم بالضرورة الحرص على القيم الأدبية الروحية حالياً . لهذا نجد أنه حتى ساعة خلو الكرسي المرقسى يودى القائمقام البطريركى الأمانة التى وضعت على عاتقه رغم كونها مؤقتة ، لكى يسلم الوديعه المؤتمن عليها الى البابا- ساعة أن يجيء- كاملة قدر استطاعته . وهذا ما حدث بعد انتقال الأنبا يونس ال- ١٩ الى الفردوس ، إذ قد تعاون القائمقام الباباوى مع المجلس الملى ووكيله للدفاع عن حق الاحتفاظ بكيان العائلة المسيحية وفقاً لتعاليم سيدها . وإليكم نص المذكرة التى رفعوها الى المسؤولين فى الحكومة عن هذا المبدأ الحيوى :

وننشر فيما يلى نص المذكرة التى أقرتها الجمعية العمومية للمجلس الملى العام فى جلسة يوم ٢٥ يناير الماضى وقدمها نيافة قائمقام البطريرك الى رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ومعالى محمد صبرى أبو علم باشا وزير العدل وسعادة على زكى العرابى باشا رئيس مجلس الشيوخ وسعادة عبد السلام فهمى محمد جمعه باشا رئيس مجلس النواب بشأن مشروع قانون الموارد والوصايا قبل عرضه على مجلس الشيوخ

(١) عن مجلة جمعية نهضة الكنائس بعددها الصادر فى يونيو سنة ١٩٤٩ ص ١٤٥-١٤٨ .

وقد أعد هذه المذكرة حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصرى باشا وكيل المجلس
الملئ العام فى ذلك الوقت

١ - اتصل بالمجلس الملئ العام للأقباط الأرثوذكس أن مجلس الشيوخ سينظر بجلسة اليوم
فى مشروع قانون يقضى بأن تكون أحكام الشريعة الإسلامية هى قانون البلد فىما يتعلق بالمواريث
والوصايا .

٢ - أما فىما يتعلق بالمواريث فإن الذى جرى عليه العمل إلى الآن إنه فىما عدا حالة
اتفاق ذوى الشأن على تطبيق أحكام دينهم فىما يجرى توزيع التركة على مقتضى أحكام الشريعة
الإسلامية .

ولكن المشروع المعروف الآن يتجاوز مسألة التوزيع ذاتها إلى مسائل أخرى هى من
صميم الأحوال الشخصية ومن صميم النظام العائلى . مما لا يجوز إطلاقاً أن تطبق فيه غير أحكام
القانون الدينئ لذوى الشأن وأخص تلك المسائل ما يتعلق بصحة الزوجية وبصحة النسل فإن
الزوجية قائمة فى كلا الشريعتين الإسلامية والمسيحية على قواعد مختلفة

فالإسلام يبيح تعدد الزوجات . والنصرانية تحرمه . والإسلام يبيح الطلاق والمذاهب
النصرانية التى تسمح به استثناءً ولضرورة قصوى لا تجيزه إلا بشروط وقيود شديدة وعلى أن يصدر
به حكم قضائئ نهائئ من المحكمة الملئة المختصة . فضلاً عن أن الزوجية المسيحية عقد دينئ لا يتم
بالا اتفاق بين الزوجين فحسب . بل هو لا ينعقد إلا بإتمام الطقوس والمراسم الدينئية على يد
الكاهن بحيث إنه عند عدم إتمامها لا يكون لهذا الزواج وجود قانونئ

كذلك الحال بالنسبة لثبوت البنوة . فإن الولد لا يعد فى الشرائع المسيحية ولداً شرعياً إلا
إذا ثبت أنه مولود من زواج تم على الوجه الدينئ الصحيح . وكل إقرار بالبنوة يصدر من الأب فى
ورقة رسمية أو غير رسمية لا قيمة له ما لم يثبت أولاً أن الأم زوجة شرعية للأب فى حين أن
الإقرار بالبنوة يعد صحيحاً فى الشريعة الإسلامية متى تم طبقاً للشروط والأوضاع الشرعية من غير
بحث فى أمر الرابطة الزوجية بين الأبوين .

فاذا اعتبر القانون أن الشريعة الإسلامية هى الشريعة الواجبة التطبيق فى كل ما يتعلق
بالميراث لا من حيث التوزيع وحده ولكن من حيث أسباب الميراث كذلك ومن حيث كل ما
يتصل بالميراث من دعاوى فرعية فسيكون الاثر المترتب على ذلك أن الشؤون العائلية للمسيحيين
من زواج ونسب تخضع لقواعد وأحكام مخالفة لأحكام دينهم لاسيما وهذه الشؤون لا تثار على
الغالب إلا بمناسبة دعاوى الميراث . وقد يلحق بنسب رجل شخص لا تربطه به رابطة طبقاً
لأحكام دينه وبذلك تتزعزع دعائم نظام الأسرة لدى المسيحيين . وهو ما تأباه عدالة المشرع

المصرى الذى يكفل لجميع الناس على اختلاف العقائد المساواة التامة أمام القانون . و يكفل لهم حرية العقيدة و يكفل لهم على الأخص إحاطة نظام الأسرة لديهم بسياج من أحكام دينهم

ولهذا فان المجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس يتقدم للحكومة المصرية : وللبرلمان المصرى . باسم الأقباط عموماً طالباً لما لهم على حكومتهم وأمتهم من حق الإنصاف وحق المطالبة بتدعيم نظام الأسرة لا بإضعافها أن يقف المشروع عند حد توزيع التركة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . فإذا ثار أى خلاف على مسألة الزوجية . أو مسائل النسب أحيل الفصل فى هذا الخلاف أولاً إلى الجهة الملية المختصة

٣- أما فيما يتعلق بالوصايا . فإن الحكومة تعلم أن وصايا غير المسلمين عامة كان يطبق فيها لغاية سنة ١٩٣٤ أحكام دين الموصى . وقد جرى التشريع وجرى القضاء على ذلك دواماً . ولم يتغير الأمر إلا من عهد صدور حكم من محكمة النقض فى سنة ١٩٣٤ يخالف تلك القواعد . ويقضى بتطبيق الشريعة الإسلامية فى أمر الوصايا . ثم صدر حكم آخر من محكمة النقض بهذا المعنى فى سنة ١٩٤٣ ولكن معظم الأحكام السابقة ومنها أحكام محكمة النقض والمحاكم المختلطة بل والمحاكم الشرعية كانت مجمعة على وجوب تطبيق القانون الدينى للموصى .

وتعلم الحكومة أن غير المسلمين عموماً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم جهرت بالشكوى من تطبيق أحكام دين غير دينهم فى أمر الوصايا . وطالبوا بأنه مادام التشريع المصرى لا يضع للوصايا قانوناً مدنياً محضاً ومادام يجرى على اعتبار الوصية من المسائل الشخصية التى يطبق فيها حكم الدين فيما يتعلق بالمسلمين فمن العدل أن يطبق على غير المسلمين أحكام دينهم كذلك وإلا كان فى هذا تفرقة فى المعاملة لا توحيداً

٤- وكان المجلس الملى العام للأقباط بل كان غير المسلمين كافة يتمنون لو أن الحكومة عاجلت مسائل الأحوال الشخصية كلها علاجاً عاماً كما وعدت فى خطاب العرش السابق بتشريع شامل يقطع كل أسباب الشكوى . فان لغير المسلمين شكاوى عديدة فى الوقت الحاضر . فنظام الأسرة مهدد . وهو عرضة لعدم الاستقرار وللكتير من المتاعب بسبب اشتراك المحكمة الشرعية والمحكمة الملية بالاختصاص وادعاء كل منها أنها صاحبة ولاية القضاء فى الدعوى المرفوعة إليها وبسبب عدم تحديد القانون الواجب التطبيق فى كل حالة تحديداً دقيقاً عادلاً

والمجلس الملى العام والأقباط جميعاً بل وغير المسلمين عموماً . واثقون كل الثقة أن الحكومة العادلة معنية بهذا الأمر أشد عناية . وأنها لن تنسى وعدها لهم

فن المصلحة إذن عدم تجزئة هذه المسائل ومعالجتها كلها معاً . لأنها متصلة فيما بينها اتصالاً

وثيقاً

وإذا كان لابد من تمرير مشروع القانون الخاص بالميراث في الوقت الحاضر فليقتصر أمره على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بتوزيع الأنصبة بين الورثة مع الاحتفاظ للقانون الملى . وللقضاء الملى . بمسائل الزوجية والنسب المتفرعة عنه وتأجيل ما يتعلق بالوصايا الى التشريع العام الذى تعتمده الحكومة التقدم به للبرلمان طبقاً لوعدها .

وفى يلى نص الكتاب المرفق بهذا القرار، والموجه الى حضرات من ذكرنا اسماءهم فى صدر هذا القرار، وهو بعد الديباجة :

« أتشرف بأن أرسل لحضرتكم مع هذا صورة القرار الذى أصدرته الجمعية العمومية للمجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس فى شأن المشروع المعروض على البرلمان باعتبار الشريعة الإسلامية هى قانون البلد فيما يتعلق بالميراث والوصايا وإنما لشديد الرجاء فى أنكم ستعيرون هذا الموضوع الخطير ما هو جدير به من عناية ، وبما يتفق مع ما عرف عن المشرع المصرى ، والسلطات المصرية عامة من رحابة الصدر والاستمساك بروح العدالة ، ومن رعاية كل ما يتعلق بنظام الأسرة المصرية ... »

قائمقام البطريرك
الأنبا يوساب

٤٠ - « ستى من التاريخ » : قد يستغرب القارىء من هذه التسمية والكتاب الذى بيده خاص بالتاريخ من بدايته الى نهايته . ولكن الأنبا ساو يرس أسقف الأشمونين الذى ترك لنا ستاً وعشرين كتاباً غير موسوعته الضخمة عن بطاركة الاسكندرية ، معروف لنا بكتابه ومع ذلك فهو جندى مجهول ! ولما كانت شهادة الذين هم من خارج لها أثر قوى رأينا تكريم الأسقف البجائه باحدى هذه الشهادات :

بطاركة الكنيسة المصرية للمؤرخ ساو يرس بن المقفع

أقلت الدكتور سيدة اسماعيل كاشف أستاذة التاريخ المساعدة بجامعة عين شمس . محاضرة قيمة عن تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . وكان ساو يرس بن المقفع أسقف الأشمونيين أهم مرجع اعتمدت الدكتور عليه

وقد ذكرت أن العلماء والباحثين فى تاريخ مصر الإسلامية اعتمدوا فى دراساتهم وأبحاثهم على مؤرخين مسيحيين ، ولكنهم اهلوا ساو يرس بن المقفع وذلك لأنه أرخ للكنيسة والبطاركة فظنوا خطأ أنه أهمل التاريخ الاسلامى وقالت إن ساو يرس مزج بين التاريخ والدين

فيما كتب . وقد استمد دراساته من الوثائق القبطية واليونانية التي كانت محفوظة في الأديرة والتي كتبها شهود عيان ، فضلاً عن الأحداث التي وقعت أثناء حياته

واهتم بمدينة الاسكندرية وبين أهميتها التاريخية والتجارية . وسماها المدينة العظمى لأنها كانت مقراً لبطركية الأقباط

وأوردت الدكتور في محاضراتها ألفاظاً كثيرة قبطية و يونانية منها أسماء مدن وقرى مصرية لم يرد ذكرها في المؤلفات والمعاجم وإنما ذكرها ساويرس في مؤلفاته

٤٠ ب — واستكمالاً للخطبة التي ألقاها فضيلة الشيخ الشرعي في الاحتفاء بعودة قداسة البابا يونس من اثيوبيا ، نسجل ما كتبه مواطن كريم في مقاله الذي له قيمة خاصة هذه الأيام :

الدين لله والوطن للجميع

بقلم الأستاذ إبراهيم محمود الورداني

إذا كنت تلبية لداعى الضمير والحق قد أتيت على بعض الحوادث الدالة على وفاء القبط لمصر ولأسرة محمد على فإنصافاً لهم أمام الناس والتاريخ أذكر تلك الحوادث التي تبرز دالة على وطنية كالشمس لا ينكرها سوى الأعمى .. بل وسيقتنع بهذه الحقائق من لازم القبطى في عبادته العامة والخاصة وسمعه في خلوته يدعولولى الأمر بل يراها من يزامله فى عمله و يراه مثل الأمانة والجد والنزاهة فى تجارته وصناعته وزراعته ووظيفته تحقق أن من كان وفيا لعمله كان وفيا لأسرته ووطنه وحاكمه

وأذكر على سبيل التذليل ما أطلعت عليه من هذه الحوادث التي ربما لولا حدوثها لتغير مجرى التاريخ فى مصر

إحداها — وهى لأحد بطاركتهم المعاصرين لمحمد على الكبير (وقد غاب على أسمه) (١) أتاه سفير قيصر الروس موفداً من قبل سيده ومتلطفاً قائلاً إنه مستعد لتقديم الحماية للقبط . وكان أن أجابه غبطته برزانه . « أهل سيموت قيصر كم أو من الخالدين ؟ » أجابه « سيموت » فقال البطريرك على الفور « قل للقيصر إننا تحت حماية القيصر الذى لن يموت » . وبذا رجع السفير فارغاً

(١) هو الأنبا بطرس الجاولى البابا المائة والتاسع سنة ١٨١٠ - سنة ١٨٥٤ .

وفعلا من قرأ تاريخ القبط وجد أن بقاءهم لليوم هو إحدى معجزات الاتكال على الله

فقط

ثانيها - كان الجالس على عرش مار مرقس هو البطريرك كيرلس الرابع المسمى بأبي الإصلاح لكثرة ما أنشأه من مدارس ومعاهد منها المدرسة الكبرى الباقية لليوم والتي تخرج منها الكثير من رجالات مصر مسلمين وأقباط استدعاه والى مصر وقتها وأظنه عباس الأول وقال له « هل لا يريد القبط إعفاءهم من الجهادية أسوة بالأعراب ؟ » فأجابه « القبط هم أبناء مصر وهم أولى من غيرهم بالدفاع عنها فكيف يطالبون باعفائهم ؟ » فأجابه الوالى اذاً هل تنشئ لهم وحدات خاصة ؟ - أجابه « كلا بل يعاملون كغيرهم من أبناء الوطن و يكونون معهم فى الوحدات العامة كأبناء عائلة واحدة » .

ثالثا - حادثة البطريرك الراحل مع السفير البريطانى يوم رجاه أن يأمن القبط بالوقوف على الحياد إبان الثورة الكبرى وكانت النتيجة أن تعانق الصليب مع الهلال .

قل لى بربك وحالة مصر على ما وصفتها نقلا عن كل تواريخ البلد ومن رآها من الأحياء . أهل كان يابى الانكليز أن يخلقوا جيشاً من القبط الذين شهد لجنودهم أكبر قواد العالمين نابليون بونابرت بعد تسريحهم للعرايين

كلنا يعلم أن الانكليز من ذلك الحين كثرت مساومتهم للقبط على مصر فهل كانوا يرفضون السيادة على الكنيستين القبطية والحبشية والرقابة على طريق الهند وقناة السويس لقاء تسليم السيطرة بالإدارة والجيش لبنى القبط أو هل كان من المتعذر على نصف مليون قبطى تجنيد ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٠ ، ٥٠ من الفراعنة الأشداء واستلام مقاليد مصرهم الخالدة وتمكين الأواصر بمعاهدة العائلات البريطانية والاستعانة بمشورة البريطانيين لو أرادوا ؟!

أظن أن أكبر المتبجحين لا يستطيع إنكار ذلك وإلا قلت له ما ورد من أجل الشعر العربى بالبردة

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وتنكر النفس طعم الماء من سقم

ظننا كلنا لا نستطيع إنكار ذلك ونحن بالأمس القريب لم تكن رقابنا فى يد أكثر من عشرة آلاف جندى انجليزى ولم ترحزهم أشباراً بعد أكثر من نصف قرن الا بالجهود الجبارة بعد مناضلات وثورات وتضحيات ومعاهدات . بل ها هم لا يزالون على الأبواب والله أعلم بما فى الغيب ، إن كنا سنستقر فى زحزحتهم الى الأبد بصفوفنا الموحدة أو تتفكك هذه الرابطة .

رابعاً - آتيك بالحادثة الرابعة و بطلها ماهر باشا والدكتور احمد ماهر وهى أن سمو الخديوى السابق رافق ماهر باشا لحفلا . وهناك استعرض الجيش و بعدها بناءً على مشورة الباشا انتقد الخديوى الجيش وعلى رأسه لورد كتشنر والضباط الانكليز - وحقن كتشنر وأبلغ الأمر تلغرافياً لكرومر ولخارجية بر يطانيا طالباً الترضية أزاء هذه الإهانة - فطلب من سمو الخديوى أن لا يدخل العاصمة قبل الاعتذار .

فأسرع رئيس الحكومة رياض باشا لابلاغ الخديوى الأمر وهو بالطريق - جد الجد وتخرج الموقف وصعب الأمر على ولى الأمر وسيد البلاد الشرعى وكيف يقوم بالاعتذار العلنى لضباط من خدامه عن حق من حقوقه .

أتعرف كيف حل الإشكال وهدأت العاصفة التى شاهدها كثيرون من الأحياء وأظن الحاج أحمد شفيق باشا رواها فى مذكراته - حلها بطرس غالى بثاقب رأيه .

وبعد المفاوضة مع اللورد كرومر أقنعه أن يكون الاعتذار بالتركية و يتلى أمام الجنود لأنها لغة الباب العالى صاحب السيادة . وبعد لآى أذعن كرومر ونشر الأمر العسكرى بالإعتذار بالتركية وتلى أمام الجنود وهم لا يفقهون منها أكثر مما أفهم فى السنسكرىتى وهدأت العاصفة .

ويروى الحاج أحمد شفيق عن صديقه بطرس غالى مايلى : كانت الحرب بين كرومر وسمو الخديوى سجالات . وكان الأول لا يعبأ بالأتىكىت أو أصول البروتوكول إذا أراد مقابلة الثانى فإذا قابله اختار أرداداً الأوقات مناسبة كوقت القىظ وشدته ، استاء صاحب السمو وطلب من رئيس الوزراء مصطفى فهمى باشا والد أم المصرين أن يتوسط فى الأمر . ولما كانت هناك صداقة بين اللورد والرئيس ولازم الاتىكىت شهراً من الزمن وبعده عادت (ربه لعادتها القديمة) فاضطر صاحب السمو أن يستفتى حلال المشكلات فى الأمر فحله بكيفية لا يدركها إلا دهاقين السياسة بأن اتصل بسفراء الدول العظمى فى مصر وسألهم هل ترى دون المساواة بسفير بر يطانيا فى مقابلة الخديوى بلا أستئذان وإذ أجابوه بنعم طلب منهم أن اكتبوا هذا رسمياً وقدم بطرس الطلبات لكرومر مشفوعة بجواب منه طالباً استفتاء وزير خارجية بر يطانيا .

هال اللورد الأمر وخشى اطلاع الخارجية عليه فقال لبطرس ليس لى هذا الامتياز . وعندها طلب منه بطرس أن يجيبه كتابة بالأمر لإخبار السفراء بأن هذا ليس صحيحاً . ففعل كرومر وأصبح صكاً عليه يراعى بموجبه الاتىكىت الى أن رحل بمحمد الله جل جلاله .

الحادثة السادسة معاهدة السودان : كان من الدواعى التى دفعت (تعلق بها) خالى المشؤوم لاغتيال المغفور له بطرس باشا غالى معاهدة السودان فاضطرت الى درسها كغيرها من أعمال بطرس .

سألت صديقاً لى يسمى « ا . ص » وكان يشتغل بالصحافة أبان الحملة على السودان وبعد الاستيلاء عليه فقال (ألخ كرومر على بطرس بصفة أن الأخير وزير خارجية مصر لعقد معاهدة أبعد مدى من الحالية) فاستمهله شهرين من الزمن يستشير فيها الباب العالي صاحب السيادة على مصر وأطلع الخديوى ومجلس النظار على الأمر وعلى رأسهم مصطفى فهمى باشا

مر الشهران وطالب كرومر بالتوقيع على المعاهدة والباب العالي أو عبد الحميد قد أصم أذنيه رغم ما أرسل له من برقيات ليربك الخديوى انتقاماً من أعمال جده البطل إبراهيم باشا— استفتى بطرس الخديوى والمجلس فخولاه التوقيع وبعد أن صحح وحوور وقعها بالحالة التى نراها . ولا يعرف القارىء قيمة محافظتها على حقوق مصر إلا إذا عرف الحادثة الآتية .

سنة ١٩٢٤ بعد مقتل السردار لى ستاك نقل روتر للعالم أجمع أن انجلترا طلبت من عصبة الأمم الحكم لها بالانتداب على السودان وقدمت مستنداتنا ولم يحدث شىء بعد ذلك .

أتعرف ماذا حدث سنة ١٩٣٠ ؟ قال الراوى— جلست مع صديقى (ف . س) بالقهوة المقابلة لتمثال ابراهيم باشا فاخبرنى أنه وهو يودع بالأمس صديقه (ب . ك) البريطانى أسر اليه الأخير بالآتى (لقد أعطانا بطرس خازوقاً فى معاهدة السودان لم ندركه إلا بعد هذه السنين الثلاثة والثلاثين) استدرجه الصديق قائلاً وكيف ذلك ؟ فقال السر (قدمنا مستنداتنا سنة ١٩٢٤ للعصبة فرفضتها بحجة أن الشركة المدونة بالمعاهدة هى شركة بالإدارة لا بالملكية ولأسباب غيرها وجهية رأينا أننا إذا استمررنا فى القضية سيكون حكم العصبة لصالح مصر فى السودان فسحبنا القضية)

أبعد كل هذا يعد القبط غير أوفياء لمصرهم ؟ أولا ينطوون على الولاء للعرش— أستغفر الله من هذا الباطل .

اللهم ألهمنا عقولاً تدرك وعيوناً تبصر لنعرف أن الدين لك وحدك وأن الوطن لنا أجمعين .

ابراهيم محمود الوردانى (١)

بدمهور

(١) عن المجلة الجديدة لصاحبها ومحررها سلامة موسى - العدد ١٩٨ الصادر فى ٣ أبريل سنة ١٩٣٨ - ص ١٠-١١ .

من تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية

انبثاق الروح القدس من الآب

بقلم نيافة الانبا غريغور يوس

يتلخص موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب ، ورفضها لإضافة (والابن) التي أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان ، في النقاط الآتية :

(أولاً) إن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الإنبثاق ، قال صراحة « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فانه سيشهد لى » (يوحنا ١٥ : ٢٦) .

ويلاحظ أن هذا النص هو الوحيد ، الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب .

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية :

١ - (لوقا ٢٤ : ٤٩) :

«وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى ، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلى» .

٢ - (يوحنا ١٥ : ٢٦) :

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب ...» .

٣ - (يوحنا ١٦ : ٧) :

«إن لم أنطلق لن يأتىكم المعزى . ولكننى إن مضيت أرسله إليكم» .

يبقى بعد ذلك أن (الانبثاق) هو غير (الإرسال) . أما الانبثاق فلم ينسب إلا الى الآب . وهو ما نطق به فم المسيح له المجد .

وإذن فتعبير انبثاق الروح القدس من الآب ، هو التعبير الانجيلي السليم ، والمنطوق به على فم المسيح له المجد .

وقد يكون التعبير سليماً لوقلنا « نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن » .

أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الإنبثاق) ، فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس إنه (منبثق) من الآب والإبن .. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الانجيل . هذا من جهة . ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال) ، وجعلنا منها مفهوماً واحداً . وهذا ليس من حقنا ، خصوصاً وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التي تملو عن تصورنا ، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها ، فهي أعلى من منالنا ، ولا بد لنا ولا مفر من أن نلتزم في التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته .

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلي) ، أي أن الروح القدس منبثق من الآب منذ الأزل . أما (إرسال) الروح القدس على التلاميذ ، فهو فعل زمني ، وعد الآب به ، ثم تحقق في يوم الخمسين لقيامته المسيح الرب من بين الأموات .

(ثانياً) إن من الخطورة بمكان عظيم ، أن يكون في تعليمنا المسيحي أن الروح القدس ينبثق من الآب والإبن . إذ ينطوي هذا القول ضمناً على وجود مصدرين في الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس ، الآب والإبن ، وبالتالي يؤدي إلى معنى الاثنيوية في الله الواحد ، وهو أمر مرفوض في المسيحية . ونحن نجاهر بقولنا « بالحقيقة نؤمن باله واحد » كما نقول إن هناك مصدراً واحداً للألوهة في الله ، هو الآب . فالروح القدس ينبثق من الآب .

(ثالثاً) إن قانون الايمان لدى وضعه مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ ، وتبته مجمع القسطنطينية المسكوني سنة ٣٨١ والمجامع التالية ، التزم بنص الانجيل كما علم به المسيح له المجد ، قال « نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب » .

وليس هناك أدنى شك في أن الآباء في تلك العصور القديمة ، الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولي ، لم تغب عن بالهم النصوص الواردة في الانجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والإبن . ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب على حسب ما قال المسيح .

(رابعاً) سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم ، حريصة على الإلتزام بنص الانجيل ، ونص مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين ، قروناً كثيرة .

ومن الثابت تاريخياً ، أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان ، جاء متأخراً ، وكان سبباً رئيسياً في إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية ، والتي تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام ١٠٥٤ ميلاد المسيح .

والمعروف أن البطريرك فوتيوس PHOTIUS بطريرك القسطنطينية المسكوني

(٨١٠-٨٩٥ م) هاجم إضافه (والابن) مهاجمة عنيفة ، وفي منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧ شرح اعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية . وفي هذه السنة عينها عقد مجمعا أصدر فيه قراراً بشجب إضافة (والابن) الى قانون الإيمان ، وحرّم الخبر الرومانى .

والى اليوم تشكل هذه القضية سبباً للانفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب ، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر .

(خامسا) يصرّح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعاً للخلاف ، ولا يليق أن تكون عقبة فى طريق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية ، ويدلون على ذلك بأن هذه الاضافة (والابن) اعترض عليها الخبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥-٨١٦ م) وبالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة ، تثبتت فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان CHARLEMAGNE (٧٤٢-٨١٤ م) ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، يحاولون التخلص من النتائج اللاهوتية المنطقية لهذه الاضافة بقولهم « ان الروح القدس منبثق من الآب عن طريق الابن » .

(سادسا) مع أن هذا التأويل الجديد ، يعد إسهاماً طيباً لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن) ، ويعتبر دليلاً على إدراك اللاهوتيين لنتائج هذه الإضافة ، وما أنطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان ، وإنما أضافت عقبة فى طريق الكنيسة ، وأدت إلى انشقاق محزن ، إلا أن هذا التأويل لا يحل المشكلة لاهوتياً ، ولا لغوياً ...

(أ) أما لاهوتياً - فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طريق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس ، فضلاً عن انه يجر الى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله ، والى التمايز الأوتولوجى بين الأقانيم الإلهية ، والى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيه بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية ، وترفضه المسيحية .

(ب) هذا إلى أنه من الوجهة اللغوية لا يستطيع أحد أن يوافق على إن الإضافة FILIOQUE باللاتينية تعنى (عن طريق الابن) . فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حرف واو - للإضافة والجمع) . وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى تترجم اليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

(سابعاً) ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية ، إلا أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طريق الوحدة الإيمانية ، بين كنيستنا الأرثوذكسية

والكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، يجب أن تلتزم بنص الإنجيل وبنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى ، وحمله الينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية .

إن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد ، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية ، هى الصيغة التى تستخدمها فى سر العماد ، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد ، باعترافهم بالإيمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى .

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الاعتراف ، وأرثوذكسية الإيمان — وتعوق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى باضافتها (والابن) ، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد .

ب — لماذا تعلمنا كنيستنا الصلاة من أجل المنتقلين ؟

هناك موضوع حيوى ذو أهمية كبرى لم تعطينا الأسفار الإلهية عنه آية — ولو واحدة — صريحة بخصوصه ، ولكنها أشارت إليه فى مواضع كثيرة . وهذا الموضوع الخطير هو أبدية النفس الإنسانية . وفى هذه الإشارات الوفيرة إليه برهان قاطع على واقعيته . فمن سفر التكوين الى سفر الرؤيا لا نجد آية تعلنه صراحة . ولكن كل من يطالع هذه الأسفار يتيقن من خلود النفس استناداً الى الإشارات العديدة إليه . واليكم بعض الأمثلة منها : « ... قال له سيده نعماً أيها العبد الصالح والأمين ... ادخل الى فرح سيدك » . (متى ٢٥ : ٢٣) ، وكل من يتبع الرب يسوع المسيح « ... يأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان ... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مرقس ١٠ : ٣٠) ، « لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » و « من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية » (يوحنا ٣ : ١٥ و ٦ : ٥٤) راجع أيضاً رومية ٦ : ٢٠ ، ١ كورنثوس ١٥ ، ٢ تيموثيوس ١ : ١٠ ، عبرانيين ٩ : ٥ و ٩ : ١٢ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٥ و ٥ : ١١) .

وهذه الأمثلة المختارة تبين بياناً قاطعاً خلود النفس .

إذن وجب علينا أن نقدم الآيات التى تشير الى وجوب الصلاة من أجل المنتقلين . وهنا أيضاً نكتفى بتقديم أمثلة معدودة :

١ — حينما هرب ايليا النبى من غضب الملك آخاب ومن الجوع أيضاً لجأ الى بيت أرملة

من صرفة صيداء (١) . ففرحت به جداً لحصولها على بركة إقامته عندها وخدمته بكل أمانة . وفى وسط خدمتها البهيجة مات وحيدها . فعاتبته رجل الله . ولم يوبخها لإدراكه ثقل المصاب الذى أصابها . وأخذ ولدها الى العلية التى كانت قد أفردتها له ، وصرخ الى الله ضارعاً إليه أن يعيد الحياة للصبى . واستمع الله لضراعه وعادت نفس الولد إليه . فشكرته بكل اتضاع وأقرت بمكانته عند الله . (١ ملوك ١٧) . فنرى هنا أن قيامة الولد الميت لم تكن بناءً على طلبه ولا حتى بناءً على طلب أمه ، وإنما كانت استجابة الله لشفاعة ايليا . إذن فحينما نصلى من أجل المنتقلين من غير أن يسألونا مسبقاً ، ومن غير أن يسألنا ذووهم متأخراً ، بل بمحض إرادتنا ، يصغى الله الى صلاتنا قطعاً طالما هى تماشى إرادته تعالى . ألا يوجب علينا هذا المثل أن نصلى من أجل المنتقلين بلا انقطاع ؟

٢- كذلك نجد المرأة الشونمية قامت وذهبت بسرعة الى اليسع النبى - حالما مات ابنها - وقالت له : « حى هو الرب . وحية هى نفسك . إننى لا أتركك . فقام وتبعها » . وحالما وصل الى بيتها ذهب الى الغرفة التى اصبحت فيها الأم ولدها ، وأخذ يصلى . فأعاد الله الحياة الى الميت (٢ ملوك ٤ : ١٨ - ٣٧) . وفى هذا الحادث كان ذهاب اليسع الى البيت ، وصلاته الاستشفاعية نتيجة لضراعة الأم وإيمانها الراسخ . ومادامت طلبه هذه الشونمية وجهودها قد قبلت بإعادة الحياة الى ابنها - ألا يتحتم علينا أن نصلى من أجل أحبائنا الذين رقدوا ونعاونهم بتضرعاتنا ؟

٣- ومن أروع الأمثلة ما قدمته لنا المرأة الكنعانية التى لم يتزعزع إيمانها بشىء ، ولم يهز رجاءها حديث الى حد أنها صرخت عاليا مستعطفة السيد المسيح أن يشفى ابنتها ، وأنها ركعت عند قدميه . فلم تفر بطلبها فقط بل لقد شهد لها الرب نفسه بقوله : « عظيم هو إيمانك . ليكن لك كما تريدين » . (متى ١٥ : ٢٢ - ٢٨) . وواضح هنا أن شفاء البنت مرجعه الى إيمان أمها وثباتها . لأن ابنتها كانت فى تلك الساعة أقرب الى الموت منها الى الحياة . إذن فإن كنا ذوى إيمان راسخ فى نعمة الله ، وكان أحبائنا الراقدون مستحقين لهذه النعمة ، فلماذا لا يمنحها لهم السيد المسيح ؟ وما دمنا متأكدين من هذا الواقع فننستطيع أن نقيم سداً أمام تيارات صلواتنا من أجلهم ؟ - راجع أيضاً متى ٨ : ٥ - ١٣ و ٩ : ١ - ٨ ، مرقس ٥ : ٢٢ - ٢٤ ، ٣٥ - ٤٣ و ٩ : ١٤ - ٢٧ .

٤- وثمة مثل آخر فى إقامة طابيثا (أعمال ٩ : ٣٦ - ٤٢) . لأن هذه المرأة المباركة « كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات » . فكان موتها كارثة للكنيسة التى فى يافا . لذلك أرسل المؤمنون فوراً طالبين الى بطرس الرسول أن يسارع اليهم . وما إن وصل حتى استعطفوه بدموع من أجلها ، وأروه الأقمصة والثياب التى كانت تعملها لهم . واستجاب بطرس لتوسلاتهم ،

(١) وهى الأرملة التى قدمها الرب برهاناً على عناية الله بالأمم - لوقا ٤ : ٢٥ - ٢٦ .

ورفع صلواته الى رب المجد . فاستجيبت هذه الصلوات وعادت نفس طابيثا الى هيكلها . فالدافع الأساسى لشفاعة بطرس كان التوسل الحار الصادر من قلوب المؤمنين ، وبخاصة الأرامل بينهم . وبالطبع دعمت خدمات طابيثا وسخاؤها هذا التوسل . ولكن المؤمنين هم الذين أرسلوا فى طلب بطرس ، وهم الذين أقنعوه بالصلاة ، لأنه « نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية » . فإن كان الله قد أقام طابيثا استجابة لتوسلات المؤمنين ، ألا يتراءف على المنتقلين و يقيمهم من هفواتهم وسهواتهم استجابة لتضرعات أحبائهم ؟ وما دمننا مؤمنين بهذه الحقيقة فلماذا لا نعتبر الصلاة من أجل المنتقلين حتمية ؟

وهنا يجب أن نركز عيوننا على الوقائع اللاهوتية التالية :

أ— إنه بالسقطة الأولى فسد الجنس البشرى كله بالخطية ،

ب— ينتقل هذا الفساد إلينا بالميلاد حتى لو كان أبوانا مسيحيين ،

ج— إن تناولنا الأسرار المقدسة يطهرنا من هذا الفساد و ينفخ فينا القوة على مغالبة الخطية ، ولكنه لا يقطع ميلنا الموروث للخطية إذ لا يوجد شخص معصوم منها ،

د— إن الجهل والسهو— وإن ظنهما البعض هفوات— سنعطى عنها حساباً لله ،

هـ— إنه— لكى نتخلص من هذه المسؤولية— علينا أن نبادر الى الاستنجاد بالنعمة الإلهية عن طريق الاعتراف والتوبة ،

و— ليس من الصلاح أن نقصر صلواتنا على أنفسنا فيجب أن نصلى من أجل الآخرين حتى إن لم يطلبوا إلينا ،

ز— بما أنه لا يوجد انسان معصوماً فإن أحبائنا الذين رقدوا « كانوا تحت الآلام مثلنا » (يعقوب ٥ : ١٧) . ألا يحتم علينا هذا الواقع أن نصلى من أجلهم ؟ ألا نصلى « أبانا الذى فى السموات ... » ؟ فلماذا لا نصلى من أجل آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا ؟ ألا يدخلون ضمن دائرة « أبانا الذى فى السموات ... » ؟

ثم إن بولس الرسول قد طالب تلميذه تيموثيئوس بأن يحفظ الوديعة التى ائتمن عليها . فيجب علينا نحن أيضا أن نحفظ الوديعة التى تسلمناها من الرسل . وهؤلاء الرجال الأطهار قد سجلوا فى الدسقولية (١) وصيتهم ، وهى : « فليصل كل واحد من أجل الذين سبقوا فرقدوا فى المسيح ، وكلى الرحمة سيغفر لهم خطاياهم ، وبصلواتنا سيتحنن عليهم فى كورة الأحياء » .

(١) أى كتاب قوانين الرسل .

والتقاليد التي تسلمناها من آباءنا تتوافق مع الأسفار الإلهية . فيقول ديونيسيوس (أحد تلاميذ بولس الرسول) : « إننى تابع للأقوال الإلهية – وهى أن صلوات القديسين تفيد الراقدين ، وأن الذين رقدوا فى السيد المسيح ينتفعون بالصلوات والتقدمات التى ترفع عنهم » . بينما يقول ذهبى الفم : « لا يكفى أن نبكى على الموتى ، بل يجب أن نضرع الى الله من أجلهم بالصلوة والصدقة . فأعط قدر ما تستطيع عنهم تبعاً لعادة المسيحيين فى تذكر موتاهم ... »

وهذا التقليد لم يسلموه لنا باطلاً ، وليس باطلاً أن نذكر أحبائنا الراقدين أثناء القداس الإلهي متشفعين فيهم بالحمل المرفوع على المذبح ، لأنه هو الذى يرفع خطايا العالم . فلا عجب إذن فى أن الكاهن الخديم – وهو يرفع الذبيحة المرهوبة – يضرع الى السيد المسيح من أجل الذين رقدوا تماماً كما يضرع من أجل الذين مازالوا فى الجسد . لأننا لا نفعل شيئاً خلسة ، فجميع أعمالنا هى بالحرى مؤداة بإرشاد من الروح القدس . لذلك ينبغى أن لا نمل من التعاون مع المنتقلين برفع صلواتنا عنهم . لأن التطهير العام للإنسانية حاضر دوماً . ولهذا السبب نجسر بدالة أن نصلى من أجل العالم كله : من أجل المنتقلين والشهداء والمعترفين والكهنة .

أما القديس أثناسيوس الرسولى فيعلمنا : « إن الذبيحة غير الدموية هى بكل تأكيد عربون لمغفرة الخطايا . لذا فن كانت حياته صالحة ، ولكن بوصفه إنساناً ارتكب بعض الأغلاط أو سقط فى بعض الهفوات ، يجب أن يذكره أقرباؤه فى صلواتهم . ولئن سأل البعض : وماذا عن الفقراء الذين لا يستطيع أهلهم أن يرفعوا عنهم أية مقدمة ؟ نجيب : إن الكنيسة تصلى من أجل هؤلاء . وفوق هذا فالرب صالح ، منصف ، حكيم كلى القدرة . ولأنه منصف يعطى الفقراء بسخاء ، ولأنه حكيم يهب الكمال بدلاً من النقص ، ولأنه كلى القدرة يستطيع أن يهدم القوى ، ولأنه صالح ينقذ عمل يديه » .

وحيثما سئل غريغور يوس الثيولوجس : « ما هو أنفع شئ للراقدين ؟ » أجاب : « إنه تقديم الإفخارستيا المقدسة . لأننا نعرف أن هذه الذبيحة الرهيبه ذات قيمة عظيمة للتائبين ، لذلك فأعمالهم تتبعهم وتنفعهم بعد انتقالهم » .

ويقدم لنا القديس بولس الرسول عرضاً تفصيلياً للقيامة وللحياة الآتية ، و يسأل : « وإلا فماذا يصنع الذين يعتمدون من أجل الأموات إن كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات ؟ » ولقد استهدف رسول الأمم أن يثبت إثباتاً قاطعاً أن المسيحيين يعترفون بحقيقة القيامة من الأموات منذ البداية . وكان إيمانهم هذا أكيداً الى حد جعلهم يصلون من أجل الموتى . والكلمة التى يستعملها الرسول العظيم ليست « صلاة » بل « معمودية » ليبرهن على أن صلواتهم لم تكن بالألفاظ فقط ، ولكنها كانت جهاداً حاراً أشبه بالمخاض . فإن كانت

الكنيسة — فى عصر الرسل — قد مارست الصلاة من أجل الموتى ، أليس موضوعاً علينا أن نمارسها نحن أيضاً ؟

ويعطينا هذا الرسول عينه درساً آخر عن هذا الموضوع بطلبة الرحمة من أجل صديقه أنيسيفورس إذ قال : « ليعطيه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم » (٢ تيموثيوس ١ : ١٨) . ونحن نعلم يقيناً أن بولس كان منقاداً بروح الله فعرف المسيحية فى عمقها ، كما أن إدراكه لمسئوليته نحو حقائقها كان عميقاً . فلو أنه كان يعرف أن الصلاة من أجل المنتقلين لا قيمة لها لما كان يتضرع الى الله طالباً الرحمة لأجل مسيحي ميت . إذن فبولس حتم الصلاة من أجل المنتقلين فى السيد المسيح . لأنه واضح من صلواته عن انيسيفورس أنه كان قد رقد إذ يرفع صلواته عنه وحده وصلواته عن عائلته وحدها . كذلك يقول عنه : « ليعطيه الرب أن يجد رحمة فى ذلك اليوم » — أى فى يوم القيامة . أما صلواته عن عائلة أنيسيفورس فليست محددة بزمن .

والقداس الإلهى الذى سلمه لنا مارمرقس وسجله البابا كيرلس الأول عامود الدين تضرع الكنيسة فيه قائلة : « أبائنا وإخوتنا الذين سبقوا فرقدوا ، إذ قد أخذت نفوسهم ، نبح نفوسهم . اذكر أيضاً يارب جميع الذين أرضوك منذ البدء : آباءنا الأطهار ، الرؤساء ، الأنبياء ، الرسل ، الكارزين ، البشيرين ، الشهداء ، المعترفين ، وجميع نفوس الأبرار الذين كملوا فى الإيمان ، وللأخص القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ... وكل مصاف قديسيك . ونحن ياسيدنا لسنا أهلاً لأن نتشفع فى طوباوية أولئك القديسين ، بل هم الواقفون أمام منبر ابنك الوحيد عوضاً عنا يتشفعون فى ضعفنا ومذلتنا ... » ويحيب الشماس : « صلوا من أجل آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح منذ البدء : آبائنا رؤساء الكهنة والكهنة وإخوتنا الشماسة وآبائنا الرهبان ، وإخوتنا العلمانيين ، وعن نياح كل المسيحيين ، لكى ينيح المسيح إلهنا نفوسهم فى فردوس النعيم ، ويصنع معنا رحمة بمغفرة خطايانا . » وبعد أن يذكر جمهوراً من الأبرار ، يضيف : « أولئك وكل واحد يارب الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم ، الذين فى فكر كل واحد منا والذين ليسوا فى فكرنا ، جميع الذين رقدوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح ، نبح نفوسهم فى أحضان آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب ، عليهم فى مرع خضرة على ماء الراحة فى فردوس النعيم — الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد فى مواضع قديسيك . أعطهم وإيانا نصيباً وميراثاً مع جميع قديسيك » .

وقد يتبادر الى أذهان البعض أن الصلاة من أجل المنتقلين تتطلب بالضرورة الإيمان بالمطهر . ولكن الإيمان بالصلاة عنهم شىء والإيمان بالمطهر شىء آخر . فالإيمان بالمطهر معناه نوع من الدينونة الخاصة انتهت الى عقاب عادل ولكن صلواتنا من أجل المنتقلين لا تشير إطلاقاً الى مثل هذه الدينونة . فالإيمان الأرثوذكسى يقرر صراحة أن تقييم الناس جميعاً لن يحدث إلا فى يوم الدينونة . والإيمان بالمطهر يجعل من الصلوات عن المنتقلين إنقاذاً لهم من الوجد والألم . أما صلواتنا

فتستهدف التوسل الى الله أن يبدى رحمته في يوم الدينونة . ولو اعترض معترض على أن هذا هو الهدف من المطهر أجبنا بأن ليس هناك إنسان يستطيع أن يخلص بعمله شخصياً لأن النعمة الإلهية هي الوسيلة العجيبة والوحيدة للخلاص ، وليست هناك سدود تعيق صلواتنا أمامها من أجل الذين رقدوا في المسيح . إننا نتوسل إليه بصلواتنا ليمتد بنعمته الشاملة الى أحبائنا الراقدين مادمنا نعرف أنهم لم يصبروا في عناد على خطاياهم ، ولم يجعلوا أنفسهم غرباء عنه . لقد عاشوا داخل دائرة رحمته . ولكنهم — لكونهم بشر — لم يخلووا تماماً من الشهوات والضعفات . ولهذا السبب نرفع قلوبنا نحو تحننه بثقة وتأكيد عالمين أن صلواتنا تجاب .

كذلك قد يعترض البعض بأن صلواتنا عن المنتقلين معناها تغيير في حكم الله . ومثل هذا الاعتراض يتضمن أن الإنسان قد قدر له أن يكون شريراً ثم صار صالحاً بصلواتنا . ولكن يجب أن لا يخطر على بال أحد أن هذا ممكن . فالله ليس محدوداً مثل الإنسان ، ولا هو زمني ، والماضي والحاضر والمستقبل كله حاضر الآن أمامه . إنه يعرف جميع الأشياء ، ويعرف أسبابها ونتائجها ، وبالتالي يعرف حالة المنتقلين ، والصلاة التي يرفعها أقرباؤهم وصلوات الكنيسة عنهم . إذن فهذه الصلوات جزء من التدبير الإلهي ، فلا تهدف الى تغيير حكم الله بل بالحري تتماشى مع ترتيباته للإنسان .

وثمة اعتراض ثالث هو أن هذه الصلوات ستؤدي الى التكاسل والى الوقوع في خطر عدم السعى نحو الكمال الموضوع علينا من السيد المسيح . ونجيب بسؤالنا : لو أن شخصاً عرف أن دواء معيناً ناجع للعلاج ، فهل يرغب في أن يمرض عمداً لكي يستعمله ؟ ثم إن الإنسان الذي يخطيء بإرادته مستهدفاً التوبة فيما بعد ليس بالشخص الذي ينفذ هدفه . كما أن الذين يخطئون ارتكائاً على الصلوات التي ترفعها الكنيسة عنهم لا يرضون الله . ونعود فنكرر بأننا لا نستهدف من صلواتنا عن الراقدين أن نخطف رحمة الله ، بل إننا بالحري نستعطف تحننه ونتوسل للحصول على مغفرته .

كذلك قد يقول البعض إن الله يعرف حالة المنتقلين فيمد رحمته للذين يستحقونها — إذن فما الداعي للصلاة عنهم ؟ ومثل هذا القول يشمل كل صلواتنا . وعلى هذا الأساس لماذا نصلى لكي يتوب الخطاة ؟ ولماذا نضرع من أجل المظلوم ؟ أو عن الواقع في ضيقة ما ؟ ولماذا نطلب الشفاء لأجل المريض مادمنا نعرف أن الله قد يشفيه أو قد يأخذ نفسه ؟ على أننا يجب أن نيقن من أن الله يفرح دائماً لسماعنا نصلى لأن الصلاة هي حديثنا معه . وفي الصلاة نعترف بضعفنا وبارتكاننا التام عليه . إنه كأب محب يفرح بالتواصل معنا نحن أولاده .

أخيراً قد يقال بأن هناك مسيحيين كثيرين لم تتح لهم الفرصة للصلاة ، وربما يكونون قد ماتوا من غير أن يجدوا أحداً يصلى عنهم . فهل مثل هؤلاء لا يجدون رحمة ؟ فنجيب : إن الكنيسة تصلى من أجل كل شخص سواء طلب إليها أو لم يطلب . إنها تتشفع عن جميع أولادها على مدى

العصور، طالبة لهم الرحمة الإلهية، تاركة أمرهم بين يديه ليتصرف معهم كإرادته بصفته محب البشر.

الأدلة المعطاة من الأسفار المقدسة على أن القضاء العادل النهائى من ثواب وعقاب لن يتم إلا فى يوم الدينونة :

- ١- متى ١٣ : ٢٧ - ٣٠ « الزرع الجيد والزوان » ،
- ٢- متى ١٣ : ٤٧ - ٥٠ « الشبكة الجامعة للسماك » ،
- ٣- متى ٢٥ : ١ - ١٣ « العذارى العشر » ،
- ٤- متى ٢٥ : ١٤ - ٣٠ « الوزنات » ،
- ٥- متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ « متى جاء ابن الإنسان فى مجده » ، ٦- ٢ تسالوينكى ١ : ٤ - ١٠ « حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم » . وأيضاً على سبيل المثال (لا الحصر) لضيق المقام : مزمو ١ : ٥ - ٦ ، متى ٢٤ : ٤٥ - ٥١ ، يوحنا ٥ : ٢٦ - ٣٠ ، رومية ٢ : ٦ - ١٦ ، ١٤ : ١٠ - ١٢ ، ٢ تيموثيئوس ٤ : ١ - ٢ ، ١ بطرس ٤ : ٣ - ٦ ، رؤيا ١١ : ١٥ - ١٨ و ٢٠ : ١١ - ١٥ .

فن الواضح أن ثواب الأبرار وعقاب الأشرار لن يتم إلا فى يوم الدينونة . وانتظاراً لذلك اليوم يعيش الأبرار فى حالة راحة والأشرار فى حالة احتجاج.

ومن المؤكد أن الأسفار الإلهية حين تشهد بأن الأبرار - عند انتقالهم من هذا العالم - يكونون فى حالة راحة ، تعلن لنا صراحة أنهم لا يتألمون إطلاقاً - وهذا معناه أنهم ليسوا فى مطهر . وصلواتنا عنهم متبادلة مع صلواتهم عنا ، وهى تتناغم مع التعليم الرسولى : صلوا بعضكم لأجل بعض ؛ كما أنها مصدر تعزية روحية لنا هنا ولأولئك الذين سبقونا الى هناك (١) .

ملحوظتان عامتان يجدر الالتفات إليهما :

١- يقضى التقليد الكنسى بأن الكاهن المساعد لا يعطى الدم الزكى للمتناولين وهو بثيابه السوداء بل يضع فوقها « الصدرية » لأنه يقدم « دم الخروف : ملك الملوك ورب الأرباب »

٢- جرى المسيحيون على أن تكون دبله الزواج من الذهب الخالص : لأن الذهب رمز

(١) عن كتاب « القول اليقين فى الصلاة عن المنتقلين » للشماس سمعان سليدس علم أستاذ اللاهوت بالإكليريكية ، مطبعة الشمس بشارع كلوت بك بالقاهرة . نشره أخوه يسى سليدس بعد نياحة المؤلف فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ .

الى أننا أولاد الملك السماوى . وهى من معدن واحد لتكون متجانسة منسجمة فترمز الى ما يجب أن تكون عليه الحياة الزوجية من تناغم . وبالإضافة فالصائع يحفر اسم الزوج على دبلة الزوجة واسمها على دبلة زوجها من داخلها . أما الدبلة ذات الفصوص الماسية فتتقصها كل هذه الرموز الروحية المعبرة عن وجود الله بين الزوجين كما أنه لا يمكن كتابة اسميهما من داخلها .

ب- أنبا مكارىوس (١) الثالث

- | | |
|--|---|
| ٤١- حملات دعائية غاية فى العنف | ٦١- الألم والشعور بالخيبة |
| ٤٢- أ- بيان من المجلس الملى | ٦٢- تفاقم الخطب |
| ب- نداء من بعض الآباء المطارنة | ٦٣- فى دير أبى الرهبان |
| ٤٣- بعض ما جرى فى الحملة الدعائية | ٦٤- شفافية البابا الجليل |
| ٤٤- جبهة الأنبا مكارىوس | ٦٥- اقتراح أبوى روحى |
| ٤٥- لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك | ٦٦- استمرار سياسة الجفاء |
| ٤٦- ماذا يقول البحاثة يسى عبد المسيح وغيره ٦٧- تصالح الآباء المطارنة مع قداسة البابا | ٦٨- المشكلة الاثيوبية وخلفيتها |
| ٤٧- خطاب لحبيب المصرى | ٦٩- زيارتان تاريخيتان |
| ٤٨- فوز الأنبا مكارىوس | ٧٠- تضاعف الصلف |
| ٤٩- وقفة أمام الفائز بالباباوية | ٧١- الوصول الى ميناء السلام |
| ٥٠- هذا الشبل من ذلك الأسد | ٧٢- أ- « غربت شمسك إذ بعد نهار » |
| ٥١- اكفهرار الجو | ب- لمحة من التقدير البنوى ج- ذكرى عطرة |
| ٥٢- تكاثف الغيوم | ٧٣- عمر متوشالح (٢) |
| ٥٣- جهود بناءة | ٧٤- « أما اختار الله فقراء العالم أغنياء فى الايمان |
| ٥٤- المال حجر عثرة | ٧٥- « أحببت جمال بيتك » (٣) |
| ٥٥- بيان من المجمع المقدس | ٧٦- فرجع الى نفسه |
| ٥٦- الدعاية لدورة ملية جديدة | ٧٧- حنين الى الأم |
| ٥٧- الرهينة الحقيقية | ٧٨- قلبنى فهمى |
| ٥٨- المحبة لا تسقط أبداً | ٧٩- كامل صدقى |
| ٥٩- معركة مبادئ | ٨٠- أمين يوسف |
| ٦٠- تصاعد التوتر | |

ملاحق

(١) ورد اسم « مكارىوس » فى كل الأجزاء بشكله القبطى وهو « مكارى » .

(٢) يعقوب ٢ : ٥ .

(٣) مزمور ٢٥ (فى الاجبية) .

٤١ - ما كاد الأنبا يونس ال ١٩ ينتقل الى الأخدثار السماوية حتى اتفق المجمع المقدس والمجلس الملي على انتخاب الأنبا يوساب مطران جرجا قائمقام بطريركيا طبقا للتقليد الكنسى الأصيل .

ومع أن الإجماع نعمة من غير شك لأنه دليل التناغم بين الجميع ، إلا أن الأنبا يوساب - سامحه الله - اتخذه ذريعة ليرشح نفسه للكرسى الباباوى . ومن ثم بدأت حملة شعواء للدعاية . وقد انقسم الدعاة الى فريقين رئيسيين : فريق يؤيد المطارنة وفريق يبتغى العودة الى التقليد الرسولى الذى يقرر حصر الترشيح فى الرهبان الذين لا تزيد كرامتهم الكهنوتية عن القمصية . ولو اقتصر الأمر على هذين الفريقين لكان الخطب . ولكن المناصرين للمطارنة انقسموا فيما بينهم إذ قد نزل الى الميدان ثلاثة منهم هم : القائمقام البطريركى والأنبا مكار يوس مطران أسيوط والأنبا ثيوفيلس مطران القدس والشرقية ورئيس دير الأنبا أنطونى . وبالطبع كان لكل منهم أنصار ومؤيدون .

ومرة أخرى نقف فى شىء من الدهول أمام هذا الموقف . فقد علمنا تاريخ كنيستنا الحبيبة مراراً وتكراراً أن المرشح للسدة المرقسية كان يحاول الهرب من مرشحيه الى حد أنهم كانوا يضطرون الى تقييده بالسلاسل وأخذه قسراً الى الاسكندرية لرسامته . وهؤلاء المطارنة الأجلاء كانوا على علم غزير بتاريخ الكنيسة وبتقاليدها ، كما كانوا على درجة كبيرة من الروحانية . ومع ذلك فقد تقدم كل منهم يريد أن يكون البابا الاسكندرى ! وهنا أيضاً نقول إنهم لو اكتفوا بترشيح ذواتهم لكان الخطب ، ولكنهم شجعوا الداعين الى ترشيحهم ، بل إنهم قاموا بأنفسهم للدعاية لأنفسهم ! وخلال هذه الحملة الدعائية لم يجد أحدهم من نفسه الشجاعة لأن يقول لأنصاره : « اختشوا . عيب » . حين كان يسمعون يتكلمون أو يكتبون ضد منافسيه ! فاشتعلت الحملة الدعائية اشتعالاً !

وقد يقول البعض إن الحرية تفسح المجال للتنافس الشديد وللمعارضة القاسية ، فن الأصلى أن لا يكون انتخاب البابا انتخاباً شعبياً منعاً لمثل هذا الاشتعال . وهذا الاعتراض - وإن كان يصور الواقع العالمى - يتنافى تماماً مع وصايا رب الكنيسة ووصايا رسله القديسين . فقد قالوا بأنه لا يجوز أبداً أن يقام أسقف بغير إرادة الشعب الذى سيكون تحت رعايته . اسمعوا ما تقوله الدسقولية : « فليقم الأسقف باختيار الشعب كله » (١) وكل ما يتنافى مع وصايا الرب يتنافى بالضرورة مع تقاليد الكنيسة القبطية التى درجت منذ نشأتها على التمسك فى إصرار بكل ما تسلمته من تعاليم ووصايا وتقاليد . ويجب أن لا ننسى أن الكنيسة فى معناها الأصلى

(١) راجع «وظيفة الأسقف . . .» وهى الكلمة التى ألقاها الدكتور وهيب عطا لله (نيافة الأنبا غريغورس حالياً) فى المؤتمر الذى دعا اليه شعب الجيزة والقلوبية ومركز قوسينا ، والمنعقد بجمعية التوفيق القبطية فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٩ ، ونشرتها مجلة مدارس الأحد فى عدد فبراير سنة ١٩٤٩ ، ص ١٧-١٨ .

هى « جماعة المؤمنين » : فهى إذن الاكليروس والشعب معاً . وفوق هذا كله فهى كنيسة الفادى الحبيب الذى أكد لتلاميذه بأن « من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن للجميع عبداً » . (١)

وهنا أستميح الآباء المكرمين عذراً عن تسجيلى الواقع الأليم ، فهم الآباء ولهم منا المحبة والإكرام والولاء . ولكن التاريخ يحتم تسجيل الواقع قدر المستطاع وبمدى المعرفة للمؤرخ . ومجاملة الأشخاص على حساب الكنيسة قد تسبب فى الكثير من الأذى . وهذه الأحداث قد عاصرتها بل عشتها وجزت أوجاعها . وقد علمنى أبواى أن « الساكت فى الحق ناطق فى الباطل » . فع محبتى للآبائى ومع عميق احترامى وولائى لهم لا يسعنى إلا أن أسرد ما عرفته بالاختبار الى جانب المعرفة خلال القراءات الكثيرة .

إذن فقد نزل الى الميدان ثلاثة من علماء المطارنة . ومع ذلك فقد كان هناك المحافظون الذين طغت عليهم محبة الكنيسة وتاريخها وتقاليدها الى حد جعلهم يريدون راهباً منزوياً ، متيقنين أن نعمة الله أمضى من كل سيف ذى حدين . هؤلاء المحافظون على ما تسلموه ساروا على منوال أجدادهم بأن ذهبوا الى الأديرة وتلاقوا مع رؤسائها ورهبانها بحثاً عن الشخص الذى يقتنعون بجدارته لهذه الكرامة العظمى . ومن أروع ما يجب تسجيله أنه حدث لهم — وهم فى طريقهم الى وادى النظرون — أن كان الريح شديداً للغاية ، فعصف بالسيارة التى كانوا فيها الى حد أن رفع غطاء « الموتور » بعنف الى الوراء — أى جهة السائق — فخبط الغطاء الزجاج المثبت أمام السائق وكسره تكسيراً . وعلى الرغم من هذا فإن أحداً لم يصب ولو بخدش — حتى السائق نفسه نجا من أى أذى مع أن الزجاج المتكسر تطاير عليه !

وبالإضافة الى هذه اللقاءات فقد تباحثوا مع الرجال المتصلين اتصالاً وثيقاً بالرهبان أمثال يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى وراغب مفتاح الساهر فى حرص على ألحان الكنيسة فى أصالتها . فكل منها اضطره عمله الى قضاء فترات طويلة فى الأديرة . ومن نعمة الله أن الفريق المناصر للرهبان كان كتلة واحدة متضامنة مع رئيسها حبيب المصرى الذى كان وكيلاً للمجلس الملى العام آنذاك . وقد أجاب سائليه عن موقفه بقوله : « إننى أحب المطارنة من أعماق قلبى لأنهم آبائى بالروح ، وهم الصلة بينى وبين الله ، وهم يطلبون الرحمة والغفران للشعب والبركة للكنيسة . ولكن الكنيسة أغلى من المطارنة جميعاً . والأمر ليس أمر ووداد وصدقة بل إنه بالحري أمر صداقة لله ولكنيسته . هذه الكنيسة التى سوف أؤدى الحساب عنها لله فى نهاية الأمر » .

٤٢ أ — وتنويراً للرأى العام أصدر المجلس الملى العام — باسم وكيله — البيان التالى :

(١) متى ٢٠ : ٢٦-٢٧ ، مرقس ٩ : ٣٥ .

أما وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بناءً على ما عرضه على جلالته رئيس حكومته السنوية بأصدار لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك فقد أصبح في يد الأقباط الأرثوذكس وحدهم ممثلين في مندوبيهم المعينين في اللائحة اختيار بطريركهم بمحض ارادتهم وتمام حريتهم ، بغير أى تدخل من أية هيئة ، لا مرجع لهم في ذلك الا ضمائرهم وتاريخهم وتقاليدهم ومصصلحة كنيستهم . ولا شك في أنهم يدركون حق الإدراك خطورة المسؤولية الملقاة على عواتقهم و يدركون أن المصلحة العامة تقتضى منهم أن يواجهوا هذه المسؤولية في عزم ، ورجولة ، ونزاهة ، وصلابة في الحق ، واستمساك بقوانين كنيستهم وتقاليدهم ، وأن يحتفظوا باستقلالهم الكامل في الرأى فلا يتأثرون بأى مؤثر من صداقة أو مجاملة ، وأن يحدروا صنوف الدعاوات المغرضة وأن يرتقوا بهذه المسألة الخطيرة عن مستوى الأهواء والمطامع .

وقد وصلت الى المجلس شكاوى عدة من تدخل بعض الكهنة في شؤون الترشيح ومن جعلهم دور العبادة مركزاً للدعاوة ومن تور بطهم للناخبين عند قيد أسمائهم لأجل الحصول على توقيعاتهم تزكية لمن يؤيدونه . ولما كانت مثل هذه التصرفات إن صحت مخالفة لواجبات الكاهن وكرامته وهى من غير شك من الوسائل غير المشروعة فإن المجلس الملى العام قد اتخذ كل ما يلزم من التدابير للمحافظة على حرية الانتخاب وقرر إخلاء الغرف المعدة لقيد أسماء الناخبين والأماكن المحيطة بها من أى شخص لا صفة له فى عملية القيد . كما طلب المجلس الى حضرة صاحب النيافة القائمقام البطريرك بأن يمنع الكهنة جميعاً من التدخل فى حرية الانتخاب بالتجائهم الى أساليب غير مشروعة للتأثير فى حرية الناخبين و بوجه خاص من استخدام سلطة وظائفهم أو كنائسهم للترويج لمرشح معين أياً كان المرشح ، ومعاينة من يثبت عليه الخروج عن هذا النهى .

كذلك اتصل بعلم المجلس من مصادر محترمة أن بعض من يروجون لترشيحات معينة ويعرضونها على الناخبين للتوقيع عليها بلغ من رغبتهم فى تأييد مرشحهم بجميع الوسائل أن خالفوا الأمانة وأكدوا للناخبين أن الترشيح للكرسى البطريركى مفروغ منه ومتفق على المرشح له بين المجلس الملى العام وجميع الهيئات التى يعنىها الأمر . وأن التزكية المعروضة لا تعدو أن تكون إجراء شكلياً محضاً فوقع الكثيرون منهم عن حسن نية وتصديقاً لما قيل لهم .

والمجلس الملى يرى من واجبه أن يسارع الى التصريح بأن كل ما زعمه بعض الزاعمين من الاتفاق على مرشح معين من جانب المجلس أو من جانب أية هيئة من الهيئات غير صحيح إطلاقاً . ويكفى لنقضه من أساسه أن اللائحة قد فوضت أمر الترشيح للناخبين دون غيرهم ، وأنه إذا كان هذا الترشيح مما يكفى فيه اتفاق بعض الهيئات أو الجماعات لما كانت ثمة حاجة الى إصدار اللائحة .

ويصرح المجلس الملى العام بأنه الى الآن لا يناصر مرشحاً معيناً ولا يجارب مرشحاً

معينا . بل بكل الأمر الى ذمة الناخبين وضمائهم وشرفهم . وكل ما دار عليه البحث فى المجلس هو مسألة مبدئية هى ما إذا كان يجب أن يكون المرشحون من الرهبان حتماً أو أنه يجوز كذلك أن يكونوا من المطارنة . وقد رأى المجلس قبل أن يبدى فى المسألة رأيا نهائيا واستكمالا للبحث أن يعهد الى لجنة من أعضائه فى زيارة الأديرة ومعرفة حالة الرهبان فيها وعلى الأخص الرهبان الذين شهد الكثيرون من بعض حضرات الآباء المطارنة ومن أفاضل أبناء الشعب ممن اختلطوا بهم وعرفوهم حق المعرفة بتقواهم وعلمهم وصلاحياتهم لتولى الكرسى البطريركى فيما إذا اقتضت إرادة الله إسناده الى أحدهم . ومتى تمت هذه الزيارات فإن المجلس الملى العام سيتقدم الى الأقباط بنتيجة بحثه ويعرض عليهم آراءه على سبيل النصيحة لأن فى عنقه نحوأتمته واجب التنوير والإرشاد . وللناخبين بعد ذلك أن يتصرفوا فى الأمر بما توحىه عليهم حكمتهم ، والله المسئول أن يرشدنا جميعاً سواء السبيل ،،،

وكيل المجلس

حبيب حنين المصرى

٤٢ ب - كذلك أصدر بعض الآباء المطارنة نداء قالوا فيه :

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد

شغلت الكنيسة فى هذه الأيام بمسألة هامة فى مسألة المسائل بالنسبة لها اذ تمسها فى الصميم .

هذه هى مسألة انتخاب غبطة البطريرك والبطريرك للكنيسة هورايعها ومديرها والرأس المفكرة فيها . وهذا ما حدا بها أن تعطيه كل اهتمامها وتفكيرها فلا تعقد اجتماعات إلا للتكلم فيها عنه ولا يدور حديث إلا حول انتخابه . وهذا دليل مادى يدل دلالة واضحة على حيوية الكنيسة واشتياقها للعودة الى سالف مجدها . وما كانت عليه من رفعة وعظمة ومن إيمان وقوة وعلم . وإذا كان لها من بقية باقية فالفضل فى ذلك يرجع الى تمسكها بقوانينها وتقاليدها . وقد اعترفت جميع الكنائس الأخرى أن الفضل فى بقاء الكنيسة القبطية هو لأنها كنيسة طقسية تقليدية . وفى سبيل المحافظة على هذه التقاليد قد استساغ أبأؤنا العذاب واستعدبوا الشقاء ورخصت فى نظرهم فى سبيلها كل الأشياء حتى سفك الدماء . وتاريخ كنيستنا المجيدة حافل بالحوادث التى دلت على مدى تمسكهم بهذه التقاليد . والتقليد فى الكنيسة له المرتبة التالية للكتاب المقدس . وفى هذه المسألة بالذات قد نصت التقاليد على أن يكون البطريرك من الآباء الرهبان دون المطارنة .

وكم هو للنفس بهيج أن ترى بعض حضرات الآباء المطارنة الأجلاء يصدرن قراراً بقصر

الترشيح البطريركي على الرهبان دون المطارنة . وها هي الجماعات من وقت لآخر تعقد اجتماعاتها وتطرح مسألة الترشيح على بساط البحث وتتناول الآراء وعلى ضوء تاريخ الكنيسة وقوانينها وتقاليدها يصدرون قراراتهم مجتمعين على أن يقصر هذا الترشيح على رهبان الأديرة .

أليس من المحزن حقا أن نرى الأبناء أكثر تمسكا من بعض الآباء — وهم قادة الكنيسة والحفاظ عليها والساھرون على تنفيذ مبادئها — ولكن ما الحيلة في قلب الأوضاع ؟

سلوا هؤلاء الآباء ومؤيديهم من الأبناء كم عدد المطارنة الأجلاء الذين جلسوا على عرش مارمرقس وكم منهم كان من بين حضرات المطارنة ؟ هي مسألة حسابية بسيطة . بلغ عدد البطاركة مائة وثلاثة عشر بطريركا لم يكن منهم مطرانا بالمعنى الصحيح المعروف سوى غبطة البطريرك الراحل الأنبا يوانس ولم يرتق هذا الكرسي إلا لأمر قهرية خارجة عن إرادة الكنيسة . أيريد هؤلاء القوم أن يقيموا من الشاذ قاعدة ؟!

أين هو تمسكهم بميراث آباؤهم وأين لهم بنابوت اليزرعيلي ليعطيهم درسا عمليا . فقد أبى عندما طلب منه أخاب الملك ان يعطيه كرمه وقال حاشا لي من قبل الرب أن اعطيك ميراث آبائي (مل ٢١ — ٣)

وأين هو نحميا ليبيكي على أسوار أورشليم المهذمة وأبوابها المحرقة ولكن كما رمت أورشليم وتغلب نحميا ستتغلب الكنيسة على كل المرشحين الخارجين عليها

إنه لمبدأ خطير مبدأ اختيار البطريرك من بين حضرات المطارنة لأمر كثيرة أهمها : —

أولا — إن الانتخابات عادة محتاجة الى دعايات والدعايات تلزمها المادة وهي والحمد لله متوفرة للمطارنة دون الرهبان ومادام للمطارنة الحق الانتخابي للكرسي البطريركي فقل على الأقاليم السلام . فكل مطران في أبروشيته يصبح وليس له من هم أو اهتمام الا جمع الأموال واعداد العدة للمعركة القادمة وتصبح أمواله وأموال كرسية وقفا مؤبدا وحسباً مخلدا على المعركة القادمة وهنا ستعطل كل الأعمال الخيرية التي كان حبر الاقليم قائما بها من مدارس وكنائس ومساعدات للمحتاجين . فارحموا الأقاليم ودعوا الآباء المطارنة يعملون في أقاليمهم بما يعود على كنيسهم بالنفع الجزيل

ثانيا — إن الآباء المطارنة ماداموا سيزجون بأنفسهم في معارك انتخابية فعنى هذا أنهم سيعرضون أنفسهم للنقد وتقدم ضدهم الطعون وتثار حولهم في كلا الحالتين : إذا وصلوا الى بغيتهم أو إذا باؤا بالفشل ؟ وليس أعظم من دليل الا ما هو حادث اليوم . أبناء الكنيسة انما ينظرون الى آباؤهم نظرة كلها إجلال واحترام ؟ ! ...

ثالثاً - وحدة الكنيسة أيضا تحتم على قادتها أن يبتعدوا عن الخوض في مثل هذا المضمار
صونا لهذه الوحدة وقد جر ترشيح بعضهم الى انقسامات مرة فنفر منهم يناصر هذا وآخر يناصر ذلك
واستحكمت بينهم العداوة وأبعدتهم هذه الحال عن قول الكتاب « مجتهدين ان تحفظوا وحدانية
الروح برباط السلام »

وما أجمل الاقتراح الذى تقدم به أحد الآباء الأجلاء فى دورة المجمع المقدس الماضية
يطلب حفظا وصونا لوحدة الكنيسة أن ينسحب الآباء المطارنة من عملية ترشيح أنفسهم

لنا كلمة ختامية نوجهها الى حضرات المؤيدين للمطارنة : ما هو امتياز المطارنة عن
الآباء الرهبان ؟ وإذا ما وجه هذا السؤال نسمع جوابا واحدا وهو الخبرة والدراية والمران . إنها
لامور مخزنة . تؤلم النفس وتفزع الروح ، أى مصدر هو مصدر هذه الخبرة والدراية والمران ؟ إذا كان
هو مصدر عالمى فهى خبرة كاذبة ودراية خادعة ومران باطل لأنه كما يقول الرسول « حكمة هذا
العالم جهالة واختار الله الجهلاء ليخزى بهم الحكماء » اختار سيدنا تلاميذه من البسطاء وجعلهم
منارة للدين لأنه يقول و يصير الجميع متعلمين من الله

وأما إذا كان مصدر هذه الخبرة والدراية والمران عمل الروح القدس . فليتركوا الروح يعمل
فى غيرهم كما عمل فيهم اللهم إلا إذا كانوا ينكرون على الكنيسة عمل الروح فيها وقد وعد أن
يكون معهم كل الأيام حتى انقضاء الدهر .

فبروح المحبة المسيحية نوجه نظر حضرات من يهمهم الأمر ألا يختاروا البطريرك الا من
الآباء الرهبان ولا يؤيدوا سواهم وخصوصا بعد ما ثبت لأعضاء المجلس الملى العام الذين شرفوا
الأديرة صلاحية هؤلاء الرهبان واستعدادهم الكافى .

ومما يؤسف له أن بعض حضرات الكهنة ورؤساء الكهنة ممن يروجون للمطارنة (مع
علمهم بأن ذلك اعتداء على قوانين الكنيسة وتقاليدها) يلجأون الى مخالفة أخرى واعتداء آخر
بأن يوجهوا بركة وسلطان الكهنوت لإرغام البسطاء على مشايعتهم . وللتأثير عليهم حتى ينتخبوا
مطرانا معيننا للكرسى البطريركى .

لذلك

نعلم الشعب المبارك أن مثل هذا العمل مردود الى قائلة ولا قيمة له دينيا ، وأن الله
سيعطيهم بركات وخيرات مضاعفة ما داموا متمسكين بالمحافظة على الكنيسة وتقاليدها .

أثناسيوس	بطرس	ابرام
مطران بنى سويف	مطران سوهاج	مطران البلينا
	واخيم	

ساويرس	أغابوس
مطران المنيا والأشمونين	مطران صنووديروط وقسقام
	ورئيس الدير المحرق

٤٣ - ولما كانت حرية الكلام والكتابة مكفولة ، فإن القائمين بالدعاية الانتخابية اتخذوا كل الوسائل الممكنة : فكتبوا وعقدوا الاجتماعات في مختلف المدن ، وألقوا الخطب الإضافية وتناقشوا بجرارة . على أن الدعاية سيف ذو حدين : حد يتغنى بفضائل شخص معين ، وحد يعدد رذائل غيره . ولو أنها اقتصرت على إبراز الفضائل فقط لكانت مقبولة ، لأن الله منح الإنسان الحرية ولكنه شاء أن يحسن استعمالها .

ولقد كان واضحاً من البداية أن المطران الأكثر شعبية هو الأنبا مكار يوس . فلقد كان له تاريخ طويل مشرف في أسيوط . كما كان ذا شخصية وقورة جذابة معا ، وتميز بوجه يمكن وصفه بكلمة « جميل بالنعمة » (١) . أما عيناه فكانتا تسطعان بنور روحاني ، كما أن لحيته البيضاء الطويلة كانت تذكر الناظر اليه بما جاء في الزمور عن « لحية هرون النازلة على جيب قيصه » (٢) . وفوق هذا كله فقد كانت صلواته تنفذ الى أعماق القلب بجرارتها الروحانية الدافقة . وهو ضمن الصفوة القليلة التي داومت على الترنم بالقداس المرقسى - الكيرلسي (٣) . وقد حباه الله شخصية مغنطيسية حتى أنه نجح في اكتساب تقدير البروتستانت بل لقد بلغ تقدير البعض منهم له أن قيد اسمه في سجل الناخبين ليعطيه صوته يوم الانتخاب (٤) .

وكان للأنبا مكار يوس مكانة خاصة في قلب حبيب المصرى لأنه نشأ تحت رعايته منذ صباه ، فكانت المحبة الوثيقة متبادلة بينهما . وانتقلت هذه المحبة الدافقة من حبيب الى عائلته . ولذلك كان الأنبا مكار يوس كلما حضر الى مصر يتكلم تلفونيا مع آل حبيب المصرى فور وصوله ، وكلما مر أحد منهم بأسيوط - ولو عابراً - يذهب لينال بركة هذا القديس قبل أن يغادر المدينة . ولتانة هذه الصلة جاء الأنبا مكار يوس لزيرة حبيب المصرى في بيته وعاتبه بقوله :

(١) هذا الوصف يقال في الألمان الكنسية عن بعض الشهداء كما رجس وعن بعض القديسين كالأنبا بنيامين البابا الـ ٣٨ .

(٢) مزمو ١٣٢ (في الأجيية) .

(٣) انظر ف ٣٦

(٤) ومن هؤلاء البروتستانت دكتور بنيامين بهمان صاحب مستشفى الأمراض النفسية بجلوان ، ولم يكن بروتستانتيا فحسب بل كان أيضا متزوجا من امرأة بلجيكية . ومع ذلك فقد اندفع بتقديره للأنبا مكار يوس الى الانضمام لناخبيه .

«تبقى أنت ابني من طفولتك وساعة ترشيحي تناصر غيرى؟!» أجابة : «أنت تعرف تماماً يا أبى المبجل مقدار حبي وإجلالى لك . ولكن ولائى للمبدأ يفوق ولائى لأى شخص حتى ولو كان شخصك الوقور . ولو كان القانون الكنسى الأصيل يبيح انتخاب المطارنة لكنت أنت أول من أحمس له» . قال المطران الجليل : «لكن الشعب عايزنى» . فرد حبيب المصرى : «أنت قائد للشعب ومرشده ومعلمه ، وكنت أتوقع من نيافتك — حين يطلب الشعب اليك ترشيح نفسك — أن تقول : لا يا أولادى — لقد نلت كرامتى الخاصة من رب الكنيسة . والراهب هو صاحب الحق فى هذه الكرامة التى تريدونها لى . فأنصحكم بانتخاب فلان» . فأدت هذه الكلمات الى قيام جفوة وقتية بين المطران الوقور وابنه الروحى .

وهذا الذى قاله حبيب المصرى لنيافة الأنبا مكار يوس قاله أيضاً لنيافة الأنبا ثيوفيلس خلال زيارته للأراضى المقدسة خلال أسبوع الآلام والقيامة المجيدة لسنة ١٩٤٣ . ولقد تقبل مطران الكرسي الأورشليمى كلامه بهدوء — بل بابتسامة أيضاً .

وكان هناك آنذاك جراح ذو شهرة عالمية اسمه ابراهيم فهمى المنيأوى ، ناله تقدير ملك مصر بأن حظى منه على رتبة الباشاوية . وكان عضواً بالمجلس الملى العام . اتفق فى بادىء الأمر مع مؤيدى الرهبان ثم تحول بعد ذلك الى زعامة فريق المناصرين للأنبا مكار يوس . وهذا التحول أدى الى الانقسام بين أعضاء المجلس الملى العام .

وعلى ذلك نجد أنه كانت آنذاك أربعة جهات : جهة تسعى لأن يفوز راهب بالكرسي المرقسى ، وهذه الجهة تخيرت الراهب فرنسيس البرموسى الذى كان محامياً قبل اعتزاله العالم ، ثم جهة لكل من الأحبار الثلاثة .

٤٤ — ولقد وجد الدكتور المنيأوى نصيراً فى القمص ابراهيم لوقا — فسعى كلاهما بكل إمكانياتها لتوصيل المطران الأسيوطى الى السدة المرقسية . فعقدا الكثير من الاجتماعات ووزعا النشرات الوفيرة فى مختلف المدن . ومن الموجه أنهما — كلاهما — لم يكتفيا بمديح الأنبا مكار يوس بل عملا على تجريح منافسيه وشجعوا كل المنضمين إليها على نهج هذا السبيل . ولئن قيل إن هذا التشهير بالآخرين مناقض للتعليم المسيحى أضفنا الى أنه يتناسى إمكانية فوز المطعون فيه . فإذا ما تبوأ السدة المرقسية شخص نالت منه الدعايات المغرضة ، فهذه الدعايات ستكون من غير شك سبياً فى إضعاف هيئته . ومن الموجه أيضاً أنهما لم يتورعا عن تجريح المطرانين المرشحين على الرغم من مكائنها الكهنوتية . ومن الأمثلة على هذا الطعن أن المنيأوى ونصيره ابراهيم لوقا قالا عن الأنبا يوساب إنه لا يصلح لأن يكون قياً — أى أنه لا يصلح لأن يكون المسئول عن إعداد القربان! — وهذا أهون ما قالاه عنه .

وبديهى أن مثل هذه الدعايات قد أذت الكنيسة أذى بالغاً إذ قد فتحت ثغرة ينفذ منها

الأرثوذكس ، وتهتز تجاها ضعاف الإيمان من الأرثوذكس فيصابون بنوع من الاستخفاف بكرامة الكهنوت القبطي . لذلك نجد أن الفترة ما بين انتقال الأنبا يونس الـ ١٩ الى الفردوس وتنصيب الأنبا مكار يوس مليئة بالقلق وعدم الاستقرار وبالتخاصم والتراشق بين الإخوة .

٤٥ — وكان من الضروري أن يضع المسئولون لائحة قانونية يسرون بموجبها في ترشيح وانتخاب البابا المرقسي ، وأن تعتمد الحكومة هذه اللائحة . ومن نعمة الله أن اتفق المجمع المقدس والمجلس الملي العام على مواد هذه اللائحة . ثم أسندوا الى وكيل المجلس وضع مذكرة إيضاحية لها . وقبل وضعها إلتقى مع حضرات آباء المجمع المقدس — حيث كان العلماني الوحيد بينهم — وتشاور معهم في الموضوع فلما صيغت اللائحة نهائيا وأرفعت بالمذكرة ، رفعها وكيل المجلس الى رئيس مجلس الوزراء . وعلى أثر ذلك نشرت «الوقائع الرسمية» (وهي الجريدة الحكومية) بعددها ٢٢٠ «غير الاعتيادي» الصادر في يوم الاثنين ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢ مايلي :

نحن فاروق الأول ملك مصر
بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء :
أمرنا بما هوآت

المادة الأولى — تعتمد لائحة ترشيح وانتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس المرافقة لهذا الأمر .

المادة الثانية — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا ، و يعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

صدر بقصر عابدين العامر في ٩ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

فاروق
بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك
مصطفى النحاس
رئيس مجلس الوزراء

على أنه — قبل ذهابه الى جلسة المجمع المقدس للتشاور مع أعضائه الموقرين — جاءه الخطاب التالي :

حضرة صاحب السعادة حبيب باشا المصري

باركه الرب..ستواجه اليوم آباء الكنيسة . الله معك تشدد وتمسك بتقليد آباءك في رفض
اختيار البطريرك من المطارنة واحتفظ أن يكون الاختيار من بين الآباء الرهبان
هذا هو تقليد المسيح في الكنيسة منذ ١٩٠٠ سنة ولم تغير الكنيسة هذا النظام في أجيالها
فقط

والمسيح وبخ التلاميذ عندما دخلهم فكر كل منهم يكون أولا فقال لهم « بل من أراد أن
يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما ، ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبداً »

(مرقس ١٠ : ٤٣ و ٤٤)

مصر في ١١ / ٨ / ١٩٤٢

(إمضاء) بشارة بسطوروس

وعلى طول هذه الفترة استمرت الحملات الدعائية . ففي ١٧ أبريل سنة ١٩٤٢ أرسل
حبيب المصرى خطابا الى مراد وهبة باشا (١) قال له فيه .

حضرة صاحب السعادة المحترم مراد وهبة باشا

بعد التحية - تلقيت الخطاب المؤرخ في ١١ ابريل سنة ١٩٤٣ والمذكرة الملحقة به التي
وضعها حضرات المجتمعين في مكتبكم في بعض مسائل خاصة بالترشيح للكرسى البطريركى .

وقد ذكر فى ذيل ذلك الخطاب ما يفيد أن الغرض من الطلبات المبينة فى المذكرة هو
توحيد الكلمة وظهور الشعب القبطى بالمظهر اللائق به . ولا شك عندى فى أن هذا غرض
شريف جدير بأن تتضافر لتحقيقه الجهود . على شرط أن تكون الوسائل التى تتخذ فى سبيل
تحقيقه مما يؤدى اليه حقيقة . وآسف كل الأسف أن أقول إن عبارة وردت فى صدر ذلك الخطاب
تتناهى تماما والغرض الذى قيل إن الاجتماع يرمى إليه . فقد جاء بها أن المجتمعين تناقشوا فى
«نقط الخلاف القائمة بين الشعب القبطى وبين المجلس الملى» . ومثل هذا التصوير للحالة
تصوير غير صحيح لأنه لا يوجد أى خلاف بين المجلس الملى والشعب القبطى .

نعم إنه توجد خلافات ، وخلافات شديدة ، بين أفراد الشعب القبطى عموما فى هذه
المسألة الخطيرة . ومن الطبيعى أن يقع مثل هذا الخلاف وأن تتشعب وجوه النظر لعظم المصالح
الروحية والاجتماعية التى تتصل بالاختيار لكرسى مارمرقس . أما تصوير المسألة بأنها خلاف
واقع بين المجلس الملى وحده من جهة وبين الشعب القبطى كله من جهة أخرى فلا محل له إلا إذا
اعتبر الموجودون بمكتب سعادتكم هم الشعب كله . والواقع أنه تصوير للموقف لا أستطيع أن
أقبله بأى وجه . وما لم يصحح هذا التصوير ويرد الى حقيقته والى أن الغرض من الاجتماع

(١) هو الابن الأكبر ليوستف باشا وهبة - راجع ما جاء عنه فى سيرة البابا الوقور الانبا كيرلس الخامس .

معالجة ما بين بعض الأقباط والبعض الآخر - لا ما بين الأقباط والمجلس - من وجوه الخلاف
فإنى لا أستطيع أن أعرض المسألة على المجلس .

بل إننى أعتبر فى هذا الوضع مهانة للمجلس فوق ما بدا فى الاجتماع ، على ما اتصل
بى من بعض حضرات الذين حضروه وما نشرته جريدة مصر فى عدد يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٤٣ ،
من أنواع التعريض والتحقير من جانب بعض الشخصيات وعلى الأخص من جانب حضرة
صاحب السعادة توفيق دوس باشا . على أننى لا أستغرب من سعادته هذا الموقف فإن بينه وبين
المجلس الملى خصومة قديمة مزمنة بدت فى مظاهر مختلفة ، وبعضها لا يزال معروضا على القضاء .
وكل أفراد الشعب القبطى الذين تتبعوا جهادنا الطويل يعرفون ، كما تعرفون سعادتكم وكما
يعرف حضرات السادة الذين اجتمعوا فى مكتبكم تاريخ هذه الخصومة وملابساتها . و يعرفون
أسبابها والعوامل المحركة لها . فإن أبيتُم إلا أن نذكر الوقائع وإلا أن ننشئ الماضى المحزن وأن
نستعرض ذكر ياته الأئمة فأنا رهين أمركم . ولكنى أفعل ذلك مكرها وفى الحدود التى يقتضيها
بيان مواقفه الطائفية .

وثمة ملاحظة أخرى أسمح لنفسي بإبدائها لسعادتكم وهى أنه ما دام الغرض من
الاجتماع كان توحيد الكلمة وظهور الشعب بالمظهر اللائق به فكان مما يترتب على ذلك بدهاءة أن
يجتمع فى صعيد واحد جماعة ممن يمثلون الآراء المختلفة التى يراد التوحيد بينها . ولكن الذى لوحظ
أنه فى هذا الاجتماع كما فى الاجتماع السابق الذى عقد فى سرايكم العامرة كان المجتمعون هم
هم على الأغلب من لون واحد وممن يؤيدون فكرة واحدة . ومع أن اجتماعكم كان يضم فى من
يضمهم نخبة كريمة من ذوى الرأى والمكانة فإنه يوجد الى جانبهم مئات وألوف يرون غير رأيهم
وقد جاهروا بأرائهم فى الصحف وبمختلف أساليب النشر . أفلم يكن بينهم من يستحق أن يدعى
الى هذا الاجتماع أيضا لكن يدلى بوجهة نظره ؟ وقد سبق لى أن أبديت هذه الملاحظة
لسعادتكم على أثر الاجتماع السابق وصرحت لى وقتئذ بأن ذلك لم يكن متعمداً على الإطلاق .
وكننت أعتقد أن هذه الملاحظة ستنال نصيبا من عنايتكم فى أى اجتماع آخر . ولكنى لم أرها
أثراً فى هذا الاجتماع الثانى . ولعل المقصود من ذلك أن يثبت أن الأقباط جميعا من رأى واحد .
لا يشذ عن هذا الإجماع الا المجلس الملى . فهم فى واد والمجلس فى واد .

ومما يدعوا الى ازدياد الأسف تلك الروح المحزنة التى تحلت فى الاجتماع من بعض
حضرات المتكلمين . فهى بعيدة كل البعد عن روح الوثام وتوحيد الكلمة . ومناقشتهم
وملاحظاتهم يمكن أن توصف بكل شىء إلا بالرغبة فى الوثام وبالرغبة فى ظهور الشعب القبطى
« بالمظهر اللائق به » . فقد طلب بعض حضراتهم الا يذكر أى شىء يدل على اختصاص المجلس
الملى فى الشؤون الدينية لئلا يعترف له باختصاص ليس له . وذكر غيره أن المجلس الملى لا يخرج
عن أن يكون محكمة جزئية للفصل فى دعاوى الأحوال الشخصية البسيطة .

أما فيما يتعلق بالمسائل التي يثيرها الترشيح للكرسى البطريركى عامة وبغيرها من المسائل التي يضطلع المجلس بها فإنه ليس فى وسعى أن أدلى ببيان عنها إلا بإذن المجلس وقرار منه . ولكن الذى أستطيع أن أقوله هو أن المجلس غير متوان فيها ولا مقصر وسيسير فيها دائما متوخيا الحكمة والحق والقانون . وسيؤدى الواجب الذى يملية عليه الضمير النزيه من غير أن تؤثر فيه أنواع التعرض والانتقاد - وهى كثيرة سهلة - إلا إذا كان هذا الانتقاد حقا فإنه يقبله دائما بصدر رحب على العين والرأس . والمجلس لا يتعدى ولا ينوى ان يتعدى أبدا اختصاصاته التى رسمتها له القوانين . ولكنه فى حدود هذه القوانين يتمسك بكل اختصاصاته فى غير هوادة ولا مجاملة ولا يتلقى الوحى فى تفسيرها من أى شخص غير مسئول ، وإذا رأى فى أى حين أن المصلحة العامة تقتضى نشر أى بيان أو قرار على الشعب فإنه سيفعل فى الوقت الذى يتخيره . وحتى فى اختيار وقت النشر لن يكون الدافع الى ذلك إلا رعاية المصلحة العامة .

وأرجو أن تفضلوا بقبول خالص احترامى ،

وكيل المجلس الملى العام

القاهرة فى ١٧ ابريل سنة ١٩٤٣

(إمضاء) حبيب حنين المصرى

ثم جاء الى حبيب المصرى خطاب هو الصورة الحقة لما كان يجب أن ينهجه القبط وبخاصة فى الموضوع الحيوى الذى هو انتخاب راعيهم الأول . ونقتبس الجزء الأخير منه الذى لو كان المسئولون قد أصغوا اليه لكانوا قد جنبوا كنيستهم الكثير من الآلام . وهاهو:

مصر فى ٢٠ / ٩ سنة ١٩٤٢

وانى أرى أنه من الواجب علينا أن نستعين باثار الروح القدس فى الانتخاب ولذا اقترح أن يقام قداس حبرى فى جميع الكنائس فى كل يوم من الايام الثلاثة السابقة ليوم الانتخاب يتضرع فيه الشعب للسيد المسيح له المجد رب الكنيسة وعريسها بأنه يرشدنا بروحه القدس لانتخاب الشخص الذى يراه صالحا لرعاية شعب كنيسته المحبوبة - واتعشم أن يحوز قبولا ولاهنا المجد والاكرام الى آباء الدهور آمين .

وتفضلوا سعادتكم بقبول اسمى عبارات التحية والاحترام من المخلص

قلدس بشاى

رئيس جمعية الرحمة الخيرية

ولقد دفع الحماس بالبعض الى أن يستعينوا بنفوذ رئيس لجنة قضايا الحكومة ، فبعثوا اليه ببرقياتهم وهو بدوره حولها على وكيل المجلس الملى العام (١) .

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة

أتشرف بأن أرسل لسعادتك بالبرقيات الواردة مع كتاب الداخلية رقم ١/٨/٥٩ والمقدمة من ميخائيل تادرس افندى عن جمعية الحياة القبطية الأرثوذكسية وأيوب عبد الملك أفندى والأستاذ شاكر سليمان المحامى بالتماس عدم اعتماد المادة الثانية من لائحة الترشيح والانتخاب لمنصب بطريرك الأقباط الأرثوذكس الذى أرسل مشروعه من رئاسة مجلس الوزراء الى رئاسة اللجنة بدعوى مخالفتها للكتاب المقدس والتقاليد الكنسية اذ يتعين أن يكون البطريرك راهبا أو ممن لهم مراتب المذبح .

المرفقات ٤

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،

١٥ اكتوبر سنة ١٩٤٢

المستشار الملكى المساعد

ثم قرر حبيب المصرى بعد كل هذه الخطابات أن يكتب ليصحح بعض الأوضاع ، فأرسل المقال التالى :

المقطم فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٣

فى الترشيح للكرسى البطريركى

بقلم حبيب المصرى باشا

حضرة الأستاذ الكبير رئيس تحرير المقطم .

منذ أن بدأت الحملة الانتخابية للترشيح للكرسى البطريركى للأقباط - وهى حملة تلونت مع الأسف بلون الحملات الانتخابية السياسية - لم اكتب للصحف كلمة واحدة . ولم أرد على ما يكتب عنى أو ينسب صدوره الى مع اشتماله فى أكثر الأحيان على تشويه وتحريف متعمدين .

(١) يؤسفنى أننى لم أعبث بين الأوراق العديدة التى جمعها بعد انتقال أبى الى الفردوس على البرقيات المذكورة .

ولكنى خرجت اليوم عن مأثور عادتي إذ قرأت بياناً فى المقطم لكاتب اختار لنفسه أن يكتب اسمه مع أنه لا موجب للكتمان فى مثل هذا الموقف . وقد استيقظ الكاتب الآن فذكر على طريقته ما زعم أنه دار فى الاجتماع الذى عقد منذ أكثر من أسبوعين من الزمان فى دار سعادة مراد وهبة باشا وهذا البيان لا يخرج عن أن يكون حلقة من حلقات الدعاية الانتخابية التى يقوم بها كاتب البيان - وهو معروف رغم تبرقهه - للترويج لترشيح معين .

والواقع أن الاجتماع قد ضم نفعاً يعدون من نخبة الأقباط علماً وفضلاً ، ولهم فى ميدان الجهاد آثار مشكورة . ولكن كان فيه الى جانبهم أفراد يكفى أن أقول إنه ليس لهم ماض معروف فى الخدمة العامة ولا أريد أن أزيد على هذا حرفاً . ولست أدري لماذا اختصوا بالدعوة . ومع اعترافى بنبل الغرض الذى كان يبغيه سعادة مراد وهبة باشا من جمع الكلمة وإزالة الشقاق فإننى آسف أن أقول إن الاجتماع كان له صبغة خاصة فلم يدع اليه الا الذين يؤيدون على الأخص رأياً معيناً دون أصحاب الآراء الأخرى - وهو أمر أعتقد أنه وليد المصادفة لا التعمد - فلم يحضر أحد من شباب الأقباط العاملين ولا من رجال الجمعيات القبطية المختلفة ، أولئك الذين افنوا زهرة العمر فى خدمة الشئون الطائفية وكرسوا جهودهم وقواهم لرفع مستوى طائفتهم بجميع الوسائل . وهم أولى بأن يسمع صوتهم فى هذا الأمر الخطير . ولم يحضره من المطارنه الا مطران واحد بالذات عرف بنزعات معينة يجمل بى ألا أعلق عليها لأنه على كل حال رئيس دينى ولرتبته الدينية مكانة أحرص على كرامتها .

وليس يهمنى اليوم نفاذ صبر الكاتب أو عدم نفاذه . وليس يهمنى تعريضه بشخصى أو بأشخاص زملائى فقد يكون له عذره . ولكن الذى يهمنى أن أصرح به هو أننى لا أؤيد مرشحا بذاته ولا أحارب مرشحا بذاته . وإنما أدافع عن مبدأ أعتقد أنه المبدأ الصحيح الذى تقضى به قوانين الكنيسة وتقاليدنا بل مصلحتها الحقيقية متجرداً عن كل غرض أو هوى أو مطمع . وسأدافع الى النهاية محتكماً عند الاقتضاء الى بنى قومي عن هذا المبدأ وهو أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الوطنية هى كنيسة تقليدية أعتقد أنها لم تعش الى اليوم ولم تقوى على الصمود لأحداث الدهر الا لفرط محافظتها على تقاليدنا . فإذا فاز المبدأ الذى أدافع عنه كنت سعيداً . وإذا قدر له الفشل شعرت باننى أديت واجبى وأرضيت ضميرى وأبرأت ذمتى . وتمنيت لمن يصل الى الكرسي كل خير وتوفيق .

أما قول الكاتب إننى أخالف اللائحة فجوابى عليه أن له رأيه ولى رأيه الذى لا أعجز عن الدفاع عنه وسأبسطه للرأى العام القبطى متى آن الأوان . ويكفى أن أذكر هنا أن اللائحة ليست هى التى أنشأت قوانين الكنيسة وتقاليدنا أو ابتدعت فيها ، ولا يخطر فى البال أنها أرادت أو كان فى إمكان واضعها تعديل تلك التقاليد أو تغييرها أو إحداث حدث جديد فيها . ولكن اللائحة هى التى استمدت الشرط الدينى وهو شرط الرهبنة من التقاليد والقوانين الكنسية

وحدها . فهذا الشرط لا يمكن إذن تفسيره إلا بالرجوع الى قوانين الكنيسة وتقاليدها وتاريخها الطويل . ومعناه اليوم لا يمكن أن يتغير عن معناه الماضى ولم تكسبه اللائحة وما كان فى الإمكان أن تكسبه معنى لم يكن له من قبل بمقتضى قوانين الكنيسة وقرارات مجامعها الصحيحة .

حبيب المصرى

٤٦ - ووسط زحمة الدعايات وتضارب الآراء أرسل يسى عبد المسيح خطاباً الى مناصرى الرهبان يؤيدهم ، قال فيه :

إن القاعدة الثابتة التى تسلمتها الكنيسة المصرية من عصر الرسل وتسير عليها للآن وهى قصر انتخاب البطاركة على الرهبان والقسوس فقط دون الأساقفة ولا شك فى ان حضرتكم توافقونى على صحة هذه القاعدة للأسباب الآتية :-

١ - إن البطريركية هى بذاتها الأسقفية التى هى أرقى درجات الكهنوت الثلاث ، وكان الرسل يلقبون بأساقفة يؤيد ذلك ما ورد عن يهوذا الاسخريوطى فى أعمال الرسل ص ١ : ٢٠ ورياسته يأخذها آخر والترجمة اليونانية والقبطية METTETTICKOTIDS أى بمعنى أسقفية . وقد سمى بطرس الرسول فى رسالته الأولى ص ٢ : ٢٥ السيد المسيح أسقفاً بقوله « ولكنكم رجعتم الآن الى راعى نفوسكم وأسقفها ETTICKOTTOS فتكون إذن لفظة بطريرك ومطران وجاثليق واكسرخوس وغيرها وظائف إدارية حدثت فى الكنيسة بعد العصر الأول المسيحى لنظام الكنيسة وترتيبها ، ولا تخرج عن معنى الأسقفية . فان ترقية أسقف الى بطريرك معناه نقل أسقف الى ابروشية ليست له . وهذا مخالف للتقاليد والقواعد التى ثبتتها المجامع المسكونية والمكانية توكيداً للقوانين الرسولية .

٢ - إن كتب تكريس البطاركة والأساقفة فى الكنيسة المصرية ينص على أن يكون المرشح فقط قساً ، وإن لم يكن قساً فليكرسه أكبر الأساقفة شماساً ثم قساً ثم يكرس بطريركاً . (مقدمة انتخاب البطريرك من النسخة الخطية الموجودة بالمتحف . أما فى كتاب تكريسات درجات الكهنوت فى الكنيسة اليونانية فلا توجد الا تكريس أسقف (أو رئيس أساقفة) .

٣ - من التقاليد التى سارت عليها الكنيسة وهى انتخاب البطاركة ال ١١٢ نرى أنه ليس بينهم مطران واحد . ولا شك فى أنكم توافقونى على أن كرسى مارمرقس دون كل الكراسى الرسولية اختص بميزتين .

أ - انتخاب بطاركته من القسوس ب - من المتبتلين .

٤ - هناك حروم من بعض بطاركة الكنيسة المصرية على من يتعدى على هذا الكرسى من المطارنة ، ويعللون ذلك بان الأسقف الذى ينقل للبطريركية أو ينقل الى أسقفية أخرى

يعتبر كمن تعدى على زوجة أخيه . فان فى القوانين التى تعتبرها الكنيسة ان الاسقف تزوج الابروشية ولا يجب أن يطلقها حتى الممات وربما وقد يكون هذا التعليل ناشئاً من واقعة « تجليس الأسقف الجديد متى وصل الى كرسيه » فانه حسب ما ورد فى الكتب الخطية يقابله الشعب والأساقفة و يزفونه فى وسط المدينة و يسلمون له مفتاح الكنيسة ليكون هو رأسها ومديرها (راجع الطوخى) .

٥- جراسيموس مسرة المطران الرومى فى كتابه الانشقاق أوضح أن ترقية رؤساء الكنيسة الى رتبة البطريرك غير قانونية .

٦- ليس فى كنيستنا كتب تكريسات لترقية الأسقف الى البطريركية ، ففى حالة كسر القانون سالف الذكر نضطر أن ننشئ صلوات وطلبات تتلى على الأسقف الذى يرقى الى البطريركية وهذا غير جائز أصلاً . وإن كانت بعض الكنائس أجازته فقد كانت هذه الإجازة مبينة على قرارات مجمع يرأسه بطريرك قانونى (١) .

وقد أيد يسى عبد المسيح كل الحرصين على تقاليد كنيستنا العريقة ، كما يتضح من التصريح التالى :

كنيستنا التى فى التاريخ - لتتقدس تقاليدك وليأت زمان افتقارك . لينجك الرب من البدع والمجددين . آمين .

حبيب جورجى

إنه فى اختيار الرئيس الأعلى للكنيسة القبطية الارثوذكسية من بين رهبانها أو من بين أفراد شعبها لأعلى مثل من أمثلة الديمقراطية الدينية ولأرفع مظهر من مظاهر الحرية الروحية وهو سر من اسرار جلال هذه الكنيسة عرفه القبط شعبا وكهنوتا فأبقوا عليه طوال الأجيال الفاتنة ولعله أحد أسرار بقائها كنيسة حية مجاهدة .

فليس العلم ولا المركز أو الجاه شرطاً يجب أن يتسلح به الرجل الذى تطلبه الكنيسة للكفاح مع الله (كما يقول الكتاب) وليس مع البشر لطلب المعونة واستنزال الغوث والبركة على الشعب .

حبيب جورجى

٤٧- وفى مساء الاثنين ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، دعا الشباب الجامعى حبيب المصرى الى إلقاء خطاب عن الانتخابات الباباوية ، فألقاها فى ناديهم بشبرا . وقد استغرق إلقاءه

(١) تعليق يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٣ .

الخطاب ثلاث ساعات متوالية . وكان قد اقترح على الشباب أن يلقيه على دفعتين ولكنهم صمموا على سماعه بأكمله دفعة واحدة . بل لقد بلغ بهم الحماس حداً جعلهم يلقون عليه الكثير من الأسئلة بعد انتهاء الخطاب - ولكن للأسف لم يكونوا ضمن الناخبين ! ... وهذا بعض ما جاء في حديثه :

أعلم حق العلم أن المسألة التي أتكلم فيها اليوم قد أصبحت مع الأسف مسألة شائكة . على أنها لم تكن كذلك في سابق الزمن . إذ لم يكن هناك رأيان مختلفان في الشروط الدينية الواجب توافرها في الترشيح للكرسى البطريركي .

وأعلم حق العلم أن الآراء مختلفة فيها . فالبعض يرون انه يجب حتماً أن يكون المرشح راهباً له بعض رتب المذبح - أي لغاية رتبة قس - في حين يرى البعض الآخر أنه يجب أو يجوز أن يكون مطراناً . ولم يكن لهذا الاختلاف وجود في سابق الزمن . فقد كان الأقباط جميعاً ، في هذه الكنيسة التقليدية المجيدة ، لا يشذ منهم فرد واحد ، على أجماع بأن المرشح يجب أن يكون راهباً لا مطراناً . ولكن ظروفاً وملاسات عديدة عملت عملها وأثرت في بعض الرأي العام فوجهته اتجاهاً آخر وهو تحميم أو جواز ترشيح حضرات الآباء المطارنة .

فوجب أذن أن يبسط كل من الفريقين رأيه للشعب . ووجب أن يقول أنصار ترشيح الرهبان لماذا يصرون على رأيهم ، وما هي أدلتهم وأسانيدهم وحججهم . وأن يقول أنصار ترشيح المطارنة كذلك لماذا يرون العدول عن التقليد القديم وما هي أدلتهم وأسانيدهم وحججهم .

وها أنا ذا أفتح هذا البحث فأبسط نظرية أصحاب الرأي القائل بوجوب حصر الترشيح في الرهبان . أبسطه بسطاً هادئاً بعيداً عن كل هوى وأنفعال . أبسطه ، لا بصفتي وكيلا للمجلس الملي العام ، ولا بصفتي عضواً فيه ، بل بصفتي قبطياً من أراخنة الأقباط أشتغل بالشؤون القبطية العامة ، زمناً طويلاً بل عنى بها منذ صباه . وسأعرض في كلمتي هذه لكل المسائل التي يدور فيها الجدل بين الأقباط في هذا الشأن الخطير وأبدى فيها رأبي بتلك الصراحة التامة التي لا ينكرها على حتى أشد خصومي في الرأي . وأستعرضها أولاً من الناحية القانونية . ثم أستعرضها من ناحية المصلحة العامة والآثار العملية .

وسأعمل جهدي أن أرتفع بهذا البحث إلى المستوى العالى الذى يليق به .

لم أجيء الى هنا لكي أرضى أحداً ، ولا لكي أؤيد أحداً .

ولم أجيء إلى هنا لكي أغضب أحداً ، ولا لكي أحارب أحداً .

أنما جئت هنا لكي أؤدى واجباً فى عنقى نحو هذا الشعب الذى أحببته . وسعدت بحبه .

وكثيراً ما شقوت به كذلك ، نحو الكنيسة ، هذه الأم الرؤوم التي ولدت في أحضانها وسأمت
في أحضانها ، نحو عشرين قرناً من الزمان نادى الأقباط في سداجتهم الحكيمة . في سداجتهم
المقدسة . في أيمانهم القوى .

بما أنادى به اليوم .

على أننى من فوق هذا المنبر أوجه هذه الكلمة لا إلى الحاضرين فقط بل إلى الغائبين
أيضاً .

أوجهها أولاً وقبل كل شيء إلى حضرات آباء المحترمين الأقباط الأجلاء أصحاب
النيافة القائمقام البطريركى والمطارنة . أننا نختلف معهم أحياناً فى الرأى . ولكن مصلحة
الكنيسة تجمعنا . ورابطة الأبوة والبنوة تربطنا . أنهم يستعدون علينا الحكومة أحياناً و يستعينون
بها و يطلبون تدخلها إذا وقع بيننا وبينهم خلاف . مع أن الحكومة ليس لها تفصل إلا فيما يقع بيننا
من الخلافات فى المسائل الادارية والنظامية أو المسائل التى يحتاج الى تنفيذها إلى تدخل
السلطات العامة . أما الخلافات الدينية . أما الخلافات العقائدية . فنحن الذين نحسمها فيما بيننا .
ولا يمكن لأى قرار يصدر من أية سلطة حكومية أن يجعلنا نتحول عن رأى دينى يتصل بعقائدنا
و ضمائرنا . على أننا من جانبنا لن نستعدى عليهم أية سلطة ولم نحتكم فى أى خلاف بيننا وبينهم
إلا إليهم . فهم أبائنا الذين ربينا على احترامهم وأجلهم . ولن نلجأ إلا إلى ضمائرهم . وإلى
المذبح المقدس الذى يقدمون عليه القرايين والذى يقدمون عليه صلوات التسبيح والمحبة والغفران .
وإلى الشعب الذى وجدوا لخدمته والذى هو الرقيب عليهم فى كل تصرفاتهم . فهم مسئولون أمام
الله . ولكنهم مسئولون أمام الشعب كذلك .

وأوجه هذه الكلمة الى اخوانى أعضاء المجلس الملى العام . وإلى الناخبين فان فى
أعناقهم مسئولية خطيرة . بل أوجهها الى جميع أفراد الشعب القبطى . ناخبين وغير ناخبين . شيباً
وشباباً . رجالاً ونساء .

الى انصارى فى الرأى ، . وإلى خصومى فى الرأى على السواء ، بل الى خصومى قبل
انصارى أقدمها لهم بروح المحبة والاخلاص والوفاء . أقدمها لهم ، بل إلى ضمائرهم وأرواحهم
طالباً اليهم أن يتأملوها بامعان وهودة وفى غير هوى ولا أنفعال . لأن الهوى والحكم السليم لا
يتفقان - فان لم يجدوا فيها كل ما يطلبونه او كل ما يتفق ورأيهم فلعلهم واجدون فيها بعض
حقائق من الخير أن يتعرفوها وأن يتأملوها وانى لعلى ثقة من أنهم جميعاً سيرتفعون بالنظر فى هذا
الشأن الخطير الى مستوى أيمانهم وإلى مستوى حبهم لكنيستهم وإلى مستوى وفائهم لتاريخهم وأنهم
لن يستلهموا فى هذا الا وحى ضمائرهم السليمة .

٢- المسائل التي ينبغي مواجهتها .

والذى اثار المشكلة ان المادة الثانية من لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك المعتمدة بمقتضى الامر الكرم رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣ قد نصت على أنه يشترط فى من يلى الكرسي البطريركى « أن يكون من طغمة الرهبنة المتبتلين الذين لم يسبق لهم زواج ، وان تتوافر فيه جميع الشروط المقررة فى القوانين والقواعد والتقاليد الكنسية » ولم تحدد بصريح النص ما هو المقصود بعبارة طغمة الرهبنة المتبتلين « فما هو المقصود بهذه العبارة ؟ وهل يدخل حضرات الآباء المطارنة ضمن طغمة الرهبنة المتبتلين فيما يتعلق بجواز الترشيح للكرسى البطريركى طبقاً لقوانين الكنيسة القبطية الارثوذكسية وقواعدها وتقاليدها ، أم انه لا يدخل فى حكم تلك العبارة الا جماعة الرهبان الذين لهم بعض مراتب المذبح دون حضرات الآباء المطارنة » .

وفى حالة الخلاف على تفسير ذلك النص - كما هو حادث الآن - ما هى المصادر التى يجب أن نرجع اليها للوصول الى التفسير الصحيح ؟ وما هى الهيئات أو السلطات التى تتولى هذا التفسير ؟ أهى الحكومة ؟ أم هى لجنة الترشيحات أم هم الناخبين الأقباط ؟

تلك هى المسائل التى ينبغى لنا أن نواجهها فى صراحة وشجاعة لكى نحلها حلاً مطابقاً لقوانين كنيستنا ونصوصها وروحها .

٣- مصادر التفسير .

أما فيما يتعلق بالمصادر التى ينبغى الرجوع إليها لتفسير هذا الشرط فلا أظن أن اثنين يختلفان فى أن هذه المصادر هى من غير شك قوانين الكنيسة وقواعدها وتقاليدها . وانها هى وحدها التى إليها المرجع فى ذلك التفسير .

هذا الشرط شرط دينى لم تضعه الحكومة من عندياتها . فهى حكومة اسلامية لا تعرف الرهبنة ولا شأن لها بنظام الرهبنة . إذ أن نظام الرهبنة نظام مسيحي بحت مقرر لدى الكنائس التقليدية وحدها . فلم يكن للحكومة إذن أن تضعه أو أن تتولى تفسيره وتعيين حدوده . وانما الذى وضعه فى مشروع اللائحة المجمع المقدس والمجلس الملى وقدموا المشروع الى الحكومة فكانت مهمتها مقصورة على مجرد اعتماده .

ومن الجهة الأخرى فان الشرط المذكور لم تبتدعه اللائحة ابتداءً ولم تستحدثه استحداثاً . وانما أخذته عن قوانين الكنيسة وتقاليدها . ولولم يكن مقررراً فى تلك القوانين لما جاز لواضعى اللائحة أن يقرروه من تلقاء ذواتهم أو أن يفرضوه بمحض سلطانهم . ونظن أن الأمر هنا من الواضح بحيث لا يحتمل المناقشة .

وما دام الشرط المذكور « دينياً » . وما دام أن اللائحة لم تعمل أكثر من أنها أخذته عن قوانين الكنيسة وقواعدها وتقاليدها فهي لم تأخذه إلا بمعانيه وحدوده المقررة في تلك القوانين . فلا مناص إذن عند الاختلاف من الرجوع إلى ذلك المصدر الذي أخذ الشرط عنه . فإن كان المطران يدخل بموجب القوانين والتقاليد المذكورة ضمن من يجوز انتخابهم للكرسى للبطريركى على اعتبار أنه راهب وعلى اعتبار أن كلمة راهب هنا تفيد التعميم لا التخصيص فلا توجد قوة تستطيع تحريم ترشيحه . وإن كان المطران لا يدخل بمقتضى القوانين والقواعد والتقاليد الكنسية في عداد من يجوز انتخابهم ، فإن اللائحة - ووظيفتها مجرد تسجيل الحق المقرر في قوانين الكنيسة دون تغيير أو تبديل - لا تكسبه وما كان في الإمكان أن تكسبه حقاً لا تقره تلك القوانين .

وقد اختتم هذا الخطاب التاريخى التفصيلى كما يأتى :

ولكنى كقبطى انحدر من قبطى أباً عن جد . ولم يدخل فى دمي جنس غريب ولا مذهب غريب أطالت بنصيبى المتواضع فى الاعراب عن رأى والدفاع عن عقيدتى . بل أطالب بحقى فى الألم والعذاب واحتمال الأذى دفاعاً عن رأى وعقيدتى وكنيستى .

لا أغضب على أحد . ولا أحقد على أحد . وثقوا أن هذا ليس مجرد كلام يقال . ولكنى أمد يدي إلى الجميع فى صفاء . وأصرح لهم برأى فى غير خفاء . واحتمل قسوتهم أحياناً ، وظلمهم أحياناً كما أرجوهم أن يحتملوا قسوتى أحياناً وظلمى أحياناً . وكل أمنيتى أن أنفذ إلى مكان الاقناع من نفوسكم ونفوسهم .

وقف بولس فى القيود أمام اغريباس يدافع عن نفسه وعن ايمانه فقال اغريباس لبولس بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً . فقال بولس كنت أصلى إلى الله أنه بقليل أو بكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعونى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود (أعمال ٢٦ : ٢٨ - ٢٩)

لست الرسول بولس . ولست منه قلامه ظفر ولكننا نحن المسيحيين من حقنا بل من واجبنا أن نقلد معلمينا وأن نحتديهم . وأنا أصرخ كما صرخ بولس إننى أصلى إلى الله أنه بقليل أو بكثير تقنعون بما أنا مقتنع به وتدافعون عن العقيدة التى أدافع عنها . وتصيرون كما أنا ما خلا ما يوجه إلى من حملات ومطاعن . بل أستمحكم العذر وأرجو صفحكم . وإنى أبتهل لكم إلى الله أن يسعدكم بأن تحتملوا فى سبيل الدفاع عن عقيدتكم ورأيكم ما احتمله وفوق ما احتمله من حملات ومطاعن وآلام .

أوجه إلى الله تعالى العلى القدير هذا الابتهال الذى يوجهه إليه الذى يجاهد لأجل وطنه : اللهم لا تحمنى من عنائى وعذابى . ولا ترفع عنى همومى فى سبيل قومى وشقائى . ولا

تحرمنى قوة الكفاح والنضال فى سبيل عقيدتى . واجعل آخر ما أفكر فيه قبل انتقالى الى مرقد المنتصرين فكرة نبيلة نزهة لأجل مجدك ومجد شعبك .

لى صديق كريم كله غيرة وكله روحانية يصلى صلاته كل يوم . وبعد أن يصلى الصلاة الربانية ، يصلى صلاة أخرى خاصة بسيطة ساذجة لا يمكن ألا تصل إلى العلى فى سمائه : كنيسةنا التى فى التاريخ وللتاريخ . لتتقدس تقاليدك وليأت زمان افتقادك . لينجك الرب من البدع والمجددين وها أنا الآن أصليها مثله (١) .

وهذا الذى تسجل إن هو إلا جزء مما حدث بالفعل ، وهو يعطينا صورة عن اشتعال الانفعالات والحماس وفورانها آنذاك حول هذا الموضوع الحيوى .

٤٨ - وظلت الجهود مبذولة بلا هوادة الى يوم الجمعة ٤ فبراير الذى كان محدداً للانتخابات . وبدأ الناخبون يتقاطرون على مركز الانتخابات بالدار الباباوية من التاسعة صباحاً . وفى التاسعة مساءً تمت عملية فرز الاصوات ، فإذا بالأغلبية قد أعطت صوتها للأنبا مكارىوس . وعندها دقت أجراس الكاتدرائية المرقسية إعلاناً بفوزه . وقد أقيمت حفلة تنصيبه صباح الأحد ١٣ منه فأصبح البابا الاسكندرى الـ ١١٤ (٢) .

المجلس الملى العام للاقباط الأرثوذكس

رقم القيد ١٩٩٥

تذكرة انتخاب

اسم الناخب : حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا

عنوانه : ١١ شارع رمسيس بمصر الجديدة

حضر يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٤

(١) طبع هذا الخطاب مرتين إذ قد نفذت الطبعة الأولى مما جعل أولاد حبيب المصرى بطبعونه للمرة الثانية فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ ، راجع أيضا كتاب « مكارىوس الثالث نشرته لجنة تلاميذ المسيح بمدارس الأحد بكنيسة مارمينا » بشبرا (فرع الجمعة) ص ٣٥-٣٨ حيث يقولون على الصفحة الأخيرة ما يلى : « ... وبالرغم من أن الشعب كان يؤيد قوانين الكنيسة إلا أن شخصية الأنبا مكارىوس التقى المحبوب كانت على ما يعتقد سبباً فى أن هذه الهيئات نسيت القوانين المقدسة ... » وهنا نقطة للتمعن وهى أن العاطفة لدينا - نحن المصريين - كثيراً ما تطفئ على الفكر . ولولا هذا الفيضان العاطفى لما تناسى المسئولون والناخبون القوانين الكنسية . والواقع أن الذى حدث أيام البابا مكارىوس تكرر ، وتكراره تسبب فى التعب للكنيسة فإذا كان ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ينبغى بالتالى التمسك بالمبادئ فوق الأشخاص .

(٢) لا داعى للقول بأننى عشت هذه الأحداث شخصياً ، بل عشتها فى أعماقها - فعرفت غالبية الذين جازوها واشتركوا فيها - لذلك لا حاجة لى الى الاستناد الى مرجع وإنما أتقدم بالأسانيد التى لدى .

الناخب مدعوا لانتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس بالدار البطريركية بمصر فى يوم الجمعة ٢٦ طوبة ١٦٦٠ الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ من الساعة التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً .

فإذا لم يحز أحد المرشحين الأغلبية المطلقة يعاد الانتخاب فى يوم الجمعة ١٠ أمشير سنة ١٦٦٠ - ١٨ فبراير سنة ١٩٤٤ فى ذات المكان والمواعيد ،

وكيل المجلس الملى العام

هذه الدعوة تقدم عند الدخول للاقتراع

٤٩ - ... رنت صرخة الوليد- عبد المسيح - صباح الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ فى مدينة المحلة الكبرى حيث نشأ فى ظل أبوين تقيين ربياه التربية المسيحية الحققة .

وكانت المدينة التى تربى فيها مرتبطة بصفة خاصة بدير الأنبا بيشوى ، فكان يزورها راهب ، (أو أكثر) سنوياً موفداً من رئيس الدير ليتفقد الشعب ويحمل ما يقدمه الشعب من نذور وهبات . فكانت هذه الزيارات سبباً فى أن يتعرف الشاب عبد المسيح بهؤلاء الرهبان ، ومنهم امتلاً رغبة فى الحياة الرهبانية . وبالفعل نال نعمة الرهبنة فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٨ . ولأنه كان ذا موهبة فنية فقد كان يقضى معظم الوقت المخصص للعمل اليدوى فى الدير بتكوين زخارف على شكل صلبان ثم يلونها . ومازال بدير الأنبا بيشوى كتاب يضم بين دفتيه الرسومات والزخارف الجميلة التى له . كذلك كان يجيد القبطية بلهجاتها المختلفة واللغتين الفرنسية والانجليزية . ولقد ساهم فى ترجمة كتاب (الوضع الالهى) الذى كان قد كتبه كيرلس مقار غداة عودته الى الأرثوذكسية بالفرنسية . (١)

وبعد أن قضى ما يقرب من أربع سنوات فى الدير رسمه البابا يونس الـ ١٩ قساً على كنيسة الأنبا بيشوى صباح الأحد ١٨ مايو سنة ١٨٩٢ . ومذاك بدأ يسكب نفسه سكباً كلما أقام القداس الالهى .

وحينما كان البابا الوقور كيرلس الخامس منفيماً فى دير البرموس كان يعهد الى القمص عبد المسيح جرجس المسعودى بكتابة الخطابات التى كان يرسلها الى مختلف الناس . ولما كان هذا القمص شيخاً فقد رجا من البابا الوقور أن يستقدم القس عبد المسيح المحلاوى ليعاونه فيما يؤديه من كتابات . وحينما كان قداسة البابا على وشك العودة الى مقره رجا منه القمص الشيخ أن يستبقى مساعده الشاب الى جانبه ، فقبل الراعى الحنون طلبه . فلما أتاحت الفرصة للراهبين الذى يحمل كل منهما اسم « عبد المسيح » أن يتعانوا وضعوا معاً كتاباً بعنوان « ميامر البسخة المقدسة » .

(١) راجع ما جاء عنه فى حد واحد من هذا الكتاب فى الفصل المعنون « العصر الأثناسيوسى »

وبعد سنتين من العمل المثمر طالب القمص عبد الملاك الأنبا بيشوى بإعادة القس عبد المسيح المحلاوى الى ديره ليقوم بتأدية الشعائر المقدسة فيه لأن معظم الحاملين لرتبة الكهنوت فى ذلك الدير أصبحوا شيوخاً . فزوده القمص عبد المسيح المسعودى ببركته الأبوية قبل عودته . غير أن خدمته هناك لم تدم إلا أياماً معدودات . لأن راهباً شيخاً وصل الى الدير آنذاك وكان يضربه ويتحرش به ! وما إن سمع القمص المسعودى بذلك حتى كتب رسالة ضافية الى البابا الوقور وصف له فيها كل ما حدث . ولما كان الأنبا كيرلس يحنوا حنواً كبيراً على أبنائه الرهبان ، فقد أرسل على الفور الى دير الأنبا بيشوى يستدعى الراهب المعذب ، ثم عينه سكرتيراً له . وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٩٧ رسمه قسماً .

وفى تلك الفترة كانت أسيوط ترزح تحت تجبر أدعياء التبشير حتى أن بعض من انحازوا إليهم خربوا كنيسة الشهيد أبادير . وبما أن قنصلى انجلترا وأمرىكا توسطوا لدى الخديوى اسماعيل ليعفوا عن المخربين فسمع لهم لم يستطع الأنبا ميخائيل أن يوقف تيار الأذى الذى أصاب القبط نتيجة لمساندة السلطات العالمية للعابثين . فلما تنيح الأسقف الشيخ ترك شعباً فى ميسس الحاجة الى من يجبر صدعه ويثبت قلبه على العقيدة الأرثوذكسية . فذهب وفد من الأسيوطيين المحبين لكنيستهم يرأسه الأرخن ميخائيل مقار الملاح لرجاء البابا الوقور أن يرسم لهم رجلاً متضلعا فى العلوم الكنسية ذا حكمة وتبصر ليعيد التوازن الى الشعب المضطرب . فقدم لهم سكرتيره . وبعد التداول فى الموضوع ارتاح الأراخنة الى هذا الشاب الحاصل على ثقة باباه ، فجمعوا له التزكية المطلوبة . ومن ثم رسمه الأنبا كيرلس صباح الأحد ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧ باسم الأنبا مكارى يوس ، مع أن سنه آنذاك كان خمساً وعشرين سنة ، ولكنه كان شبيهاً بالأنبا مكارى الكبير الذى قيل عنه « الشاب الشيخ » (١) . ومن نعمة الله أن البابا الوقور رسم صباح اليوم عينه القمص حنا الإسناوى (رئيس دير السريان) أسقفاً على النوبة والخرطوم باسم الأنبا سرايامون (٢) .

ولقد خرج الأسيوطيون الأرثوذكس لاستقبال مطرانهم الجديد بفرح وتهليل . ثم ذهب لتهنئته بعض وجهاء البروتستانت لعلهم يستطيعون استشفاف نوايا هذا الراعى الجديد . فذهلوا إذ رأوا وجهاً ملائكياً يسطع منه النور الإلهى .

وبدأ الأنبا مكارى يوس عمله فى هدوء واتزان إذ قد استهل حبريته بافتتاح مدرستين : إحداهما للبنين وثانيتهما للبنات واختار للمدرستين نخبة ممتازة من الموثوق فى عقيدتهم الأرثوذكسية ليعلموا فيها ثم انشغل بفتح المدارس فى مختلف البلاد التابعة لإيبارشيته . واستكمالاً

(١) راجع ما جاء عنه فى ف ٤٥ من ج ٥ لهذا الكتاب

(٢) انظر ف ١٠٦ من الكتاب عن البابا الوقور كيرلس الخامس .

للعمل التربوي عين الأرثوذكسي الغيور اسكندر بك حنا واعظا في الكنيسة المطرانية ، ورسمه أرشيدياكون ومنحه حق الوعظ في مختلف الكنائس — لا في إيبارشيتة فقط — كلما أتته دعوة من أية جهة ، وذلك ليرسخ عقيدة الآباء في قلوب الأبناء .

ولقد كان المطران الجليل على جانب كبير من الزهد والتقشف ، بل لقد بلغ به الزهد حداً جعله يحتاج في الكثير من الأيام الى المال الذي يشتري به القوت الضروري ! لأنه كان يوزع ما يأتيه من التقدّمات على إنشاء المدارس والكنائس وعلى الفقراء — وبصفة خاصة على المستورين . فكان حينما يجد نفسه خالي الوفاض — يرسل تلميذه الى أحد أبنائه ليقول له : « إن أبانا المطران يطلب اليك اليوم أن تغديه » . وبالطبع كان الشخص المختار لهذا الطلب يسارع الى تلبّيته وهو مهتلل .

ولعمق روحانيته كان خلال الصوم الأربعيني يقيم القداس الالهى يومياً (ماعدا يوم السبت طبعاً) . وبعد الانتهاء من الصلوات يكتفى بأكل قربانة مع قليل من « الدقة » . أما صوم يونان فكان ينقطع عن الأكل خلال الأيام الثلاثة مكتفياً بالطعام السماوى الذى يأخذه بتناول الأسرار المقدسة وحين كان يقف للصلاة كانت ترتفع روحه نحو العرش السماوى فترن نغمات الشعائر زينياً هادئاً عذبا ينفذ الى مكان النفوس ، وتنساب دموعه على خديه لتختفى بين شعيرات لحيته التى تحيط بوجهه الملائكى النورانى . ولتعمقه فى الصلوات الكنسية كان يصلى دائماً القداس المرقسى — الكيرلسى ، وهو القداس المصرى الصميم .

وكان المقر الأسقفى شقة مشيدة فوق سطح كنيسة الشهيد أبادير التى خررها المنشقون . فلما آلت الرعاية الى الأنبا مكارىوس اشترى قطعة أرض فسيحة فى الشمال الغربى من المدينة بنى فى وسطها كاتدرائية فخمة باسم الكاروز الحبيب مارمرقس . والى جوراها شيد مقراً أسقفياً من طابقين عن يسار الداخل الى الكتدرائية . ومقابل هذا المقر ، وعن يمين الداخل — شيد مجموعة من الغرف لضيفاة الكثير من الزائرين الذين كانوا يفدون عليه باستمرار من مختلف جهات الإيبارشية (أو من غيرها) : كهنة وعلمانيين .

وبينما كان العمال يبنون منارة الكاتدرائية صعد ذات يوم على السقالات ليتفقدهم فى عملهم . ولشدة اهتمامه بمراقبة العمل انزلت قدمه من على السقالة فهوى من فوق . وحينما كان يهوى صرخ : « تلقانى يا يسوع » ، فنزل واقفاً على قدميه دون أن يصاب بأى أذى .

وخلال زيارته الراعوية كان يبنى الكنائس لمن هم فى حاجة اليها ، ويرمم الكنائس المتداعية . وبالطبع رمم كنيسة الشهيد أبادير وأعاد اليها رواءها الأول .

ولقد ظل ولعه بالفن وبالكتب ينمو على مدى السنوات . فأنشأ مكتبة ألحقها بالدار

الأسقفية تحتوي على أكثر من سبعة آلاف مجلد ، من بينها أربعمائة بخط يده .

وقد قضى في رعاية شعبه سبعاً وأربعين سنة لم يدخر خلالها قرشاً واحداً . فهو الى جانب المشروعات الروحية والتربوية ، والى جانب عنايته بالمعوزين - كان شديد العطف على كل من يحيطون به من كهنة وعلمانيين فينتهز كل مناسبة ليوزع عليهم الهدايا .

وبعد هذه الخدمات الوفيرة ، ترك مطرانيته ليتولى الباباوية . وبما أن صلوات التنصيب (١) أقيمت في ١٣ فبراير ، وبما أنه ولد في ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ ، فقد كان عمره يوم أن انتظم في سلسلة الخلفاء المرقسين إحدى وسبعين سنة تنقصها خمسة أيام . ولقد توقع الجميع أن يكون عهده نهضة عامة في شتى المجالات .

٥٠ - وفي يوم الأحد ٦ فبراير - أى قبل صلوات التنصيب بأسبوع وصل الى حبيب المصرى خطاب من ابنه أمين الذى كان يعمل طبيباً فى الاسكندرية ، قال فيه :

الاسكندرية يوم الأحد ٦ فبراير سنة ١٩٤٣ .

أحبائى

كيف حالكم جميعاً؟ لعلكم بخير وعافية ولعلكم استرحتم من دوشة الاسبوعين الأخيرين بعد أن قضى الأمر وجلس على كرسى مارمرقس الرسول أحد المطارنة المحترمين مخالفاً بذلك تعاليم من سبقوا وناقضاً لتقاليد كنيستنا القديمة وإن دل هذا على شىء فانما يدل على انحلال الشعب القبطى وتفكك روح التضامن بين افراده وطغيان عوامل الاغراض والغيرة والطمع عليه وسريان جرائم الضعف فى دمه . ولكنه أمر الله فى كنيستنا وقد تخفى علينا حكمته .

وانى لأهنىء سعادة الباشا على موقفه المشرف العظيم فقد كان فى تلك المعركة « المائعة » شجاعاً باسلاً حتى نهايتها لم يفل من بأسه كثرة الخصوم ولم يضعف من عزيمته خزلان

(١) نعود فنكرر أن المطران (أو الأسقف) لا توضع عليه يد ولا تقام له شعائر رسامة ، لأنه نال كرامة الأسقفية التى هى نفس الكرامة الباباوية - إذ أن البابا هو أسقف العاصمة ، وكانت الكنيسة الأولى تعتبره الأخ الأكبر بين الأساقفة . والدليل على ذلك أنه الآن يخاطب أياً منهم بقوله « أخى وشريكى فى الخدمة الرسولية » . ومن الموجه أن الاندفاع العاطفى جعل المسئولين عن تنظيم حفلة التنصيب يقولون إنها رسامة « لتتويج » الأنبا مكاريوس . فكيف يمكن القول على « تلميذ » السيد المسيح الذى سيحمل عصا الرعاية ومسئوليتها بأنه « سيتوج » ؟ أنظر كتاب « مكاريوس الثالث » . المذكور سابقاً ص ٤١

الانصار (١) ولم تقو جميع الاسلحة الغير شريفة على زعزعة ثقة بقضيته فخرج من المعركة شريفاً نظيفاً رافع الرأس مرتاح الضمير وقد أدى رسالة ووفى الدين الذى فى عنقه ولن يضيع مجهوده سدئى .

بقى لى رجاء أخير وهو ان لا يترك ميدان المعركة الآن فلا تزال أمامه موقعة صغيرة اذ يجب عليه بعد أن يهدأ الأمر أن يطلب من البطريرك الجديد أن يصدر قراراً من مجمه يحرم فيه جواز ترشيح المطارنة حتى لا تتكرر المأساة ويمكن تعليل ذلك بأن ظروف الانتخاب هذه المرة لم تكن طبيعية أو بأية علة أخرى . فإن نجح هذا المسعى فقد أدى لكنيسته أعظم خدمة ، وإن لم يكمل الله هذا المسعى بالتوفيق فقد أدى واجبه وأبرأ ذمته وترك الحكم على موقفه للأجيال القادمة .. (٢) ..

٥١- وما إن انتهت فرحة التنصيب وتقديم التهانى والتطلع نحو عهد من الهدوء والاستقرار حتى اكفهر الجو مباشرة . ذلك لأن الذين كانوا أنصار حبيب المصرى ثم خذلوه بخروجهم عن المبدأ الذى كانوا قد أجمعوا عليه ، انما انضموا الى خصومه لا لغرض سوى الوصول الى الزعامة ! لأنهم - حينما نجحوا فى الوصول بالأنبا مكارىوس الى السدة المرقسية - بدأوا يروجون لفكرة كلها خطيرة على الكنيسة : مؤداها أن الأشخاص الوحيدى الذين لهم الحق فى عضوية المجلس الملى العام هم الذين أيدوا الفائز بالباباوية ! وحجتهم فى هذا أنهم ناصروه فهم أنصاره وبالتالى هم وحدهم الذين يستطيعون التفاهم معه ! وتنفيذاً لهذه الفكرة أرسلوا واحداً منهم - هو حسنى جورجى المحامى - الى حبيب المصرى ليستعرض معه هذا الموضوع بشىء من لباقتة المعروفة . ولكنه ما كاد يبدأ الحديث حتى أوضح له وكيل المجلس الملى حقيقتين : الأولى أن ما ينادى به معناه إيجاد ثغرة داخل الكنيسة والحقيقة الثانية هى أنه قد سبق أن قدم استقالته من المجلس ولكن المجلس رفضها . فهو ليس بالرجل المصرى على الاحتفاظ بعضويته لأنه يستطيع خدمة كنيسته أينما كان .

وفى الجلسة الأولى للمجلس التى انعقدت مساء الثلاثاء ١٥ فبراير تحت رئاسة البابا مكارىوس قدم الجميع تهنئتهم إليه بعد أن صلى ومنحهم بركته . ثم ناشدهم على العمل بتفاهم ووئام وانسحب من الجلسة . فتبعوه الى مقرر ياسته ، وألقى حبيب المصرى كلمة بين يدي قداسته عبر فيها عما يخالج النفوس من آمال تحت رعايته . ثم سلم الجميع على باباهم وعادوا الى قاعة الجلسات .

(١) ذلك أن أعضاء المجلس الملى كانوا قد أجمعوا فى بداية الأمر على وجوب حصر الترشيح فى الرهبان ، ثم انشق بعدها

النياوى ومشايخه .

(٢) سيرى القارىء متى تتبع أحداث هذه الفترة لماذا لم يستطع حبيب المصرى أن يحقق الاقتراح الذى قدمه إليه انه فى

خطابه .

... وساد الصمت بضع دقائق قال بعدها أحدهم : « لنبدأ أعمالنا » . قال حبيب المصرى : « كلا . لماذا نبدأ فى جو من التوتر ؟ يجب أن نكون صريحين مع بعضنا البعض . أنا أعرف أنكم تريدون منى التخلي عن وكالة المجلس . فأريد أن أعرف تماما ما هى الاتهامات التى توجهونها الى » فقام المنيأوى وقال : « لقد سبق أن تحدثنا فيما بيننا عمن يصلح فى الوقت الحاضر لأن يكون بطريركا واتفقنا على أنه الأنبا مكار يوس ولم يشذ عن هذا الأتفاق غيرك . ومادام أن الفائز بالباباوية هو من أيدناه تحتم أن يحيط به مناصروه ليعاونوه على تنفيذ برنامج الإصلاحى . فوجب على حبيب المصرى أن يستقيل لأنه لم يكن من مناصريه » . وهنا اقترح حسنى جورجى أن تكون الاستقالة من وكالة المجلس لا من عضويته . لأنه لا يمكن للمجلس ولا للقبط الاستغناء عن خدمات حبيب باشا المصرى . ولكنه أصر على الاستقالة وقال : « اسمعونى وافهمونى جيداً . لقد كانت أعمالى واضحة جهاداً . فما عرفت يوماً الرياء ولا المواربة . لقد ناديت من الساعة الأولى بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان طبقاً للتقاليد . وما كنت لأخفى رأى هذا ، ولا حاولت طعن أحد من خلف . وأريد أن أعرف إن كان ممكناً لشخص مصلح مجاهد منتج جبار العقل ان يصبح بين ليلة او ضحاها غير مصلح وغير مجاهد وغير منتج ، لا لشيء إلا لأنه أعطى صوته لغير الأنبا مكار يوس . إذن قياساً على هذا فعندنا إلف ومائتان وواحد وتسعون مصلحاً فى الطائفة ! أنا لا أعرف سوى الخصومة الشريفة : خصومة المبادئ . فأنتم زملائى وإخوانى أما الآن وقد أبيتم إلا أن تخلطوا بين المبادئ والأشخاص فأرى من واجبى الاستقالة ... وسيكتب غداً فى تاريخ القرن العشرين أن صوتاً ارتفع ينادى بما نادى به الآباء والأجداد فى وجوب احترام تقاليد الكنيسة وانتخاب راهب للكرسى البطريركى . وستعلم الأجيال أن فى الوقت الذى تفرق فيه الأقباط شيعاً لمناصرة شخص على شخص ظل بعض الناس مخلصين للمبادئ ولتعاليم الكنيسة التى تسلمناها من العهود الأول . وإن كان المبدأ الذى دانوا به ودان به عشرون قرناً من قبلهم لم يلق نجاحاً لأن الدعايات وأساليب الترويج قد طغت على العقول ، فإنه لما يشرف الجاهدين أنهم ثبتوا على المبدأ الى النهاية . فإن فشلاً مثل هذا أجد من كل نجاح . وستظهر لنا الأيام حكمة التقاليد وبعد نظر الآباء ... » ثم انسحب ليترك لهم حرية التداول . فقبلوا الاستقالة فوراً وأعلنوا فى الوقت عينه أن الوكيل الجديد هو المنيأوى ، وفيما يلي نص الاستقالة :

حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم بطريرك الكرازة المرقسية :

ورئيس المجلس الملى العام

١ - بعد لثم . يديكم الطاهرتين وطلب بركتكم وصالح دعواتكم اتشرف بأن أرجو الى غبطتكم والى حضرات زملائى المحترمين اعضاء المجلس الملى العام التفضل بقبول استقالتي فى عضوية المجلس . إن غبطتكم يعرفون ولا شك الادوار التى مر بها الترشيح للكرسى البطريركى فى عهد تنيح سلفكم الصالح الأنبا يؤنس - بل من قبل تنيحه -

الى يوم الانتخاب الأخير حيث جلستم على عرش مارمرقس الرسول بنعمة الله وصوت الشعب . فكان بعضنا أى بعض أعضاء المجلس الملى وهم اقلية يؤيدون ترشيح نيافة الأنبا يوساب . وكانت اكثر يتنا وفي طليعتها زميلى الدكتور المنيأوى باشا وانا نؤيد الترشيح من بين الرهبان . ولكن هذه الاغلبية كانت على اجماع — بعد أن حدث خلاف فيما اذا كان يوجد راهب صالح للكرسى — على أنه فى حالة الانتخاب من بين المطارنة فغبطتكم أولى الكل بهذا الكرسى العظيم لما عرف عنكم فى تاريخكم الطويل المجيد فى التقوى وسعة التفكير وحب الاصلاح .

وانتهت المعركة الانتخابية . ونطق صوت الله القدير . والرأى عند معظم المفكرين الذين يهمهم أن يسود السلام . ولتحقيق الاصلاح المنشود . انه بمجرد ان تم مشيئة الله وتنتهى معركة الانتخاب . يجب ان يزول كل خلاف بين الاخوة . والآ يكون هناك غرماء . ومرشحون . ومؤيدون . ومعارضون . بل لا يكون فى نظرنا جميعا الا بطريرك ندين له كلنا بالولاء والاخلاص ونطلب بركته . ونلتف حوله . ونشد أزره . ونستهل الى العلى ان يمهده بروحه القدوس .

بيد أن حديثاً دار اليوم بينى وصديقى وزميلى سعادة الدكتور المنيأوى باشا فهمت منه غير هذا . فهمت منه أنه فى هذا العهد — الذى نرجو ان يكون عهد صلاح وعمل منتج — يجب ألا يحيط بالبطريرك الجديد و يعاونه الا اولئك الذين ناصروه وأوصلوه الى الكرسى حتى يتم الانسجام بين الاب البطريركى وبين معاونيه . ولم يخف عنى بصراحته المعهودة انه يكون من الاولى أن انسحب من المجلس الملى .

بل أشار الى انه اذا تقدم احد الانتخابات الملية المقبلة ولم يكن فى الكتلة التى جاهرت بتأييد ترشيح غبطتكم للكرسى البطريركى فانه وزملاؤه ينزلون الى الميدان لقتاله .

٢ — اما من جهة استقالتي من المجلس فان حضرات زملائي جميعاً يعرفون أننى من زمن طويل . وأنا أهتم بالاستقالة . لفرط ما كابدته من عناء ومتاعب . وما بلوته من أخلاق بعض الناس . وما تحملته من جهد أضناني . ولكنى أرجىء الاستقالة بناءً على إلحاح إخوانى . ولشعورى بأن الواجب يقتضى بأن أبقى فى مركزى حتى تنتهى الأنتخابات للكرسى . فلما ظهرت النتيجة وجلستم على الكرسى نويت إرجاء الأمر حتى تنتهى الدورة وهى وشيكة الانتهاء . حتى لا أبادر غبطتكم بالاستقالة . ولأننى أشفقت أن يقال أن فاتحة العهد كانت انقساماً . وأشفقت أن تؤول الاستقالة بانها امتناع عن التعاون مع غبطتكم لا سمح الله .

ولكنى بعد أن سمعت هذا الرأى من صديقى المنيأوى باشا . ولمحت شيئاً من الفتور من بعض اخوانى . كأنهم تناسوا ذلك الجهاد الطويل المشترك بيننا لمجرد خلاف فى .

الرأى انتهى امره . هو خلاف ظاهرى اكثر منه خلافاً حقيقياً . وهو على أى حال يشرفنى لانه قام على المبادئ . وعلى الصراحة . وعفة اللسان والبعد عن كل تجريح أو حقد . فاننى رأيت واجباً على نحو نفسى ان انفذ ما اعتزمت من زمن طويل . وان اتقدم الى اخوانى جميعاً طالباً التكرم بقبول استقالتي وهم كل شكرى . وكل ما رجوه الآ يخامر غبظتكم الظن ان هذه الاستقالة منشأها رغبتى فى الامتناع عن معاونتكم . فغبظتكم أدرى الناس بى وباخلاقى . فقد خلقت لكى اعطى لا لكى آخذ .

— ٣ — اما من جهة التلويح بمحاربتى او محاربة غيرى فى الانتخابات الملية المقبلة فقد كنت افضل لصديقى المياوى باشا ألا يعتمد اليه . وهو يعرف خلقى . ويعرف آفتى ويعرف اننى ما استجديت ثقة ولا سميت اليها . على اننى احب ان اطمئنه باننى فضلا عما يعرفه فى شخصى من صفات زاهد فيها فى وقت طويل كما يعلم . وعلى أية حال . فى اليوم الذى تقوم فيه الحملة الانتخابية على أساس ان هذا فى حزب البطريرك . وذلك من غير ضربه . وان هذا من مناصره وذلك من غير مناصره . فلن اكون بالذى ينزل الى مثل هذا الميدان .

واعتقادى أن هذا الذى يقول به سعادة المياوى باشا فى اشد الامور خطراً . لان الخلاف بين الاقباط فيما يتعلق بالانتخابات للكرسى البطريركى كان أمراً طبيعياً . وليس يصح ان يبقى مصدر عدااء وخصومة بينهم . ولان معنى هذا القول ان الذين ناصروا غبظتكم فى الانتخاب هم وحدهم الذين يحق لهم أن يساهموا معكم فى الاصلاح . وهم وحدهم الذين يمكن ان تنسجموا معهم و ينسجموا معكم . وان كل من عداهم ولو كانوا من أحسن الناس شخصية وانصعهم ماضياً واكثره جهاداً لا يستطيع أن يقوم بين غبظتكم وبينهم تعاون أو تفاهم او انسجام . ومعنى هذا ايضاً انه يوم تبدأ الحملة الانتخابية الملية المقبلة سيكون مدارها قسمة المرشحين الى قسمين : مناصريكم ومخاصميكم . وهو وضع من اخطر الاوضاع فى نظرى .

واننى اذ اترك مكانى فى المجلس الملى العام ورأسى مرفوعة وصحيفتى بيمينى بعد سنوات طويلة فى جهاد شاق مضني كاف نجحى الهادى فيه دائماً مصلحة هذه الأمة العزيزة اذكر الاخوان جميعاً كرم ودأدهم . واحتفظ لهم فى نفسى باجمل الذكريات . وابتهل الى الله جل شأنه ان يهب غبظتكم القوة والعافية والعمر الطويل . وان يمدكم بروحه القدوس حتى تتمكنوا فى تنفيذ برنامجكم الاصلاحى العظيم . كما أتمنى لحضرات زملائى فى المجلس أتم التوفيق فى جهودهم .

وتفضلوا بقبول عظيم الشكر وخالص الاجلال .

من ابنكم المخلص
(حبيب المصرى)

(قبلت في جمعية المجلس الملي العمومية المنعقدة يوم الثلاثاء الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤)

ورد هذا الخطاب ضمن « قصة حبيب المصري »

ومن المؤلم أن الانبا مكار يوس نفسه قبل الاستقالة فوراً هو أيضاً !

وقد أحدثت استقالته رجّة في مختلف الأوساط القبطية ذات الصلة الوثيقة بالكنيسة . فنشرت جريدة الوطنية الخبر نقلاً عن الأهرام ، وقد نشرته بعددها الصادر في يوم الخميس ٢٤ فبراير في حين أن الجريدة المنقول عنها نشرته في ١٧ فبراير . ثم عقب صاحب « الوطنية » على الخبر بقوله : « إن استقالة حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصري باشا كانت الأولى من نوعها في أسبابها ، ولذلك سننشرها عند وصولها إلينا . فقد قيل عن هذه الاستقالة إنها لعدم الاتفاق بين سعادته وحضرات أعضاء المجلس على المبدأ الخاص باختيار البطريرك من بين الرهبان أو المطارنة . لأن سعادته كان ينادى بأن البطريركية حرام على غير الرهبان الذين لم يتجاوزوا في رتبهم الكهنوتية رتبة القمص ، وثبت على رأيه إلى النهاية . وكان جل أعضاء المجلس يقولون بقوله إلى الأسبوع الأخير قبل عملية الانتخاب . ثم تحولوا عن رأيهم وقالوا بجواز انتخاب البطريرك من بين المطارنة . وقد اختاروا لها الأنبا مكار يوس فعلاً على هذا الأساس .

وإن الخلف في الرأي بين رئيس هيئة وأعضائها لم يترتب عليه في يوم من الأيام استقالة الرئيس أو الأعضاء من مناصبهم .

ولذلك كانت استقالة حضرة صاحب السعادة حبيب المصري باشا غير طبيعية وتقليدياً غير معروف عند القبط في المجلس الملي وفي غيره من الهيئات الرسمية النظامية الأخرى ، لا سيما وأن مدة المجلس على وشك الانتهاء .

وكان من المنتظر أن يحكم الشعب بين المجلس ووكيله في الانتخابات القادمة .

والذي نعرفه عن سيرة سعادة حبيب المصري باشا في وكالته للمجلس أنها كانت نزهة وديمقراطية . فقد اختلف سعادته مع الهيئة أكثر من مرة ، وحصلت مناقشات حادة بينه وبينها ، خضع أخيراً لرأيها . كما أن هذه السيرة نفسها تشهد بأن سعادته كان يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار آخر . وكان يبذل من التضحيات في سبيل ما يذكر لسعادته بالشكر .

أما جريدة الإنذار (وكانت تصدر في المنيا) فقد نشرت مقالاً مطولاً نقتطف منه ما

يأتى

فقد كنا نرجو قبل ذلك ، ألا تكون باكورة ثمار المجلس ، في أولى جلسات عهده

الجديد ، أن يقدم المصري باشا استقالته من وكالته وأن يقبلها المجلس بهذه السرعة . وقد اقترن اسم المجلس باسمه منذ عشرين عاما ، فما أعد المجلس مشروعا ، ولا وضع لائحة ، ولا نفذ حركة إصلاحية الا وكان حبيب المصري صاحب المشروع ، وواضع اللائحة ، ومنفذ الحركة .

وقد اذيع فى بعض المجالس أنه قيل للمصري باشا أن الشخص الذى كان يدعو اليه لم ينجح ، وأنه لهذا ينبغى أن يقدم استقالته .

ولو سلمنا جدلا بأن هذا صحيح ، فإننا نرى أنه يكفى أن تتقارب القلوب وتتصافح الأيدي ، وتتصافى النفوس ، بعد انتهاء معركة الانتخاب .. أما وقد استقال المصري باشا من وكالة المجلس فإننا نرجو أن يحتفظ بأمانة ناخبه كعضو فيه ، فإننا لا ندرى كيف يجرم المجلس الملى العام من هذا الرجل الذى عرفته طائفته وكنيسته فرداً مخلصاً غيوراً على مصلحتها ، منذ دخل ميدان الحركة الطائفية من ٢٥ سنة ، ومنذ عاصر المجلس عشرين عاما اتم فيها وهو فرد ، ما لم يتمه كثيرون غيره مجتمعين .

كفى المصري فخراً أنه وضع بنفسه لائحة انتخاب البطريرك ، تلك اللائحة التى حاول كبار رجال الطائفة من قبله - وفى طليعتهم المرحوم بطرس باشا غالى - أن يحصلوا عليها فلم يفوزوا منها بطائل ، وظل هو ساعياً داعياً حتى صدر الأمر الملكى بها ، ثم أجرى الانتخاب الأخير بمقتضاها ؛ فكانت فوزاً أى فوز للكنيسة والطائفة .

أليس المصري باشا هو واضع مشروع الأحوال الشخصية لغير المسلمين الذى تنظر فيه اليوم اللجنة المؤلفة لبحثه .

ألا يذكر الأقباط آراءه وبحوثه ومذكراته القانونية الشهيرة التى أخذت بها المحاكم فى قضايا وصايا المسيحيين . وخاصة فى قضية المرحوم جبران جريس الشهيرة .

وهل تنسى له طائفته موقفه فى مسألة دير أنبا رويس ودفاعه عنها . فكسب بها حقاً كاد أن يضيع وتسدل عليه الستائر

ألم يعمل المصري باشا على تنفيذ العديد من حركات الإصلاح ، وفى مقدمتها إنشاء المدارس وتعميم الديانة فى المدارس القبطية . وغير هذا كثير مما لا تتسع عجالة عابرة كهذه لسرد ما تطويه صفحات جهاد استمر عشرين عاما (١) .

و يبدو أن المنيأوى أراد تغطية الموقف ، فزار حبيب المصري فى بيته . وقبل الانصراف

(١) جريدة الإنذار فى ٢٧/٢/١٩٤٤

دعاه الى حفلة يقيمها له فى داره تكريماً له . فوعده بالرد عليه بعد التفكير وموازنة الأمور . ثم بعث اليه بالرد التالى :

أخى المنياوى باشا :

أشكر لكم جميل تفضلكم بزيارتى . وأشكر لكم على الأخص ما أبديتموه نحوى فى عواطف كريمة كان لها أعمق التأثير فى نفسى . على أننى بعد انصرفكم فكرت ملياً فى الدعوة التى تفضلتم بتوجيهها لى فى داركم العامرة . فرأيت أن أتقدم إليكم بالاعتذار راجياً إعفائى منها فى الوقت الحاضر .

لقد عرفتم فى الصراحة . كما عرفتها فيكم . فانا بهذه الصراحة المتبادلة لا أكتمكم أننى أشعر أنكم جرحتمونى جرحاً عميقاً فى الصميم . وزاد هذا الجرح عمقاً أن أتى من ناحية ابراهيم المنياوى الذى أعزته وأحبته دائماً فوق ما يجب الشقيق شقيقه .

سيلتئم هذا الجرح كما يلتئم كل جرح . وسأظل دائماً أعز الصديق الذى أحبته وأعزته وقدرة إنى رجل إذا أحببت لا أستطيع أن أكره . وإذا أعطيت لا أستطيع أن آخذ . وإذا اخلصت لا أستطيع أن أتحول . وهذه الروح سأنظر دائماً اليك .

وثق يا صديقى أننى — من جانبى — سأحتفظ لك فى نفسى فى كل حين بأعمق ما يحتفظ به صديق لصديقه . وثق أنه مهما تفرقنا الأيام . أو يفرقنا الرأى أو تفرقنا لن اضرب لك سهماً يوماً لا عن قرب ولا عن بعد .

بيد أنى رأيت بالأمس من بعض الاخوان صورة أفضل أن أستجم قليلاً . وأن أبتعد عن الحياة قليلاً . حتى أنساها . أو أتناساها إن استطعت . فما اعتدت النفاق .

فشكراً لك يا صديقى على فكرة تكريمى . وأرجوك أن تترك هذه الفكرة الى حين ودمت .
لصديقك دائماً ..

(الثلاثاء ١٩ فبراير سنة ١٩٤٤)

ولم يكتف قداسة الأنبا مكار يوس الثالث باستقالة حبيب المصرى والرضى عن استبداله بالمنياوى ، بل لقد عين القمص ابراهيم لوقا راعى كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة وكيلاً للبطريركية . وذلك مكافأة له على أنه كان الساعد الأيمن للمنياوى وصحبه فى ترويج الدعايات الانتخابية لصالحه .

٥٢ — على أن كل الآمال التى تركزت على الأنبا مكار يوس وما سيحققه من إصلاح

لم تلبث أن تبددت — بل وتلاشت ! فإن المياوى وصحبه الذين نجحوا فى إبعاد حبيب المصرى عن المجلس الملى قد أحدثوا ثغرة فى الصف الواحد . ولو أن الثغرة كانت بين الشعب فقط لكان من الممكن أن يتداركها البابا الوقور بحكمته كما استطاع أن يتدراك الشقاكات التى كانت فى أسبوط حينما بدأ رعايته الأسقفية هناك . ولكنهم استهدفوا ترسيخ نفوذهم فبدأوا بالراعى الأول نفسه . وأول نجاح لهم كان تعيين ابراهيم لوقا وكيلا للبطريركية . ثم استكملوا هذه الوكالة بتعيين أتباعهم فى الدار الباباوية . وهذه الخطة اقاموا سدا بينه وبين الشعب من جهة ، وبينه وبين إمكانياته من الجهة الأخرى . وقد نشرت الوطنية تعليقا على هذا الموقف المحزن على صفحتها الأولى قالت فيه :

سكرتيرية الخدم وسكرتيرية السادة

ظل المجلس الملى الشريف يعيب على المتنيح المثلث الرحمات الأنبا يوانس البطريرك السابق اختيار امناء سره من الخدم الذين تنقصهم الثقافة الممتازة . ويجهلون اللغات الأجنبية . ولا يجيدون أصول البروتوكول الواجب توافرها فى من يقومون بسكرتيرية بابا الشرق وزعيم مسيحييه . وكنا نصدق نحن عامة الشعب هذا القول .

فلما تولى غبطه البابا المعظم الأنبا مكار يوس الكرسي البطريركى المرقسى تلافى المجلس هذا العيب وعين لسكرتيرية غبطته اكبر موظفيه . واعلمهم . واكثرهم ثقافة ودراية باللغات وإجادة للبروتوكول ، وهللنا لهذا التعيين . واكبرنا اخلاص المجلس الملى للبابا ، ومحافظته على كرامته وهيبته . ولكن ماذا حدث ؟ .

حدث أيها القارىء الكريم ما لم يكن بالحسبان ، أن السكرتيرية العاملة العلامة ، صاحبة الحصافة والثقافة المتفوقة لم تستطع المحافظة على راحة زعيم كنيسة مارمرقص المجيدة أسبوعاً واحداً . وظهرته فى حالة لا يرضاها لغبطته أبناءه المخلصون ، ولا ابناء الكنائس الاخرى فانها :

(١) نفرت أبناءه الممتازين بالأخلاص التام لذاته الكريمة فقاطعوا القصر البطريركى الى الابد .

(٢) قطعت دابر الكهنة وهم أبناءه وجنوده من قصره وهو بيت أبيهم . وجعلت سياسة المنشورات هى صلة التفاهم بين هذا القائد وجنوده الذين لا يستطيع ان يدبر شؤون الكنيسة بدونهم .

(٣) أوجدت الخلاف المستحكم بينه وبين اخوته المطارنة ، فاصبحوا ينظرون الى

أخيهم الأكبر وإيهم بعين الأشفاق ، والالم . وبذلك استطاعت السكرتيرية الحكيمة أن تقص
أجنحة النسر المرقسى بأبعاد المطارنة وهم أركان حربه بأقصائهم عن قصره .

(٤) نشرت السكرتيرية المهدبة نشرات على صفحات الجرائد يتبرأ منها الأدب
الكنسى ، ولا يعرفها التسامح المسيحي العالى ولا يصح صدورها من مسيحي عادى ، ونسبها الى
حامى حى الأداب المسيحية فى الشرق - هذا الخراب بلتنا به السكرتيرية النشيطة فى اسبوعين
اثنين فكم من المصائب ستجر على الكرسي المرقسى العظيم إذا استمرت شهوراً أخرى ؟ الله يتولى
الكرسى برحمته ، ويخلصها بعونه من سكرتيرية السادة النبلاء . ويتغمد الأنبا يوانس برحمته لانه
كان بعيد النظر فى اختيار السكرتيرية من الامناء المخلصين ولو كانوا من عامة الشعب لانهم
حافظوا على كرامته ، وسمعته ، وهيبته وظل مصون الكرامة حتى آخر نسمة من حياته بالرغم من
شيخوخته المحطمة ، وفقدان الذاكرة ، وتوتر الاعصاب ، التى حلت به ، فاستطاع السكرتيريون
الاميون ان يحيطوا مولاهم بالكرامة والمجد والعظمة إلى آخر لحظة فى
العالم . قبلى ارثوذكسى .

و (الوطنية) تقول ان « قبلى ارثوذكسى » اصبح من الألقاب التى يتفاخر بها كتاب
القبط ولذلك اصبح مشاعاً يدعيه كل من اراد . ولذلك نقول أن صاحب هذا المقال من اعلام
كتاب القبط الدينين وكفى .

وفى الاسبوع عينه الذى ظهر فيه المقال المذكور آنفاً أصدر عضواً بالمجلس الملى - لم يشأ
أن يذكر اسمه - نشرة ، ثم أتبعها بغيرها . وقد جاء فى النشرة الأولى ضمن ما جاء ، قوله :
« ... وأكبر دليل على أن حبيب المصرى باشا شخصية لها مكانتها الأولى أن جلالة الملك
(حفظه الله) استدعاه لمقابلته يوم الأحد ٥ مارس الجارى وأستطلع رأيه فى مشكلة أوقاف
الأديرة ، وظل معه أكثر من ساعة سرد فيها المراحل التى مرت بهذه المشكلة منذ ١٨٨٣ (١) . ولم
يستطع أقرب المقربين الى حبيب باشا أن يعرف منه أكثر من ذلك ... » (٢) .

ولقد راح المجلس الملى يطالب بأوقاف الأديرة منذ البداية ، فكانت أول قبيلة ألقاها فى
الميدان . وأصابت شظاياها غبطة السيد الأب البطريرك . والواقع أن قرار المجلس الملى باستلام
تلك الأوقاف ، وتسرع فى طلب ادارتها بنفسه ، وإعلانه عن موظفين للعمل بها ، كان قراراً تعوزه
الحكمة . فقد كان من تسرعه فى ضرورة تسلمه إدارة الأوقاف أن فتح ثغرة بين قداسة البابا وبين
أعضاء المجمع المقدس .

(١) انظر ملحق رقم ١

(٢) انظر ملحق رقم ٢

٥٣ - واستمر تعاقب الأيام - إذ لا يوقفه أى حدث . وهذا التعاقب بدأ الصوم المقدس - الكبير - لسنة ١٩٤٤ . وكان من المنتظر أن أولئك الذين درجوا على اعتبار هذا الموسم فترة تمحيص النفس وللتوبة ولتوثيق الصلة بينهم وبين الله وبالتالي بينهم وبين إخوتهم - كان من المنتظر أن يصفوا خلافتهم و يصوموا صوماً طاهر بخشوع . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . واستمرت الخلافات والمناوءات !

على أن الله محب البشر لا يدع نفسه بلا شاهد فيسطع نوره خلف ظلمات الإنسان ، وتتدفق محبته استجابة للقلوب المتطلعة نحوه . ولقد وجد المتطلعون نحو فاديتهم الحبيب فى موسم هذا الصوم الكبير الفرصة لزيارة الاراضى المقدسة . فحينما كانوا ينتهون من صلوات ذات الروعة الفريدة ، كانوا يجلسون معا حول ايهم الروحى - نياقة الحبر الجليل الأنبا ثيوفيليس . وفى هذه الجلسة - جلسة المحبة - يوم خميس العهد اتفقوا بانسجام عجيب على تأسيس « رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس » . وتم تأسيسها بالفعل ذلك اليوم المبارك ٥ برمودة سنة ١٦٦٠ (١٣ أبريل سنة ١٩٤٤) ، تحت رعاية نياقة الأنبا ثيوفيليس ورياسة حبيب المصرى .

ولما انتهوا من الاحتفال بعيد القيامة المجيدة وعادوا الى مصر ونفوسهم مهتلة ، ذهبوا لمقابلة قداسة البابا وأخبروه بما جرى ، ثم رفعوا اليه تقريراً مفصلاً . فباركهم وبارك جهودهم . وما على أى شخص الا أن يذهب الى مقر الرابطة لكى يدرك قوة البركة التى منحها إياهم هذا البابا الجليل . لأنه على امتداد السنوات - من سنة ١٩٤٤ الى الآن أدت خدمات وفيرة فى الاراضى المقدسة وفى مصر ، وفتت نمواً مطرداً . وقد احتفلت فى أبريل سنة ١٩٦٩ بيوبيلها الفضى بأن اقامت قداساً إلهياً فى الكنيسة المقامة على سطح مبناها ، ثم أصدرت كتاباً ضمنه جهودها منذ إنشائها . وقد سجلوا على صفحته الثالثة عشرة « مراجع وزارة الداخلية بالجمهورية العربية المتحدة » جاء فيها :

« لم تسبق رابطة القدس أية هيئة أو أى فرد فى أى زمان فى القيام بخدمات رابطة القدس للتبشير على الحجاج الأقباط ، ومنذ بدأت رابطة للأقباط الأرثوذكس الاضطلاع بخدماتها الى الآن تؤدى أعمالها بدقة ونشاط ونزاهة وأمانة استحققت تقدير السلطات المعنية . كما تؤيد نفس الشهادة سجلات وزارتى الشؤون الاجتماعية والاقتصاد (مراقبة النقد) ، والمواصلات (السكك الحديدية) ، ومصصلحة الطيران المدنى (شركة الطيران العربية المتحدة) أو « مصر للطيران » .

وتصدر الرابطة مجلة ترسلها كهدية الى مشتركها ، كما تخرج تقويمًا سنويًا .

والعجيب أنه خلال الربع قرن (الذى انتهى سنة ١٩٦٩) عاصرت الرابطة ثلاثة من الباباوات المرقسيين هم : الأنبا مكار يوس الثالث ، الأنبا يوساب الثانى ، الأنبا كيرلس

السادس ؛ وثلاثة من مطارنة القدس هم : الأنبا ثيوفيلس ، الأنبا ياكوبوس ، الأنبا باسيليوس (أطال الله حياته) . كذلك تعاقب على رياستها ثلاثة من الأراخنة هم : حبيب المصرى ، كامل بولس حنا ، عوض الله ابراهيم .

وقد قضت الرابطة السنوات التسع الأولى من غير مقر ثابت ، الثلاث الأولى منها فى غرفة من مكتب صبحى برسوم المحامى (قدمها مجاناً) . ثم اضطرت الى استئجار شقة قرب باب الحديد لاتساع أعمالها . على أن أنشطتها ظلت تتزايد باستمرار مما استوجب أن يكون لها مقر ثابت . فقرر مجلس إدارتها أن يلجأ الى العون الإلهى ، وخلال صلاة جمعة ختام الصوم سنة ١٩٥٤ (بالقدس) وضعت على المذبح المقدس لكنيسة الأنبا أنطونيوس ثلاث وريقات :

- ١ - ورقة مكتوب عليها « استعملوا الرصيد فى شراء مقر للرابطة » ،
- ٢ - ورقة مكتوب عليها « استعملوا الرصيد لتنفيذ مشروع للرابطة فى القدس » ،
- ٣ - ورقة بيضاء (١) فلما انتهى القداس الإلهى خرج حكم القرعة بالورقة الأولى . وارتكناً على هذا الحكم بدىء فى التنفيذ فقدمت الرابطة ملتتمساً الى الرئيس جمال عبد الناصر طالبة منه منحها قطعة أرض لتبنى عليها مقرها فوافق على الطلب لفوره وأشر عليه بعبارة تدل على وطنيته الفائقة وهى : « تعامل معاملة جمعية الإخوان المسلمين » . وظهر العون الإلهى فى أن القائمين بالعمل وجدوا قطعة أرض - ٩ شارع يوسف باشا وهبة - بالفجالة ، على مسيرة سبع دقائق من محطة كبرى الليمون . وتمت الصفقة ، واحتفل بوضع حجر الأساس يوم الأحد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ بحضور الأنبا ثيوفيلس وعدد من رجال الاكليروس .

وفى يوم العنصرة لسنة ١٩٨١ تفضل قداسة البابا شنودة الثالث برسامة سكرتيرها فوزى اسحق كاهناً باسم القس ايساك .

وهكذا نرى مراحل الآب السماوى وسط كنيسة على الدوام .

٥٤ - وبعد أن استمتعت أرواحنا بالحديث عن القدس . وما بذله - و يبذله - بعض محبى الأراضى المقدسة ، نعود الى متابعة مجريات الأحداث فى عهد البابا مكار يوس الثالث .

... كانت الأطيان والعقارات الموقوفة على البطريركية وعلى الأديرة مشكلة معقدة منذ أن صدر الفرمان الخديوى بإنشاء المجلس الملى سنة ١٨٨٣ . لأن الأعضاء الذين جاءوا - مستندين فى تشامخ الى قوة الحكومة - أعلنوا من البداية رغبتهم فى تولى إدارة هذه الاوقاف . وعلى الرغم من إصرارهم فقد رفض المطارنة ورؤساء الأديرة تسليمهم إياها . وعلى ذلك قام

(١) مما تجدر الإشارة اليه وجود ورقة بيضاء لعل الله لا يريد مشروعاً من المعروضين فيعلن ذلك عن طريق الورقة البيضاء - وهذه هى الخطة التى انتهجها كل من لجأ الى القرعة الهيكلية قديماً .

النزاع بين الأبناء والآباء . ومعدرة في وضع الأبناء هنا قبل آبائهم ، وذلك لأنهم هم الذين بدأوا النزاع ، بل وأشعلوه . ثم خمد فترة عاد بعدها في عهد البابا مكار يوس .

ولئن تساءل البعض : كيف تكون أملاك لمن تركوا العالم كله ؟ فالإجابة من واقع التاريخ هي أن هذه الممتلكات جاءتهم بوصفها تقدمات عرفاناً بالجميل . ثم تزايدت نتيجة للعمل المستمر الذي قام به الرهبان : سواء كان هذا العمل في شكل خدمة انسانيه أو في شكل استثمار للأراضي والعقارات الموقوفة . ولم يقم حولها أي نزاع حينما كان الأراخنة يؤدون مسؤولياتهم نحو آبائهم ونحويقية الشعب في محبة وتفاهم . فلما حاد العلمانيون عن خطة آبائهم بأن وصلوا الى جعل سلطتهم رسمية مدعومة بفرمان خديوي ، حادوا أيضاً عن خطة المحبة والتفاهم . وهذا المسلك أوجدوا داخل الكنيسة قلقاً وعدم استقرار لم يخمد نهائياً الا في عهد البابا كيرلس السادس .

ولقد كان الأنبا مكار يوس — وهو مطران — قد اتفق مع شريكه في الخدمة الرسولية الأنبا ثيوفيلس أسقف منفلووط على التنازل عن الأوقاف : كل في أسقفيته — للمجلس الملي في سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢٦ . وحالما فاز الخبر الأسيوطي بالباباوية طالبه المنياوي ومشايعوه بأن يسلمهم الأوقاف . ولم يتردد البابا الجليل في قبول الطلب ، فكتب في ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٤ خطاباً قال فيه : « تنشأ إدارة خاصة لأوقاف الأديرة بالدار الباباوية يديرها المجلس الملي العام ... تكون مهمتها جرد أموال الأديرة فوراً ، ومحاسبة النظار الحاليين الذين يتولون إدارتها . وأن يكون تعيين وإقالة النظار بمعرفتنا بناءً على مقترحاتكم . ومع جزيل احترامى ومحبتى للبابا الوقور الأنبا مكار يوس .

أستمح لنفسي العذر في أن أقول إن التصرف داخل إيبارشية خاصة محدودة غيره في الكنيسة بكل إيباشياتها . فهذا الخطاب الذي خطه للمنياوي بوصفه وكيلا للمجلس الملي العام قد استثار المطارنة ورؤساء الأديرة ، وبخاصة لأن كنيستنا لا تقر سلطة للفرد حتى متى كان هو قداسة البابا ، بل قد جعلت السلطة العليا للمجمع . والأنبا مكار يوس — مع علمه وروحانيته — لم يستشر المجمع ، بل لم يتداول في الموضوع حتى مع عضو واحد من المجمع المقدس .

وليس من شك في أن زهد البابا الجليل ومسلكه السابق هما السبب في أنه كتب هذا الخطاب ، وقد كتبه ثقة منه في أن المطالبين بالأوقاف هم أبناءه . ولم يكن ليتصور قط أنهم سيقلبون الأوضاع قلباً تاماً فيجعلون من التعاون حقوقاً خاصة لهم يهيمنون بها حتى على أيهم الروحي الذي وثق بهم ! فلقد استهدف قداسته أن يؤسس عائلة قوامها المحبة المتبادلة والتقدير العميق ، فإذا بهم يحولونها الى محكمة يتنازعون فيها . ولما كان النزاع مما يثير العواصف فقد ضاع صوت المحبة بين هيجان هذه العواصف المتضاربة .

وعلى الرغم من هذا التصادم فقد عاد البابا الجليل الى الكتابة للمنياوى — وهذه المرة كانت بخصوص الاكليريكية . فقال بأنه علم أن المجلس قد شكل لجنةً لدراسة هذا المعهد الحيوى للكنيسة ، فهو لذلك يرجو منهم أن يجعلوا من الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية رئيساً لهذه اللجنة لتسير الدراسة وفقاً لطقوس كنيستنا المحبوبة وتعاليمها . ولكن المنياوى وأنصاره صموا آذانهم عن الإصغاء الى هذا الرجاء إذ رأوا أن صرف المال اللازم للنهوض الذى يرغب فيه البابا الجليل أكثر مما يريدون إنفاقه ! فاتسعت الهوة الفاصلة بين الأب وأبنائه العاملين داخل نطاق اختصاصه .

٥٥ — وكان هذا الجفاء بين قداسة الأنبا مكار يوس والمنياوى لم يكن كافياً إذ أعلن المجمع المقدس استنكاره للتصرف الباباوى ! فاجتمع المطارنة والأساقفة برئاسة الأنبا بطرس مطران سوهاج ، وبعد التداول فى موضوع الخطاب الذى كتبه البابا الجليل بخصوص الأوقاف اصدروا قرارهم ببطلان هذا الخطاب لكونه مخالف صراحة لكل ما قضت به القوانين الرسولية والمجمعية وللتقاليد التى سارت عليها الكنيسة القبطية بكل حرص على مر القرون . ومما استلزم سرعة اجتماع المجمع المقدس أن المنياوى وصحبه — مع مكانتهم العلمية والاجتماعية — كانوا يجهلون الجهل كله تعاليم كنيستهم . ومن أكبر الأدلة على هذا الجهل أنهم لم يتورعوا عن أن يرفعوا دعوى على ذلك الذى أعلنوا أيام الدعاية له بأنه خير من يسوس الكنيسة فى مختلف مجالاتها ، ويسير بها فى طريق النمو والصلاح — دعوى تسلمها قداسته على يد محضر! (١) .

أما القرارات الجمعية فقد صدرت فى بيان نشر على الشعب ، وإليك نصه :

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد أمين

بيان

من المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الى حضرات الأبناء المباركين المحبوبين والكهنة والشعب بسائر أنحاء الكرازة المرقسية .
النعمة لكم والرحمة والسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا .

(١) كانت الفترة الأولى للاحتلال الانجليزى فترة النشاط « التبشيري » على أقواه . وبما أن كبار القبط كانوا يرسلون أولادهم الى المدارس الأجنبية فقد نشأ عدد غير قليل منهم يعرف الكثير عن بلاد معلمهم وعن كنائسهم ولا يعرف الا القليل — أو بالحرى الضئيل — عن مصر وكنيستها . ولم يفلت من عدم المعرفة هذه إلا أولئك الذين تلقوا معرفتهم الكنسية من والديهم (أو من جداتهم وجدودهم) . فالجهل الذى نسيه دعاة التبشير الى كهنتنا كان فى الواقع الحاجز الذى أقاموه بين بعض من تعلموا فى مدارسهم وبين أهمهم الكنيسة المصرية الأصلية . راجع ايضا كتاب « مكار يوس الثالث ... » ص ٦٧ - ٧١ .

لقد تتبع كل قبطنى أرثوذكسى غيور على مجد كنيسته التطورات التى حدثت بالكنيسة منذ تنصيب غبطة الأنبا مكارىوس بطريركا الى الآن واقتربت هذه التطورات بالتحدث عن :

١- المجمع المقدس ٢- غبطة البطريرك ٣- المجلس الملى العام ٤- الأوقاف .
وهمنا أن نطلع الرأى العام فى هدوء على هذا البيان ليلمس حقيقة الموقف بالبرهان فلا يخذع .

١- المجمع المقدس :

أ- هو مجمع مطارنة وأساقفة الكنيسة .
ب- هو السلطة الدينية التى تحكم فى سائر شئون الكرازة المرقسية .
ج- نصت القوانين الكنسية (٢٨ رسطج) على أن يجتمع مجمع الأساقفة دفعتين فى السنة لتدير سائر شئون الكنيسة (المجموع الصفوى ص ٢٤ و ٤٧) .
د- نصت قوانين الآباء الرسل بأن البطريرك لا يفعل شيئا بغير رأى الأساقفة .
هـ- نصت قوانين الآباء الرسل والمجامع أن ما يقرره المجمع لا تبدله ولا تغيره سلطة ما غير المجمع المقدس .
و- نصت قوانين الآباء الرسل والمجامع على خضوع الأساقفة المتقدمين (باباوات و بطاركة) للمجامع ولا تخضع هذه لهؤلاء .

ومن هذا تتضح قدسية المجمع وسلطته وقوته وصحة انعقاد جلساته التى عقدها فى يومى ٨ و ١٤ بشنس سنة ١٦٦٠ (١٦ و ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤) .

٢- غبطة البطريرك :

أ- بمجرد تنصيب غبطته ترأس جلسات المجلس الملى العام وقدم له - دون استشارة المجمع المقدس - كتاباً يأمر فيه بتسليم أوقاف الأديرة للمجلس الملى العام
ب- قابل كثيرون من حضرات أصحاب النيافة المطارنة غبطته و باحثوه فى صدد كتاب التسليم فأجاب غبطته بأنه لم يأمر بالتسليم بل بتقديم حساب فقط - فطلبوا من غبطته تحريراً بهذا المعنى فأبى .
ج- استمر المجلس الملى العام يستصدر من غبطته قرارات منفذه ومتممة للكتاب الأول القاضى بتسليم الأوقاف .
د- باحث غبطته فريق كبير من عظماء الشعب والجمعيات القبطية بصدد قرارات التسليم المذكورة فكان تارة يتبرأ منها وتارة يدافع عنها .
هـ- عاود بعض حضرات أصحاب النيافة المطارنة التفاهم مع غبطته وطلبوا منه عقد

المجمع المقدس للبت فى سائر شئون الكنيسة المعلقة - فوعدهم بذلك بعد انتهاء الصوم المقدس .
و- منح غببطته المجلس الملى العام سلطانا واسعا فى الأمور الروحية فباشر المجلس هذه السلطة وأجرى تنقلات بين كهنة الكنائس فى القاهرة - خلافاً لما تقضى به القوانين الكنسية واستأثر المجلس بغببطته ووضع الحجب والحواجز بين غببطته وبين الاكليروس والشعب وحرص غببطته على مقاطعة مطارنة الكنيسة وخلا القصر البطريركى من السكرتارية الروحية التى لا يجوز خلوه منها ولا يستقيم الحال بدونها .

ز- صدر عن غببطته منشورات راعوية أمر فيها بتنفيذ بعض الأمور الطقسية فلم تنفذ مخالفتها لقوانين الكنيسة وتقاليدها وقد كتبت عن ذلك المجلات الدينية .

ح- دعاه جميع حضرات أصحاب النيافة المطارنة لعقد المجمع المقدس للمرة الثانية فلم يجد فحرروا لغببطته ثالثا وحددوا ثلاثة أيام لدعوة المجمع فلم يفعل - وأخيرا اجتمعوا وتوجه لغببطته نواب عن المجمع يدعونه لرئاسة جلساته فامتنع .

ومن هذا يتضح أن غببطته لم يساير القوانين الكنسية المحددة لسلطة المجمع واختصاصاته - فى حين أنه رأس جلسات المجلس الملى العام وساعده على الهيمنة والتصرف فى كل أمور الكنيسة الروحية والادارية .

٣- المجلس الملى العام :

أ- تعدى بعض أعضاء المجلس بالقذف فى حفلات عامة على هيئة المجمع المقدس محاولين إثارة الشكوك مما دعا الى امتعاض الكثيرين واحتجاجهم .

ب- استأجر جريدة مصر للدعاية لمشروعه المرتجل وقرر لها فى ميزانيته الرسمية ٤٠٠ جنيها إعانة سنوية كما اشترى لإدارتها الأثاث الموجود بها الآن وذلك لا لخدمة الرأى العام القبطى بل لخدمة المجلس ومناصرته وأخذ ينشر فيها ما يساعده على الدعاية لمشروعه بإمضاء مؤيدين من غير الأقباط الأرثوذكس كما قلب الأوضاع والحقائق فيما نشره من بيانات .

ج- ادعى الرغبة فى إصلاح الأديرة الكائنة خارج مدينة القاهرة بيد أنه يدير الأديرة الكائنة بداخل مدينة القاهرة للراهبات منذ خمسين سنة ومع ما لهذه الأخيرة من الايراد الوفير فان حالتها تدعو الى العطف والرثاء .

د- طلب وضع اليد على أوقاف الأديرة والأبروشيات - ولكن سوء تصرفه فيما هو تحت يده مما هو ملموس فى المباني الخربة والأطيان التى تباع من يوم الى آخر جعل الكثيرين يقولون الأمين فى القليل أمين أيضا فى الكثير ؟ .

هـ- ظن أنه يخدع قلوب البسطاء بأنه لا يمكن لرجال الدين أن يديروا الأمور المالية

مستشهدا بآيات الكتاب القائلة « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الرب ونخدم موائد » وبالآية القائلة « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين الله والمال » وهو لا يعنى أن رجال الدين لهم مواهب متنوعة وأن الرسل أقاموا الشمامسة لهذه الخدمة (وهم من طغمة الكهنوت) تحت إشراف الرسل أنفسهم - وأن المؤمنين كانوا يأتون بالدراهم و يضعونها تحت أرجل الرسل وهم يتولون توزيعها وأن الدسقلية تأمر بأن الأسقف الذى ائتمنه الله على النفوس لا يجوز أن يحاسبه أحد بل و يظن المجلس الملى العام (الذى لا وجود له فى أى كنيسة رسولية أخرى) أنه سيد العارفين بالكتاب المقدس والنظام الكنسى ولم يدر أن جميع الكنائس المسيحية فى العالم تتبع هذه التعاليم والتقاليد فيدير اكليروسها كافة أمورها الروحية والإدارية والمادية .

ومن هذا يتضح أن المجلس الملى العام فرق بين غبطة البطريرك وبين الاكليروس والشعب وأنه تعدى حدوده واختصاصاته والمرعيات من نحو كرامة رجال الدين وأثار الأضطراب والشرفى الكنيسة .

أخيراً: بهذا البيان أطلعنا الشعب القبطى الكرم على حقيقة الحال وقد اتضح له أن هناك فرقا شاسعا بين الحقيقة وبين ما يذاع وما يقال .

فلنعالج أمورنا إذن بالحكمة والسداد .

والله الذى وعد الكنيسة قائلاً « كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكين عليه » والذى وعد بأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها وأنه فى وسطها فلا تنزع الى الأبد نسأل مراحمه العالية أن يزيل عنها هذه المحنة وأن يحفظ سلامها بيمينه القوية وذراعه الرفيعة ولربنا المجد الى الأبد أمين ،

تحريراً بدار البطريركية بالقاهرة فى ١٤ بشنس سنة ١٦٦٠ (٢٢ مايو سنة ١٩٤٤) .

٥٦ - وانتهت الدورة الملية فى أول يونيو سنة ١٩٤٤ . وتمهيداً للدورة الجديدة بدأت الحملات الدعائية للفوز بعضوية المجلس . وبديها أن الذين استباحوا القذف حتى فى رجال الدين ، لم يتراجعوا فى سبيل الوصول الى عضويتهم فى المجلس - المفروض فيه أنه أعلا هيئة مدنية - عن استعمال كل الوسائل المباحة وغير المباحة . وهنا أيضا لم يكتفوا بالتغنى بفضائلهم الذاتية بل أضافوا إليها الطعن فى منافسيهم . وليس ذلك فحسب بل زادوا عليها أنهم أعطوا لأنفسهم الحق فى إفشاء المكاتبات المتبادلة بين الآباء المطارنة وبين باباهم ! ولقد نشرت « الوطنية » مقالا على صفحاتها الأولى يوم الخميس ١ يونيو نورهنا هنا ليقف عليه من يهيمه معرفة الحقيقة . والهدف من هذا السرد هو أن يتحاشى الأحفاد ما سقط فيه أجدادهم (١) .

(١) انظر ملحق ٣ .

وفى العدد عينه من الجريدة كتب ميخائيل ابراهيم (من شبرا) مقالاً بعنوان
«أرثوذكسية أعضاء المجلس الملي نوره مع سابقه للغرض عينه»

٥٧- ووسط المد والجزر المتناوبين لمعممة الدعاية المليية انشغل فريق من الرهبان
بالعمل البنائى الذى هو من أكبر النعم الإلهية على الإنسان . و يتضح هذا العمل البنائى من
المقال التالى :

أثبت فريق من رهبان الدير المحرق فى مذكرة نشر ملخصها على صفحات جريدة
«مصر» فى عام ١٩٣٩ أن الرهبنة القبطية كانت تنقسم الى أربع فرق . فرقة للتعليم وأخرى
للتبشير وثالثة للتمريض ورابعة لخدمة الثلاث فرق . وأثبتوا أيضاً أن جهاد الرهبان الأقباط وصل
الى بلاد الانكليز . فلما عادوا الى الدير عام ١٩٤٠ تقدموا الى صاحب النيافة الأنبا اغابىوس
رئيس الدير طالبين التصريح لفريق منهم بالعمل فى التعليم الإلزامى . فأذن لهم نيافته مغتبطاً .

وتبرع الرهبان لهذا المشروع الجليل بمبالغ من مرتباتهم الشهرية ثم يعموا وجهوهم شطر
بعض القادرين من أبناء «رزقة الدير المحرق» يجمعون مبالغ ضئيلة . وبعد فترة ليست طويلة
أسست أول مدرسة وتقدمت تقدماً عظيماً جعل رئيس الدير يتحقق من صدق رغبتهم ويمدهم بمبالغ
صغيرة فانشأوا مدرستين فى «المنشأة الكبرى» و «السراقنا» و يديرها القمص أرمانىوس
ونيس ...

تفانى الرهبان فى العمل رغم ما يعترض سبيلهم من عقبات أخصها عقبة المال ، حتى
أصبحت مدرسة «رزقة الدير المحرق» قسمين (إلزامى وابتدائى) . وراح الآباء القمامصة
والقسوس تاوضروس ابراهيم ناظر المدرسة ودميان برسوم ودمادىوس وانجيلوس والأستاذ بسيط
جيد المدرس بمدرسة الدير يبذلون قصارى جهودهم حتى تقدم طلبة السنة الرابعة للابتدائية
فنجحوا جميعاً بتفوق وحصلوا كلهم على درجات عالية تتراوح بين ٦٦ فى المائة و ٨١ فى المائة
رغم فقر بعضهم الشديد حتى أن بعضهم كان يشترك فى كتاب واحد مع زميل له . بل إن الآباء
جمعوا تبرعات فيما بينهم لشراء ملابس ونفقات الطلبة المعسرين لتأدية الامتحان ...

إن نيافة الأنبا أغابىوس مطران صنبو وقسقام وديروط ورئيس الدير المحرق رجل طيب
القلب يحب الإصلاح والمصلحين . ولعل الزائرين له يلمسون ذلك جلياً إذ كثيراً ما يتحدث اليهم
عن نتيجة المدرسة مغتبطاً - كما أنه كثيراً ما كان يفاجئ المدرس بزياراته المتكررة إبان
الدراسة . وطالما تحدث عن رغبته فى ضرورة قيام مدرسة صناعية إلى جانب المدرسة الابتدائية
على حساب الدير، فخرجوا أن تتحقق هذه الرغبة فعلى هذه الأسس تقوم الرهبنة الحقيقية .

٥٨- وخلال هذه المعممة الساخنة ترك الأنبا مكارىوس الدار الباباوية وذهب الى

حلوان حيث عاش فى بين داخل حديقة كنيسة السيدة العذراء (١) . وبينما هو مقيم هناك ، حدث أن تحدد موعد اكليل ثريا حبيب المصرى . فرأى حبيب وزوجته أن يذهبا الى قداسته ليخرجوا منه أن يتفضل فيبارك اكليل بنتها . وبالفعل ذهبا إليه . فلبى رغبتهما وجاء الى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية مساء الأحد ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٤ . واتضح أنه جاء خصيصا للاكليل إذ ما كاد ينتهى من رياسة الشعائر الدينية حتى عاد الى حلوان لتوه . وفى عصر اليوم التالى ذهب الوالدان ليقدموا تشكراتهما للبابا الجليل . وفى هذه اللقاء انهمرت الدموع غزيرة على خدى رجل الله وانسابت فوق لحيته البيضاء الطويلة وقال : « ياريتنى سمعت كلامك وبقيت فى مطرانيتى . لانى لما كنت مطرانا كان الله يستجيب لكل طلباتى مباشرة أو عن طريق شخص أو فى كلمة عابرة . ولكنه أدارلى ظهره من يوم ما دخلت البطريركية » . وتعانق البابا الوقور وابنه الحبيب وامتزجت دموعهما فسحت الجفوة الطارئة — لأن المحبة لا تسقط أبداً (٢) .

٥٩ — واستمرت المساجلات فى تصاعد ، فكتب أحد الصحفيين يقول :

والواقع أن هذه المعركة الانتخابية يعبىء لها أعضاء المجلس الجهود لأنهم يدركون أن انتصارهم فيها معناه انتصارهم على طول الخط وفيه ضمان كاف لتسلم أوقاف الأديرة وانصياح الرهبان وتسليمهم المواقع ، لأن معنى هذا الانتصار فى أبسط صورته هو هدم المجمع المقدس ... وأعضاء المجلس الملئ يستعينون لقضاء هذا المأرب بكلمة سحرية قد بدأنا نملها والله وهى دعوى « الإصلاح » ولقد أعجبتنى والله كلمات صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا فى تعقيبه على دعوى إصلاح بقوله (لقد أصبحت أكره كلمة الإصلاح لكثرة ما حملها الناس من المعانى الظالمة حتى أصبحت تعنى الفوضى والثورة والخروج على النظام والتقليد وعلى الدين) وقد ذكرتنى والله كلمة حبيب باشا بان كل أولئك الذين خرجوا على قواعد الدين الصحيح زعموا هذا بدعوى الإصلاح .

فليتدبر أبناء الطائفة القبطية من جبهة الناخبين هذه الدعوى الغير صحيحة وليدركوا أن قصة « الإصلاح » قصة مملولة ، وليعلموا علم اليقين أن الآباء المطارنة لا يعارضون فى الإصلاح إذا كان ثمة إصلاح ، ولم يعارض آباء الكنيسة أعضاء المجلس الملئ فى أى اقتراح يتقدم به فرد من أبناء الطائفة فضلا من أعضاء المجلس الملئ يكون فيه خير لقضيتها وخير لقضية الكنيسة ... هذا ما يجب أن يعرفه الناخبون وما يجب أن يذكروه وأن يضعوه نصب أعينهم فى يوم الانتخاب .. والواقع أن المعركة معركة مبادئ وتبعاً لنتيجتها سيكون بقاء المجمع المقدس وحفظ كيانه وسلامة تكوينه وقدسيته ... فليراقب الناخبون الله وليوفقهم خالق السموات والأرض وليهدم الى الصواب (٣) .

سالم سيدهم

(١) راجع ف ٦٤ من قصة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس .

(٢) قصة حبيب المصرى ص ٢٣٠ .

(٣) عن الافتتاحية بجريدة التيمس المصرى فى عددها الصادر يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٤ .

٦٠- وتزايد ألم قداسة البابا وحزنه بأزاء كل هذه المشاهدات ، وتزايد التوتر بينه وبين
النياوى وصحبه لاعتداءاتهم المتكررة على سلطته . فلقد ضيقوا عليه حتى أصبح وكأنه محجور
عليه !

كما أن هذا التوتر أدى الى أن خسرت الكنيسة عدداً من رجالها الذين تباعدوا عن
هذا الجو المشحون بالخصام . وبالطبع تعطلت المشروعات الكنسية . فلما وجد الأنبا مكار يوس
نفسه عاجزاً عن تنفيذ آماله للكنيسة لم يجد أمامه غير الابتعاد هو أيضاً ! وفى هذه المرة قرر أن يلجأ
الى دير الأنبا بولا لكونه أبعد الأديرة عن القاهرة ولوعورة الطريق الموصل اليه .

وقد رافقه فى سفره الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية والأنبا ثيوفيلس مطران القدس
والأنبا ابرام مطران الجيزة .

٦١- إلا أنه على الرغم من بعد الدير ووعورة الطريق فقد ذهب الكثيرون للسؤال عنه
ولاستعطافه بأن يعود . فكان يهدىء نفوسهم المهتاجة و يطلب اليهم أن يمهله قليلا ليستعيد هدوءه
النفسى . وخلال الأسبوع الأول من إقامته بالدير كتب الى الأنبا تيموثيوس يقول : « أخى
الحبيب الروحى الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية : بعد القبله الرسولية والمصافحة الأخوية ،
لازلت أشعر بمرارة فى نفسى وحزن عميق لا يفارقنى على أثر المناقشة الأخيرة التى حدثت
بمضورك مع الدكتور النياوى باشا وراغب بك اسكندر وتصرفاتها معنا وسياسة الإرغام التى
أرادا اتباعها . ولم أكن خاطئاً إذ طلبت اليها التفاهم بنية خالصة ، وهو يودى حتماً الى الإصلاح
المنشود الذى تطلبه الكنيسة . ولكنها أبيا إلا أن أكون متسرعا فرفضت . وقد عمدا فى الأيام
الأخيرة الى مضايقتى بطرق من العيب ذكرها فى كهولتى هذه . وكنت أنتظر منكم ومن
إخواتكم المطارنة أن تقفوا بجانبى فترفع صلاة لكى يهدينا السيد المسيح الى الطريق الحق حتى لا
يحدث انقسام فى الطائفة ، ويتشتت الشعب الى فرق إذ هو فى أشد الحاجة الى توحيد الجهود
وجمع الصفوف .

صلوا لأجلى ونعمة الرب تشملكم ولعظمته الشكر دائما » .

وإذا أحس بما يملأ قلوب محبيه من ألم أراد أن يدخل عليهم شيئا من الطمأنينة فنشر بينهم
الكلمة الوجيزة التالية :

كلفننى غبطة البطريرك أن أعلن بلسان غبطته ما يطمئن الشعب القبطى أجمع على توفر
أسباب راحته بديرى الأنبا انطونيوس والانبيا بولا حيث يلقى من أبنائه الرهبان وحضرات المطارنة
صادق الولاء والأخلاص .

وقد وعد غببطته أن يعود الى مصر آملاً أن تكون قد زالت الأسباب التي كانت داعية لعدم استكمال راحته . و يدعو بالتوسل الى الله أن يهب الكنيسة والطائفة نعمة من لدنه بجمع شملها وتوحيد كلمتها وتميم عناصرها شعباً واكليروساً الى كتلة واحدة فى حماية الله وعنايته تعالى ورعاية صاحب الجلالة الملك المعظم المحبوب وإخلاص حكومته السنية ،

مطران الدقهلية

عزيزى حبيب باشا المصرى بعد صالح الأدعية المسطر بعاليه هو النص الأصيل الذى أرسلته امس الى جريدتى الاهرام والمقطم وقد نشر اليوم بالمقطم محزوفاً منه اهم عبارة وردت به فارجوا اعلانه بواسطتكم الى الصحيفة التى نشرتها ،

كذلك أرسل يوم السبت ١٦ سبتمبر خطابا الى جريدة مصر لنشره . ولكن بما أن هذه الجريدة كانت أجيرة المنياوى وصحبه فإنها لم تنشره ! ثم عثر عليه بعض أحماء البابا الجليل فنشروه فى جريدة الأنوار (١) يوم الذكرى الأولى لانتقاله الى الأخدار السماوية (٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦) . ونقتطف هنا جزءه الأول لأن الباقي سرد للحوادث التى سبق ذكرها والتى جعلته يلجأ الى الدير ، قال قداسته :

حضرة المحترم رئيس تحرير جريدة مصر الغراء :

بعد السلام والاحترام ، أرجوكم أن تتكرموا بنشر هذه الإفادة أدناه بجريدة مصر . وأشكركم لذلك كل الشكر . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

مكار يوس

«... إنى اخترت الإقامة فى دير القديس العظيم أنبا بولا لكونه أبعد الأديرة القبطية عن الريف لكى استريح من الأتعاب والأمراض التى انتابتنى من وقت وجودى بالبطريركية بمصر . لأنه من حين دخولى فيها قد أصبت بمرض فى ذراعى الأيمن لا يهدأ أبداً لا بالليل ولا بالنهار . وقد عاجنى أشهر الأطباء بجميع أنواع العلاج فلم استفيد شيئاً من علاجهم . وذراعى الأيسر قد ابتداء كالأيمن . وزاد مرضى فى أذنى وثقل سمعها . فلا أسمع بها إلا نادراً جداً من الذين يتكلمون بصوت عال و بوضوح . وهذا المرض من أكبر النقائص التى تمنع الكهنوت . فضلاً عن ذلك تعب فكرى الذى أتعبنى جداً حتى طلبت الراحة من كل ذلك . وظننت أنى أرتاح إذا سكنت حلوان فلم أجد راحة بعد أن سكنتها مدة . فاخترت الراحة فى الدير البعيد جداً

(١) هى جريدة أسبوعية كانت تصدرها جمعية أبناء الكنيسة التى كان أبونا داود المقارى من أكثر العاملين فيها تفانياً .

عن الريف لأتعبد فيه وأتوحد كما كنت قبل المطرانية لأن عيشة الاختلاء مع الله يرتاح لها القلب والنفس والحواس . ولعلي أجد هنا ما أملت برحمة الله وإنعامه ... » (١)

والجدير بالذكر أن قداسة البابا وجد في حصن الدير أوراقاً متناثرة فجمعها وتمعن فيها ، وتمكن من أن يعيد صياغتها الى كتب منسقة يستطيع الرهبان (أو غيرهم) الانتفاع بقراءتها .

كما أنه يجب أن نعرف أن الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء لم يسترح الى ما بلغته الأمور من تخرج ، فكتب الى البابا الجليل خطاباً يقول فيه إنه لولا مشاغله الوفيرة لسافر الى الدير لمقابلته شخصياً لكي يرجو منه التكرم بالنزول من الدير الى مقر كرسيه لاستئناف رعاية الكنيسة . وذلك لأن وجوده بالدير يؤثر تأثيراً غير حميد في سير الأمور . وألح رئيس الحكومة على قداسته أن يستجيب لرجائه .

٦٢ - وتحت ضغط الشعب والحاحه ذهب المنيأوى لزيارة قداسة البابا - وليته لم يذهب ! لأن الأنبا مكار يوس كتب بعدها خطاباً الى الأنبا تيموثيوس يطلعه فيه على الآلام التى فاضت بها نفسه نتيجة لهذه الزيارة (٢) . وقد أرسل نياقة المطران بدوره هذا الخطاب الى حبيب المصرى - وهذا نصه :

عن الخطاب المرسل من غبطة البطريرك ومعنا صورة منه بخط يده وقد أوقفت نشره رغم تقديمه محافظة على كرامته والطائفة .

قد رأيتم حضرتكم تحكم سعادة الدكتور ابراهيم باشا فى حين تشرىفه بدير الأنبا بولا لما حتم على بالرجوع لمصر حالاً فلما أوضحت له عدم مقدرتى على ذلك أبداً لأنى منهوك القوى من التعب ولولا مشورتكم على بكتابة هذه من جراء تدخل الباشا فى طلب الحكم على أحد المطارنة وهذا الأمر خارج عن اختصاص المجلس كلية وقد بلغنى أنه سعى فى التحريض على ثلاثة منهم بكل طرق التحريض وضبطت بعض كتابات منه بإمضائه بهذا المعنى وقدم لى بعضها لأحققها فامتنعت حتى لا يثبت ما تبلغ فيها وفى غيرها لأن المشكوع عليه يقدر أن ينكر مضمون الكتابات والخطابات لأنه ليست بخط يده بل مطبوعة واذا رفع بعضهم شكوى ضده فلا يكون - نصيبه اقل من خدش الشرف ومن مضايقتى وعدم مقدرتى إجابة طلبه وعدم مشاركته فيه كنت استغيث منه تضرعاً اليه أن يرحمنى ولا يزعجنى هكذا بل يتأنى على ويرفق بى وأصرح له

(١) العدد الخاص بالنيروز - ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ - ص ٢٤ ، ويلاحظ الأدب الجم الذى يخاطب به قداسة البابا أحد أبنائه العاقين . أما « الريف » فهو بالنسبة للرهبان كل البلاد المصرية خارجاً عن الدير .

(٢) من المفارقات التى يجب تسجيلها أن المنيأوى وكتلته تجاسروا على تغيير البابا الوقور بأنهم هم الذين أوصلوه الى الكرسي الباباوى ، فى حين أن أحداً لم يتجاسر أن يذكر الأنبا يونس بأن الملك فؤاد هو الذى أوصله الى الكرامة الباباوية .

أنى أشعر من هذا باختناق وضغط شديد فى قلبى حتى أشعر انه يحترق كأنه يشوى كما يشوى اللحم على السكارة وأسمع صوت طشاشة على النار وأقول له ارحمنى يا ابنى وأشفق عليه وهو لا يبالى بل يريد أن ينفذ كلامه وكنت أقول هذا الكلام وأنه للمشتكين الذين قيل عنهم إنهم محرضون ولكن لثقتهم بمساعدته لهم ومقدرته على تنفيذ ما أمرهم كانوا يسمعون تضرعى هذا بغير مبالاة وفى مصر كنت متعبا جدا وزيارة واحدة منه فى حلوان أو من أحد أتباعه وأتباعه والله الحمد هم كثيرون كانت تجعلنى لا أذوق النوم مدة يومين أو ثلاثة أو أكثر وقد رتبتم حضرتكم لى لما عرفتم سبب مرضى وانكسار نفسى ولما لم أجد راحتى بالبعد فى حلوان أردت التخلص من هذا كله بالبعد من هذا الوسط الى أبعد دير ولم أرتعبا أبدا من حين وصولى اليه إلا من وقت حضوركم الذى كاد الباشا أن يتجاسر على أن يزيد مما كنت أرى منه سابقا لأنه على زعمه أننى انقلب ضد المجلس فقط لا غير فضلا عن أنى متضايق من أعمالهم ضدى ولو أنى أعتقد تمام الاعتقاد أنهم أبرياء مما ينسب اليهم وغير ذلك فالمجلس الملى يطلب أيضا ماليس من حقه ولا من اختصاصه فيطلب السيطرة على الكنيسة وكهنتها ورؤسائها الامر الغير جائز قانونا ولا عرفا فى كل الكنائس الدنيا أبدا وقد سبقت مرارا عديدة فأشرت على حضرات المطارنة واللجنة التى عينها المجلس للنظر فى أوقاف الأديرة وقلت لهم إن كل ما يتراضوا عليه أكتفى به وأقبله بكل سرور وأسير بمقتضاه لأن كل الطوائف المسيحية الموجودة بمصر تخضع لكهنتها ولأساقفتها وبطاركتها وكل أعمالها سائرة بنظام تام وكانت الفرصة مواتية لى لطلب اشتراك كل أفراد الشعب مع الأوقاف والمطارنة وكل الأعمال النافعة ولا يطلب ذلك من الأديرة هذا لأن جميع الطائفة ملزمين بالاشتراك فى عمل المطلوب أسوة بكل الطوائف الحية فإذا كان كلامه المستعلى فهل مثل هذا الكلام الجاف والزعيق والتهديد سيرخينى فتأبى نفسى أن أكون فى هذا الوضع الغير محتمل ولا مجدى ،

هذا بعض ما قيل فى تعبير غبطة البابا عن آلامه التى صارت آلام الجميع بل سببت آلام الطائفة وما نعانيه الآن من سوء هذا التعريف .

٦٣ - ثم غادر البابا الجليل رحاب الناسك الأول وذهب ليستريح تحت رعاية أبى البرهبان . وفى رحلته من دير الأنبا بولا الى دير الأنبا أنطونى ، نزل من السيارة التى أقلته على بعد مئات من الأمتار ومشى على قدميه هذه المسافة الطويلة . وقد استنتج عدد غير قليل من أحبائه أنه فعل ذلك استغفاراً . ووصل دون أن يكون قد أعطى الرهبان خبراً بعزمه على الاعتكاف فى ديرهم . وما كادت أعينهم تقع عليه حتى هرعوا الى الترحيب به . ثم رجوا منه أن يستريح قليلا ريثما ينظفون الكنيسة . ولكنه شكرهم وظل واقفا متكئا على عصاه . فلم يسعهم إلا أن يفتحوا له باب الكنيسة ليدخلها مباشرة . وحالما وصل الى حجاب الهيكل خر ساجداً على ركبتيه ، وأخذ يبكى بكاءً مرأً ، ويقول بصوت عال سمعه الجميع : « أخطأت إذ صرت بطريركا . لست أريد العودة الى البطريركية . فلأصير كسيحاً أو أعمى . لا أريد العودة . لقد

ندمت ياربى . أليست من توبة للخاطيء؟! » وكان منظر الرجل الوقور ذى اللحية البيضاء الطويلة النازلة على جيب قيصه مهيبا رهيبا الى حد جعل كل الحاضرين يبكون ويتوجعون ويشاركونه أنينه . ثم تجمع البعض منهم حوله ، وانحنوا عليه ، ورفعوه من على الأرض ، واحتاطوا به ، وأخذوا يعزونه . فوجد من أبنائه الرهبان ذلك التجاوب الروحى والتعاطف الإنسانى اللذين كان ينشدهما من أبنائه الذين يحيطون به فى العالم دون جدوى . فتعزت نفسه الجريحة .

٦٤ - ولقد حدث ذات ليلة - وهو مازال فى دير الأنبا بولا - أن قصد بعض أحبائه ومريديه الى زيارته . وضلوا الطريق الى حد أن الليل أرخى سدوله وهم يبحثون عن الدير . وأصابهم شىء من الذعر لئلا يطول توهانهم فى تلك الصحراء القفرة التى ضاعف قفرها الصخور العالية المعترضة للطريق عند كل منحى . فرفعوا بأبصارهم نحو الأفق فى ضراعة صامته . واذ بهم يلمحون قداسة البابا يحيط به عدد من الرهبان ! فتهللوا وتراكضوا نحوهم . ولما وصلوا إليهم سأله واحد منهم عن السبب فى وجودهم خارج الدير فى مثل هذه الساعة المتأخرة . فأجابه بأنه علم بالروح أن بعضاً من المخلصين له آتون للسؤال عنه . فلما استعوقهم خرج مع الرهبان المصاحبين له ، وساروا فى الطريق الآتى من القاهرة ليستقبلوهم . فسار الجميع فى موكب من الفرح إذ قد تجمعت القلوب فى ألفة وتناغم .

٦٥ - وخلال كل هذا المد والجزر ظلت رضى المعركة الانتخابية دائرة . ولما كانت الخطابة والكتابة مفتوحتين على مصراعيها آنذاك فقد استغلها المرشحون : كل حسب شخصيته . فالبعض التزم الأدب وحسن المعاملة ، بينما غيره لم يتورع عن السباب والشتائم المعيبة ! وفى اليوم المعين للانتخاب بالذات - أى قبل أن تظهر النتيجة - نشر نيافة الحبر الجليل الأنبا تيموثيوس كلمة فى جريدة المقطم نقلتها عنها جريدة الوطنية ، قال فيها :

اليوم أو غداً تذاع أسماء حضرات أعضاء الهيئة الجديدة المنتخبة للمجلس الملى العام وسواء أظهرت بين الناجحين عناصر جديدة أو لم تظهر فسيان ذلك عندنا . ولكن الذى يهمنا وهم كل غيور مخلص هو أن تفتح هذه الهيئة المحترمة عهداً بأن يتناول أعضاؤها من الأسرار المقدسة عند البدء بعملهم . وأن يتعاهدوا على الخدمة النزهة الصادقة فى ظل الاتحاد والتضامن بين المجلس والاكليروس . وان يحافظوا على عقائد الكنيسة الأرثوذكسية وتقاليدها وقوانينها المقدسة وأن يقطع حضرات أعضائها عهداً بالتعاون مع أحبارها وفى مقدمتهم غبطة البابا المعظم البطريرك لتنفيذ الرغبات الرئيسية التى تصبو إليها نفوس الجميع لخير الشعب . ولتكن المحبة رائدهم والحكمة شعارهم . والله تعالى يوفقهم ويهديهم إلى ما يرضيه .

المقطم
مساء الثلاثاء ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ .

تيموثاوس مطران الدقهلية

و « الوطنية » تقول إن نيافة المطران يريد بذلك أن يضع تقليداً كريماً للهيئات المليية إلى العمل الطائفي إلا بعد تناولهم من الأسرار المقدسة . وهو تقليد معمول به في جميع الهيئات العامة رسمية وغير رسمية .

ومن المؤسف أن هذا النداء الأبوي الهادىء لم يجد آذانا صاغية ، بل ضاع كغيره من النداءات الهادئة وسط صخب المشاحنات . لأن الأكثر ألماً هو أن الناخبين لم يحاولوا وزن الأمور بميزان المصلحة العامة ، لكنهم إذ وجدوا بين المرشحين أربعة من الباشاوات (١) قالوا : لنضعهم وجهاً لوجه كى نرى ماذا سيعملون ! فأدى هذا التفكير الى استمرار التخاصم ، ولم يؤذ البابا الجليل وحده بل أذى الكنيسة كلها . لأن الموقف داخل المجلس الجديد انطبق عليه قول الشاعر :
متى يبلغ البنيان يوماً تماماً إذا كنت ما تبنيه غيرك يهدمه !

٦٦ — ومع ما تكنه القلوب من محبة وتقدير للأبنا مكار يوس ، فقد أنجح الناخبون المياوى وكتلته ! فزادهم هذا النجاح صلفاً وجبروتاً .

على أن الشعب أعاد حبيب المصرى الى المجلس الملى . وفى هذه المرة لم يستطع الذين تكتلوا ضده فى بداية عهد البابا مكار يوس أن ينازعوه حق البقاء فى عضويته . فلم تكن إرادة الشعب وحدها هى السبب فى عودته بل زادها قوة تصالح قداسة البابا معه . وعلى الرغم من ذلك فقد نازعوه حق الوكالة ..

وما أن أذيعت أسماء الفائزين حتى كتب له كاهن كنيسة السيدة العذراء بمسرة
(شبرا) الخطاب التالى :

فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٤٤

حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا .

تحية واحترام . انى اذ أهنى فلا أهنيكم الا بالصحة السلامة أولاً . اما الفوز بعضويه المجلس الملى فانى أهنىء الكنيسة ورجال الاكليروس وعلى الخصوص والشعب على العموم بشخصيتكم التى نحى فيها الأيمان المستقيم والاخلاص والشجاعة المتزنة والعدل وفوق ذلك المحبة التى هى رباط الكل مؤمنا أن دورة هذا المجلس الجديد ستكون دورة سلام ووثام واتحاد على اساس صحيح بين المجلس والمجمع المقدس وجميع رجال الاكليروس لتكون كرامتهم محفوظة وعلى راسهم غبطة البطريرك لأنه كرامة رجال الدين هى كرامة الكنيسة والشعب — وبذا يسهل تسوية المسائل المعلقة وأهمها مسألة الكنيسة الحبشية وتستعيد الكنيسة مجدداً بحقوقها كاملة

(١) هؤلاء الأربعة هم الاثنان اللذان ورد إسماهما فى ف ٦٦ ومعها مراد باشا وهبة وتوفيق باشا دوس .

وقوانينها محترمة وطقوسها ماصونة كما كانت منذ فجر المسيحية وتظل الى ابد الدهور فيكون لكم
الفخر في الدنيا والثواب في الآخرة .

والله القادر يحافظ عليكم و يوفقكم لكل عمل صالح .

المخلص

القمص ، تادرس راغب

٦٧ - وبالطبع لم يرق هذا الموقف في عيون الآباء المطارنة ، فتشاروا معاً : في مقابلات
لاثنين منهم أو ثلاثة ، ثم في لقاءات أوسع . وأخذوا يتوافدون على قداسة البابا في الدير أفراداً
وفي مجموعات . وخلال اجتماعاتهم مع قداسته بدأت القلوب تصفو . وبتوالي هذه الزيارات ،
وبمرور الأيام امتنع الأنبا مكار يوس بوجوب عودته الى مقره ، مذكراً نفسه بالمثل القائل : « الى
بني كوبرى يستحمل الثقل » .

ومما يجب تسجيله أن رجال الحكومة المسؤولين بذلوا كل جهد لتهدئة نفس البابا الحزين .

ولما رأى أعضاء المجلس الملي ما بذله أحمد ماهر باشا لإقناع البابا الجليل بالعودة ،
اجتمعوا في هيئة جمعية عمومية وكتبوا خطاباً لقداسته أعلنوا فيه خضوعهم وطاعتهم وولاءهم له ،
كما تعهدوا بالمحافظة على حقوقه الراعوية وكرامته الأبوية . ووقعوا بالإجماع على هذا الخطاب
الذي حمله اليه بعض منهم .

وتحت هذه الضغوط التي توالى على البابا الوقور ، وتلبية لإخلاص رئيس الحكومة
ولتعهد أولاده بالحفاظ على كرامته ، عاد الى الدار الباباوية يوم السبت ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤ .
ولم يكن يدري أن تصالحه مع إخوته المطارنة سيضاعف من هجوم المنيأوى وكتلته على الرغم من
تعهدهم بتكرمه ! فلقد نسوا الاحتشام الواجب نحو الأب الروحي وأعلنوا أنه هو الذي نقض عهده
معهم ! ...

٦٨ - وقبل البدء في الحديث عن المشكلة الاثيوبية في عهد الأنبا مكار يوس الثالث ،
يجدر بنا أن نقف لنراجع صلة الكنيستين : القبطية والاثيوبية على مدى ١٦١٨ سنة - أي منذ
أن رسم الأنبا أثناسيوس الرسولى أول مطران لتلك البلاد الشقيقة سنة ٣٢٦ . إذا لا يليق بأولاد
الكنيسة القبطية - بل بخدام يخبونها الى حد خدمتها - أن يقولوا : « فإسمعنا أن بابا قبطيا أمر

بإنشاء ملجأ أو مدرسة في اثيوبيا ، أوقام ببناء عدد من الكنائس كما يحدث في إيبارشيات مصر والقدس ...» (١) .

ولنبداً من بداية الانقسام الذى نتج عن خلقيدون إذ قد أجمع المؤرخون على أن الاثيوبيين شاركوا إخوتهم المصريين إيمانهم الأرثوذكسى الذى تعلموه منهم كما شاركوهم عداءهم للإمبراطورية البيزنطية . ثم حينما دخل العرب مصر واستطاع الأنبا بنيامين أن يعود الى مقر رياسته و يتفقد شعبه أولى الاثيوبيين عنايته .

ولقد عاش أسقف اسمه يوحنا النيقوسى ، كتب سير الشهداء كما كتب تاريخاً عاماً منذ بدء الخليقة الى أيامه واختص مصر بتفاصيل خاصة فى هذا الكتاب . وبما أنه سابق على الفتح العربى فقد كتبه بالقبطية . ولما كان بعض طالبى الرهبنة من الاثيوبيين يحضرون ليعيشوا فى برية شيهيت بالذات ، فقد حدث أن تعاون أحدهم مع شماس قبطى فترجماً معاً تاريخ النيقوسى الى اللغة الحبشية القديمة .

ثم حدث سنة ٩١٩ أن رسم مطران لاثيوبيا باسم الأنبا بطرس فتسلم مهام رعايته وسهر على الشعب كأب حريص . وبعد شهرين من وصوله مرض الامبراطور ، وأحس فى نفسه بأنه المرض الأخير . فدعا نيافة المطران الى جانبه وأطلعه على إحساسه ، ثم قال له : « أنت تعرف أن إدارة شؤون المملكة تتطلب التعقل والاتزان . فعندما أنتهى من هذه الحياة أرجو اليك أن تعنى بتربية ولدى — الأميرين — فتهيؤهما لهذه المسئولية . ومتى بلغا سن الرشد وازن بين كليهما وأعط الملك لمن تراه أكثر مقدرة » . ونفذ الأنبا بطرس وصية الامبراطور بضمير يقظ ، ثم رأى أن الأبن الأصغر أكثر حكمةً ومقدرة . فلم يتردد فى أن يمسه امبراطوراً ... ولقد كان تصرف الأمير الأكبر تصرفاً أهوج الى حد أنه تسبب فى جفوة بين الكنيستين استمرت لستين سنة ! (٢) ...

(١) راجع كتاب « مكار يوس الثالث ... » ص ٧٨ ، وهنا لى الحق فى سؤال من تجاسر وكتب هذه الكلمات : هل عدم سماعكم معناه أنه لم يحدث؟! أما عن بناء الملاجىء فلم يحدث فى مصر نفسها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر لأن المحبة لم تعد ملتية! فقد كان القبط (قبل ذلك) يتبنون اليتامى ويربونهم مع أولادهم سواء بسواء حتى ينشأوا بين أب وأم وإخوة ولا يشعروا بأنهم « أولاد ملجأ » . ومن أروع الأمثلة على هذا التبنى البابا يوساب الأول الذى تيمم من أبويه فوجد أباً وأماً بالتبنى — راجع سيرته فى ح ٢ من هذا الكتاب . الفصل المعنون « ضربة قاصمة » . أما عن المدارس والكنائس فإن كل مطران فى إيبارشيته هو الذى يبنها سواء فى أنحاء مصر أو فى القدس ، لأن المطران فى إيبارشيته هو المسئول عن الشعب الذى أقامه الله راعياً عليه . وهذه المناسبة ذكرنى تعليق الكاتب الخادم القبطى بما جرى بين طالب أمريكى وأستاذنا دكتور جوردون المصرولوجى الأمريكى الكبير حينما كنت أدرس بكلية دروسى بفيلا دلفيا . فقد كان الأستاذ يتحدث عن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ، فسأله الطالب : « ومن هو؟ » أجابه : « هو عملاق من عمالقة الكنيسة القبطية » . فرد الطالب بقوله : « ما سمعت عنه الى اليوم » . فكانت إجابة دكتور جوردون حاسمة إذ قال : « ليست هذه غلطة شنودة ؟ » وأنا بدورى أقول لمن لم يسمعوا بأى نشاط كنسى مصرى فى اثيوبيا : « ليست غلطة باباوات الكنيسة القبطية . ففتشوا الكتب وابحثوا ودققوا ثم احكموا » .

(٢) راجع ح ٢ من هذا الكتاب ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٨٦ - ٢٨٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ .

ومن غرائب الأحداث أن فيضان النيل جاء شحيحاً في أواخر القرن الحادى عشر ، فى باباوية الأنبا ميخائيل الرابع (البابا الـ ٦٨) . وأشيع أن الاثيوين وضعوا العراقيل فى مجراه كى لا يفيض المقدار اللازم ! وبالطبع امتلأت القلوب فزعاً من هذه الإشاعة فرأى الخليفة أن خير من يتوسط فى هذا الموضوع هو البابا المرقسى الذى رحب بالاقتراح وسافر لتوه . ولما علم الامبراطور بمهمته أجاب : « إننا لم نضع أية عراقيل عمداً ، ولكن ربما يكون قد وقع فى مجرى النيل بعض الصخور أو الاشجار نتيجة للعواصف » . وأرسل الامبراطور رجاله لتنظيف المجرى ففاص النيل الفيضان المطلوب .. وهنا نجد أن الصلة بين الكنيستين شملت أيضاً الاحتياجات المادية وتجاوب الطرفان لها .

ولقد كان للاثيوين دير خاص بهم فى برية شيهيت بناه لهم الآباء الأقباط فى أوائل القرن الثانى عشر حين وجدوا عددهم يتكاثر فى تلك المنطقة . ويجب أن نذكر أن كل الأجانب الذين كانوا يعيشون فى برارينا وفى أديرتنا كان معلومهم من الآباء القبط . ومن الأدلة على وجود الاثيوين — وغيرهم — أنه عثر على مخطوطين : تنقسم كل صفحة من صفحاتها الى خمسة أعمدة ، يختص كل عامود بلغة مختلفة عن الأخرى ، واحدى هذه اللغات الحبشية .

ونجد سنة ١١٨٥ أن الأنبا اسحق الذى رسم مطراناً على اثيوبيا تلك السنة قد استصحب معه عدداً من مهرة الصنائع والفنانين القبط ، وهؤلاء قد بنوا الكنائس الجديدة ورموا القديمة .

وفى أواخر القرن الثالث عشر ، وعلى امتداد الرابع عشر ، قامت حركة واسعة النطاق لترجمة الكتب من العربية والحبشية القديمة الى الأمهرية والجفرية (اللتين أصبحتا أكثر اللهجات استعمالاً) . وقد رأس هذه الحركة الروحية الفكرية نيافة المطران (القبط طبعاً) . حتى لقد عبر الاثيويون عن تقديرهم له بأن لقبوه (الأب تراجوامانا) فكلمها تعاون القبط مع إخوتهم فى العصور الأولى على الترجمة من القبطية الى الحبشية القديمة ، هكذا تعاونوا فى هذه الحقيقة على الترجمة من العربية والحبشية القديمة (١) .

والكتب — وإن تكن من أعظم ما قدمته الكنيسة القبطية لأبنائها الاثيوين — فهناك تقدمات أخرى لا تقل عنها عظمة . فمن بين الأعمال المعمارية الضخمة سلسلة من الكنائس شيدت فى حكم الملك لا ليبالا ، منحوته فى الصخر والمخطوطات المتبقية من هذا العهد تعرفنا أن الأقباط الذين بنوها (٢) .

(١) « ترجمات من العربية الى الأدب الاثيوبى » (بالانجليزية) للدكتور مراد كامل نشره فى مجلة الآثار القبطية ، العدد السابع سنة ١٩٤١ - ص ٦١-٧١ .

(٢) « كنائس لاليبالا الضخمة » (بالانجليزية) — مقال للويس فيند لاي بالانجليزية نشره فى مجلة الآثار القبطية ، العدد التاسع سنة ١٩٤٣ ، ص ٢١-٣٣ ، كنيسة الاسكندرية فى افريقيا للدكتور زاهر رياض ص ٩٨-٩٩ ؛ راجع أيضاً « السياسة الفاشية فى اثيوبيا » للمؤلف نفسه ، مقال نشره فى مجلة « نهضة افريقيا » العدد الثالث عشر يناير سنة ١٩٥٩ - ص ٢٤-٢٥ ، وحد ٣ من هذا الكتاب ص ٣٩-٤٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦-١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٩٠-١٩١ ، ٢١١ ، ٢٧٥-٢٧٩ ، ٢٩٢-٢٩٣ .

وفى منتصف القرن التاسع بعث الانجليز بدعاة التبشير. فى زى ضباط الجيش الى امبراطور اثيوبيا . وهؤلاء أقنعوه بأنهم إنما جاءوا ليدربوا جيشه على أحدث أساليب القتال . فرحب الامبراطور بهذا الأمر . ولكن الأب المطران علم بالروح حقيقة هؤلاء « الضباط » ، فأندر الامبراطور أولاً ثم دارت المكاتبات بينه وبين الأنبا بطرس الجاولى (البابا الـ ١٠٩) . فرأى هذا الراعى الساهر أن الوضع أخطر من أن ينتهى بالمكاتبات ، فاستقدم القمص داود الأنطونى وزميلاً له فى الرهبنة هو القمص برسوم وأوفدهما الى اثيوبيا حيث قضى سنتين (ما بين سنة ١٨٥٢ - سنة ١٨٥٤) . وأنجحت النعمة اللاهية مساعهما الى حد أن الامبراطور طرد هؤلاء الضباط من بلاده (١) .

ويجب أن نذكر أن البابا الوقور كيرلس الخامس قد شمل الشعب الاثيوبى بالرعاية التعليمية . فقد أرسل سنة ١٨٩٨ خطاباً الى كل من نيافة الأنبا متاوس والامبراطور منليك يوصيها على شاب قبطنى اسمه جرانت عصفور . فما إن وصل الخطابات حتى استدعيا الشاب المذكور واستفهما منه عما يطلبه . أجاب بأنه يرغب فى افتتاح مدارس للتعليم الابتدائى يتولى التدريس فيها شبان قبط ليضمن أرثوذكسية التعليم الدينى فيها فراقت الفكرة لصاحب النيافة ولصاحب العرش الذى أرسل رده الى البابا الوقور بموافقته (٢) .

أما الأنبا يؤنس الـ ١٩ فقد زار الاثيوين زيارة راعوية . كذلك قدم لهم كل ما يمكنه من عنده ومن شعبه حينما عانوا مرارة الحكم الإيطالى كما ورد فى الفصل السابق لهذا مباشرة .

... بعد هذا الملخص الموجز الذى تحتم سرده إنصافاً لما بذله آباؤنا من جهود فى سبيل الاثيوين نعود لنتابع مجرى الحوادث فى عهد الأنبا مكارىوس الثالث .

فلقد بين لنا أن المنيأوى وبعضاً من رجال المجلس الملى يعاونهم القمص ابراهيم لوقا قد تكتلوا مع ليفوز المطران الأسيوطى بالسدة المرقسية . ولئن كانت الحقيقة مريرة إلا أن الولاء للكنيسة يحتم سردها . وهذه الحقيقة الموجهة هى أنهم كانوا يريدون الاستئثار بالسلطة على كافة المرافق الكنسية وهيئات لعابد السلطة أن يراعى حرمة للحق . لذلك فإن القمص ابراهيم لوقا اتفق مع بعض أنصاره أن يروجوا إشاعات مؤداها أن أنبا كيرلس غير كفء للقيام بأعباء الرعاية لشعب كبير كالشعب الاثيوبى ! (٣) وليس ذلك فقط بل لقد أرسل بعض مرديه الى

(١) حـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٤ ، ٤٦ - ٤٧ ، ٨١ ، ٢٨٠ - ٢٨٤ و ٣٢٨ - ٣٣٠ ، راجع أيضاً مجلة مدارس الأحد - العدد العاشر للسنة الثالثة - ديسمبر سنة ١٩٤٩ . وهذا العدد بأكمله عن اثيوبيا وجميع مقالاته كتبها قبط ممن عاشوا فى اثيوبيا أو زاروها . ومن أبداع ما جاء فى العدد مقالان : أولهما للمؤرخ كامل صالح نخلة بعنوان : « هكذا أحب الباباوات اثيوبيا » ص ١١ - ١٢ وثانيهما للعلامة مراد كامل بعنوان : « هكذا أحببنا اثيوبيا الباباوات الاسكندرية » ص ١٣ - ١٥ . ومرة أخرى : من له أذنان للسمع فليسمع .

(٢) انظر ف ١٦ من سيرة الأنبا يؤنس الـ ١٩ .

(٣) ستأتى التفاصيل الخاصة بهذا العملاق الروحى عند سرد سيرته .

اثيوبيا للغرض عينه . وكان قد جال في أذهان بعض رجال المجلس الملى أن يؤسسوا جمعية
مصرية - اثيوبية . ولكن مع الأسف وقفت هذه الفكرة عند حد طبع السجلات الخاصة
والكليشيات اللازمة نتيجة لتلاعب القمص . ابراهيم لوقا . بل لقد أدى هذا التلاعب الى نتيجة
مؤسفة أخرى هي أن الأمير ماكونن (الابن الأصغر للإمبراطور هيلاسلاسى) فكر فى الزواج من
ايضا البنت الثانية لحبيب المصرى . ولكنه عدل عن تنفيذ فكرته وقرر الزواج من اثيوبية إذ لم ترقه
تصرفات وكيل البطريركية !

وفى يونيو سنة ١٩٤٤ أوفد الأنبا مكار يوس وفداً برياسة الأنبا تيموثيوس لمقابلة
هيلاسلاسى والتفاهم معه على رغبات شعبه وإمكانية تنفيذها . وقبل أن يغادر الوفد أديس أبابا
فى طريق العودة التقى رئيسه بنيافة الأنبا كيرلس الذى حمل شريكه فى الخدمة الرسولية خطاباً
سرياً لقداسة البابا أطلعه فيه على الوقائع التى يعيشها الاثوبيون .

وعاد الوفد الى الوطن . ورفع نيافة الأنبا تيموثيوس تقريره مشفوعاً بخطاب الأنبا
كيرلس الى البابا الجليل .

ولما كان ابراهيم لوقا وكيلاً للبطريركية فقد تمكن من الاطلاع على هذا الخطاب الذى
كان يجب أن لا يطلع عليه غير صاحب القداسة وحده . فاستغل الوكيل منصبه بأن أعطى
الخطاب للمنياوى . وهذا بدوره نشره على صفحات الجرائد ! وفى الحال قامت أزمة خطيرة بين
الكنيستين ، بل بين البلدين أيضاً لأن الخطاب كان يتضمن أسراراً عن العلاقات بين الأسرة
المالكة والكنيسة من جهة ، وبينها وبين الشعب من الجهة الأخرى .

ولقد ضاعفت هذه الأزمة من أوجاع الأنبا مكار يوس كما ضاعفت من اختلال الأمور .
فلما فاض الكيل بالبابا الجليل استهل عام ١٩٤٥ بإقالة القمص ابراهيم لوقا وتعيين القمص مرقس
سرجيوس بدلاً منه .

وفى ٢١ مايو سنة ١٩٤٥ - بعد خمسة شهور من عودة البابا الوقور الى مقرر ياسته - دعا
المجمع المقدس الى الانعقاد وتناقش مع أعضائه فى المطالب الاثيوبية . ثم قرروا بالإجماع رفضها
لتعارضها مع قوانين الكنيسة . وأرسلوا قراراتهم الى الحكومة الاثيوبية التى عاودت إلحاحها
لاستجابة طلباتها . ولكن الموضوع ظل معلقاً الى أن آلت الباباوية الى الأنبا يوساب الثانى .

٦٩ - وعلى الرغم من الضيق ومرارة النفس ، ومع قصر مدة باباوية الأنبا مكار يوس ،
فقد تمت خلالها زيارتان لها أهميتها التاريخية . وقد كانت الزيارة الأولى مساء يوم الإثنين ٢٠
أبريل سنة ١٩٤٥ - وهى زيارة الملك فاروق للدار الباباوية ، ليفتح أسبوع النشاط المدرسى

الذى أقامته مدرسة الأقباط الكبرى (١) . فاستقبله قداسة البابا يحيط به عدد من مطارنته . وكان لقاءً حاراً تعانق فيه الأنبا مكار يوس ومليك البلاد فى مودة واضحة . كذلك تجمع حول الآباء عدد من كبار رجال القبط وأعضاء المجلس الملى . وبعد تبادل التحيات ، استراح الجميع فى السرادق الفخم الذى أقيم خصيصاً لهذه المناسبة . ثم قام البابا ومعه الملك فتفقدا المعروضات المختلفة على مدى ساعة من الزمن . وفى أول مايو قصد الأنبا مكار يوس بصحبه عدد من المطارنة الى قصر عابدين وقدموا شكرهم للملك .

أما الزيارة الثانية فكانت من غبطة بطريرك روسيا . فقد وصل الحبر الكبير الى القاهرة صباح الأربعاء ٦ يونيو سنة ١٩٤٥ . وأوفد الأنبا مكار يوس بعض المطارنة لاستقباله على المحطة . وبعد الظهر من اليوم عينه ذهب قداسة البابا بنفسه يصحبه خمسة من المطارنة لزيارة الضيف الكبير فى كنيسة الروم الأرثوذكس بالحماوى (قرب الموسكى) . ثم رد البطريرك الروسى هذه الزيارة فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٨ يونيو . وقد خف للقاءه الكهنة والشمامسة بشياهم البيضاء ، فوقفوا فى صفين من بوابة فناء الكاتدرائية الى بابها . أما المطارنة فوقفوا عند مدخل الكاتدرائية . بينما جلس البابا الجليل على أريكة تحت منبر الكنيسة تتسع لجلوس ثلاثة الى جانبه . وما أن وصل الضيف الى مدخل الكاتدرائية حتى قرعت الأجراس إيذاناً بوصوله . وكان بصحبته اثنا عشر مطراناً روسيا وغبطة بطريرك أنطاكية الأرثوذكسى ومطارنته من الأقليم السورى . فدخل الجميع الى الكنيسة يتقدمهم الكهنة والشمامسة القبط ينشدون الألحان الكنسية المناسبة . وجلس كل فى المكان المعد له وفى تلك المناسبة لم يجلس من العلمانيين الى جانب الآباء المطارنة غير أربعة : اثنين الى جانب كل صف . فمن ناحية جلس توفيق دوس باشا وعزيز مشرقى المحامى ، ومن الناحية الأخرى حبيب المصرى وأيوب صبرى صاحب جريدة الوطنية . وقد رفع صلاة الشكر نيافة الحبر الجليل مطران القدس ، كما كان الأنبا توماس مطران الغربية على رأس الكهنة والشمامسة وهم يرددون المردات الكنسية العذبة وبعدها ترنم — بمفرده بلحن باللغة اليونانية : ترنم بصوته الرنان الحنون تكريماً للضيوف (٢) .

فلما انتهت الصلوات صعد الجميع الى الدار الباباوية وجلسوا فى صالونها . وقد جلس عن يمين الضيف الكبير حبيب المصرى وتوفيق دوس ، فالمطارنة ، فرؤساء الأديرة . وقد جلس مقابلهم وزيراً روسيا وأثيوبيا المفوضان ، فنيافة مطران القدس ومطران الأقصر . وبعد تبادل الحديث الودى وتناول المرطبات قام الضيوف لينصرفوا . فنزل قداسة البابا وكل من معه ليودعوهم عند البوابة

(١) هى التى بناها البابا كيرلس الرابع الى جانب الكاتدرائية المرقسية ثم هدمها المسئولون عن الكنيسة فى أواخر سنة

١٩٨١ .

(٢) والحقيقة أن صوت الأنبا توماس كان يهز القلوب هزاً .

ويعلق أيوب صبرى على هذه الزيارة فى ختام مقاله عنها بقوله : « أما القمص سرجيوس وكيل البطريركية فأليه يرجع الفضل فى إتمام هذه الزيارة الميمونة ، فقد كان الحركة الدائمة والعقلية المفكرة ورسول الخير والسلام والعمل الجدى بين الكنيستين لإنجاح هذه الزيارة بحيث جاءت كما أرادها : مشرفةً للكنيسة القبطية رافعةً رأسها بين أخواتها الكنائس الأخرى » .

٧٠- على أنه بالرغم من هاتين الومضتين ظل التوتر والقلق سائدين . بل إن الجفاء أخذ يتزايد منذ أن تولى القمص سرجيوس وكالة البطريركية لأنه جعل من نفسه سياجاً قوياً بين قداسة البابا وبين من يهدفون الى الافتئات عليه . وبعمله هذا برهن على ولائه للجالس على كرسى مارمرقس فأدخل شيئاً من الطمأنينة على نفسه الجريحة : تلك النفس التى لم تذق غير الوجع والحزن منذ بلوغها الباباوية .

٧١- ولم يمضى غير شهرين وخمسة وعشرين يوماً على قيام البابا مكار يوس برد الزيارة لبطريرك موسكو حتى استودع قداسته روحه الطاهرة فى يدي الآب السماوى . فوصل الى ميناء السلام بعد أن جاز العواصف والأنواء . وكانت المدة التى قضها على الكرسى المرقسى سنة وستة شهور وستة وعشرين يوماً . وخلال هذه الفترة القصيرة لم يرد أن يرسم أى أسقف ، لأن الندم الذى جرفه على بلوغه الى الباباوية أهب ضميره فجعله يتراجع عن استعمال سلطانه فى رسامة الأساقفة .

وقد نشرت جريدة « المصرى » فى ١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ الخبر التالى :

نعى من البطريركية

بأسف بالغ ينعى مطارنة الكنيسة القبطية وأساقفتها ووكيل المجلس الملى العام وأعضاؤه الى الأمة المصرية خاصة والى الأمم الشرقية عامة رئيساً دينياً عظيماً وكبيراً للأخبار جليلاً هو صاحب الغبطة والقداسة الأنبا مكار يوس الثالث بابا وبطريرك الكرازة المرقسية والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية .

انتقل الى الأجداد السموية فى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ مسرى ١٦٦١ ٣١ اغسطس ١٩٤٥ متمماً رسالته الدينية . ولد غبطته بالمحلة الكبرى فى صباح الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ وانتظم بسلك الرهبنة بدير القديس الأنبا بشوى فى سنة ١٨٨٨ وسيم قسا بيد المثلث الرحمات الأنبا يوانس سنة ١٨٩٢ وفى سنة ١٨٩٥ استدعاه المتنيح الأنبا كيرلس الخامس وسامه قصاً وعينه سكرتيراً خاصاً لغبطته وفى سنة ١٨٩٧ تمت رسامته مطراناً لأسيوط وكان عمره ٢٥ سنة . وبعد أن قضى فى هذه الرتبة ٤٧ سنة مطراناً وقع عليه الاختيار ليكون عظيماً لأخبار الكنيسة القبطية على أثر نياحة المثلث الرحمات الأنبا يوانس

التاسع عشر واحتفل بتنصيبه بطريركا فى يوم الأحد ٥ أمشير ١٦٦٠ - ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤ باسم الأنبا مكارىوس الثالث وهو المائة والرابع عشر فى عداد باباوات الاسكندرية .

وسيحترف بالصلاة عليه فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الأحد ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ .

أسكن الله نفسه البارة مساكن الأبرار وأهم أبناء الكنيستين المصرية .

أما جريدة أخبار اليوم فبعد نشر الخبر عقبته عليه بمايلى :

ومن المصادفات الغريبة ان يموت شيخ الإسلام و بطريرك الأقباط فى النصف الأخير من اغسطس ، وهكذا شاء القدر أن يتعانق الصليب والهلل فى الحياة والموت .

والإنسان حين يدهش لحادث ما يعتبره « من المصادفات » ، ولكن تدبير الله اللا مدرك فيما يتعلق بمصائر الناس ليس فيه « مصادفات » .

٧٢- كانت الأقصر وإسنا وأسوان تؤلف إبارشية واحدة فى عهد الأنبا يونس ال ١٩٠٠ . فلما شغل كرسيها اختار له الراهب باسيلوس الأنطونى .

وقد ولد هذا الراهب بمدينة المنصورة من أبوين تقيين دعياه شفيق صبرى ، وكان وحيدهما . ويبدو أن اختيارهما للاسم كان إلهاما لأنه كان شفيقا للغاية صبورا للغاية . ولقد تيم من أبيه فى سن مبكر ، فربته أمه التربوية المسيحية الحقة . لذلك اشتغل حالما تخرج من الكلية . وكانت الوظيفة التى انفتحت أمامه فى سكك حديد السودان . ولكن الاضطرار الى كسب القوت لم يخمد النار الملتهبة فى داخله نحو الحياة النسكية . فكان يشتغل نهاراً فى عمله الوظيفى ، أما لياليه فكانت ملكاً له . فكان يقضيها فى قراءة الكتاب المقدس ، وكتابات الآباء ، وفى الصلوات الصادرة عن أعماقه . وهكذا استطاع أن يعيش فى ألفة مع الله على الرغم من التزاماته العالية .

وبعد اشتغاله بالوظيفة ثمانى سنوات ، وجد أن أمه لديها ما يكفيا للحياة . فاستأذنها وقصد الى الاكليريكية فى بداية العام الدراسى لسنة ١٩٣٢ . وقد قضى ثلاث سنوات فى هذه الدراسة فزادته محبة للكنيسة ورغبة فى التنسك . فدفعته هذه المحبة وهذه الرغبة الى أن يذهب الى القدس عند نهاية العام الدراسى لسنة ١٩٣٥ . وهناك اعترف للأنبا ثيوفيلس مطرانها الجليل بالرغبة التى طالما اشتاق الى تحقيقها . وأدرك رجل الله صدق هذا الشاب فرهبته باسم باسيلوس . ومن ثم قصد الى دير أبى الرهبان . وكان سعيه نحو الكمال فى مثابرة وهجة الى حد أنه لم يبق بالدير غير تسعة شهور . لأن كرسي الأقصر خلا إذ ذاك فزكاه رئيسه وإخوته لهذه الكرامة

تزكية إجماعية . وفرح الشعب بهذه الثقة الإجماعية واستصبحوا الراهب باسيلوس الأنطوني الى الدار الباباوية بالقاهرة حيث رسمه الأنبا يونس أسقفا باسمه الرهباني في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦ (١) .

وما إن انتهت شعائر الرسامة وطقس التسليم (٢) ، حتى بدأ الأسقف الجديد عمله فقد كان صورة حية لشخصية مطران قديس أدرك في عمق الكرامة التي أخذها من الله ، وأحب في نقاوة قلب إيبارشيتته التي ائتمن على رعايتها . ولما كان مسئولاً عن ثلاث محافظات فقد كانت هذه الإيبارشية مترامية الأطراف . فبدأ عمله بزيارة راعوية تنقل فيها بين القرى والكفور ثم بين المدن ، وعمل مسحاً شاملاً لسكانها . وعلى ضوء هذه الزيارة الراعوية الأولى ، نظم زيارته التالية . ومما يجب ذكره بالاعتزاز أن الأنبا باسيلوس وجه عناية خاصة بالمعوزين والمستورين : فكان يزور الفقراء قبل الأغنياء . فثلا زار ذات مرة أرملة فقيرة وحيدة إذ لم يكن لها أولاد . فلما دخل الغرفة الحقيبة التي تقطنها قدمت له كرسيًا خشبياً منخفضاً وجلست هي على الأرض إذ كان الكرسي الذي قدمته للأسقف هو الكرسي الوحيد لديها . وجلس عليه في صبر ودعة يصغي الى كل ما تريد أن تقوله . فما انتهت ، ووقف ليعطيها البركة ، أعطته خمسة قروش وهي تعتذر في خجل . فشكرها وأخذها منها . ولما انصرف رفعت الكرسي الذي كان جالساً عليه فوجدت أنه ترك لها تحته خمسة جنبيات (٣) .

ودأب على الجهاد من أجل شعبه حتى حين كان يحضر الى القاهرة لحضور المجمع المقدس أو للسؤال عن والدته المكرمة . فكانت بعض المجلات القبطية تنشر أخبار جهاده من حين الى حين كما يتضح لنا من الخبر التالي :

ذكرنا في العدد الماضي كلمة موجزة عن المجهودات القيمة التي يبذلها حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا باسيلوس أسقف كرسى الأقصر وإسنا وأسوان لنشر الوعظ ومدارس الأحد والمكاتب القبطية في جميع بلاد وقرى الأبروشية .

وقد كان نيافته أخيراً بالقاهرة وتكلم في بعض الكنائس عن حاجة الأبروشية الى

(١) يقول القمص تاوضروس السرياني إن الرسامة تمت في ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وسواء كانت في سبتمبر أو في أكتوبر ، فقد نال الكرامة الأسقفية في الربع الأخير من سنة ١٩٣٦ .

(٢) لما كانت الرسامة تتم في الكاتدرائية المرقسية في العاصمة ، فإن التقليد يقضى بأن يستصحب الأسقف الجديد أسقف (أو أكثر) منتدباً من قداسة البابا ، الى مقر الكرسي الجديد . ويحمل المندوب الباباوى المخطوط المسجل فيه طقس الرسامة . وعندما يصلون الى الكنيسة الرئيسية التي ستصبح مقراً للأسقف الجديد ، يسلمونه مفتاحها فيفتحها ، ويدخلها في موكب بينما الكل يرددون الألمان الخاصة بهذه المناسبة . ثم يرفعون صلاة الشكر ، يقرأ بعدها الأسقف المرافق طقس الرسامة ، ويستكملون هذه التلاوة بالشعائر الكنسية التي رتبها الآباء .

(٣) من نعمة الله على أننى كنت أعرف الأنبا باسيلوس شخصياً . وقد روى لى قصة الأرملة المذكورة طبائخنا القبطى الأقصرى الذى كانت عائلته تعيش في قرية الرزيقات .

تعزيد الشعب القبطى حتى تتمكن من أداء رسالتها على الوجه المطلوب فتقدم الكثيرون—
تدفعهم الغيرة على بناء أسوار أورشليم المنهدمة— باشتراكهم وعطاياهم . والأمل وطييد فى أن
يستمر حضراتهم على هذا التشجيع وأن يحثوا الآخرين أيضا للاشتراك فى هذا العمل الطائفى
الجليل .

وبعد أن وزعت الخدمة بين جمعية نهضة الشبيبة القبطية الأرثوذكسية وجمعية جنود المسيح
القبطية الأرثوذكسية كما أوضحنا أصبحت تقوم كل منها الآن بالخدمة بنشاط وغيره .

وقد أهتمت جمعية النهضة بتنظيم مكتبها وجلبت لها أغلب أنواع الكتب والصور الدينية
حتى أصبح الآن من اليسور لكل مسيحي فى الأقصر والبلاد المجاورة أن يحصل على ما يلزمه من
هذه المطبوعات بأقل الأسعار . فترجوها كل تقدم فى خدمتها الجليلة (١) .

وسبحان الله فى حكمته اللا مدركه : فهذا الأسقف الذى منحه الآب السماوى أن
يجمع بين التخشع الباطنى والعمل الدائب ، لم يعطيه غير ما يقرب من إحدى عشرة سنة ليرعى
هذا الشعب الجائع العطشان . فبعد أن ابتهج هو وشعبه بعيد القيامة المجيد سنة ١٩٤٧ بخمسة
شهور ، اضطر الى دخول مستشفى نجع حمادى العام حيث وجد الأطباء أن مصرانه الأعور ملتها
إلتهابا حاداً مما اضطرها الى الانتظار وإجراء ما يمكنهم لإزالة هذا الإلتهاب قبل إجراء العملية
له . ولكن الآب السماوى— فى شامل رأفته— نقله الى مساكن الأبرار خلال فترة الانتظار .
فطارت روحه الى الفردوس فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ . فصح عليه رثاء النبى : « غربت شمس
اذ بعد نهار » (٢) .

كاد يصرعنا بقدر ما روعنا ، نبأ انتقال السيد الجليل ، والحبر التقى النبيل ، الطيب
الذكر والخالد الأثر ، مثلث الرحمات ، نيافة المتنيح الأنبا باسيلوس مطران كرسى الأقصر واسنا
وأسوان . على إثر عملية جراحية ، صعدت بعدها روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى والأسمى
لتستريح إلى يوم الجزاء ، عن حياة وكفاح ونضال وصراع ، ظل الى يوم أن رقد ، رجل بر وفضل
وكمال . فكان نصره فى كل ذلك نصراً علماً مبيناً .

فأن نعيناه أو بكيناه ، فانما ننعى فيه شخصيته الهادئة الوديدة الممتلئة سماحة ودعة ،
المتجملة بالبساطة والرقة والعدوبة المسيحية الخالصة . مثل راقٍ فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى
الصالح فى تواضعه الكرم وأدبه الجم الوفير .

(١) رسالة المحبة— العدد الرابع للسنة الخامسة— أبريل سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٥-٣٠٦ . ويوسفنى أننى لم أعر على « العدد
السابق » .

(٢) قال أرميا النبى هذه الجملة فى توجعه على أورشليم ، وقد أوردها فى ١٥ : ٩ .

مفخرة لكليتنا الاكلير يكية . عقلية متزنة . روحانية متقدمة . غير ملتبهة . قناعة وزهادة
فى الطعام والشراب واللباس . اقتدار على الوعظ والتعليم بلهجة روحية فعالة مؤثرة . لن ننسى له
مرة يوم خطب فى إحدى كنائس القاهرة داعياً الشعب لتأييده فى مشروعاته الاصلاحية . فقد
كان حديثه حماسة وقوة انطلقت من قلبه قبل لسانه ، فكانت دعوة حارة استجابت لها دموع
السامعين ، وكانت سخينة فصهرت القلوب وأذابت تحجرها . فانسابت الأيدي فى سخاء عظيم .
ولم يكن أحد يحس فى كل ذلك أنه قد عمل الا أقل ما يجب عليه لتشجيع هذا الراعى الصالح
النشط ...

سلام عليك ياسيدنا فى دار الحق والخلود . فلتسترح ولتنتظر يوم يأتى راعى الرعاة
الأعظم فيتوجك بأكليل المجد الذى لا يبلى (١) .

ولما كان من خريجي الأكلير يكية ومن المقترمين بها كتب - تلبية لطلب حبيب
جرجس - الرسالة التالية :

يسرنى جداً أن أعلن أن المدرسة الاكلير يكية ، أصبحت مبعث الانتعاش الروحى
والنهوض ، فى عصر أصاب الحياة الدينية فيه فتور وركود . وعشمتى أن تظل المدرسة باذن ربنا
يسوع المسيح ، وبإدارة حضرة الاستاذ القدير والمضحى الغيور والمدير الجليل حبيب بك جرجس ،
سائرة فى طريق الرقى حتى تتحقق الآمال بأحياء مجد اجدادنا الذين رووا الأرثوذكسية
بدمائهم ، وفدوا الأيمان بأرواحهم ومهجمهم .

قبل أن تختارنى نعمة الله اسقفاً ، قضيت بالمدرسة الاكلير يكية ثلاثة أعوام ، طالباً
لمست خلالها جهود الاستاذ المدير الجبارة ، وحملاته الموفقة للنهوض بهذه المدرسة حتى تصبح
للطائفة العزيزة نوراً وللأرثوذكسية المصرية قوة وحياة ، والاكليروس الرشيد منهلاً ونبوعاً ،
تخرج خدام الكلمة الأمناء ، ورجال القيادة الروحية الأقوياء ، ومادام عنوان الاكلير يكية
مديرها الأستاذ حبيب بك جرجس ، علم التضحية ورمز الوفاء ، ومادامت المدرسة ، تستمد قوتها
من رب الكرمة إله السماء .

ومادامت الاكلير يكية تتمتع بتشجيع حضرات أصحاب النيافة المطارنة الأتقياء تحت
رعاية حضرة صاحب الغبطة سيدى البابا المعظم الأنبا يوانس فستظل فى نماء سائرة الى الأمام غير
ناظرة الى الوراء حتى يحقق جميع ما يعلق عليها من وطيد الأمل وحسين الرجاء .

هذا وإنى أرى لزاماً علينا أن نشدد فى تنفيذ ما يأتى بقوة الله ومساعدة سيدى غبطة
البابا المعظم تعصيماً للمدرسة .

(١) مجلة مدارس الأحد - نوفمبر سنة ١٩٤٧ - ص ٢٧-٢٨ .

- ١- قصر سيامة الكهنة أينما وجدوا على خريجي المدرسة .
 - ٢- إعطاء الفكرة الحسنة الصحيحة عن الاكليريكية بحالتها الراهنة لأراخنة الشعب بأبروشياتنا المختلفة .
 - ٣- التضافر لأيجاد العمل لكل خريجها ، لنشر كلمة الله بين الربوع وسط الشعب الجالس فى الظلمة وظلال الموت ، لتعليم أخص عقائد الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وحقائق الكتب المقدسة وكلامها .
 - ٤- الاتصال بالمدرسة الاكليريكية بانتظام بالزيارة والمراسلات ونشر جميع مؤلفات مديرها . ودروس مدارس الأحد الخاصة بها ، والوقوف باستمرار على أخبارها وأحوالها .
 - ٥- عقد مجلس يحضره جميع الآباء الروحانيين وحضرة مدير المدرسة سنوياً للنظر فى أمورها ومطارحة البحث فيما يعود عليها بالخير العميم والنجاح القويم .
- ختاماً أطلب من الرب يسوع أن يوفق الجميع لخدمة كنيسته المجيدة وأن يشملنا بنعمته ولعظمته الشكر دائماً ،

١٩٣٨/١١/١١

باسيليوس (١)
أسقف الأقصر واسنا
انبا باسيليوس (الأقصرى)

عبر القديسين

ملابسه من الخيش

كم افتقد ابتسامتك الحلوة المشرقة ، والنور الذى يشع من عينيك الصافيتين .
كم تشتاق أذنى الى سماع دعواتك الصالحة « ربنا معك .. الله يحافظ عليك .. ربنا يحميك من كل شر » لم يكن فك الطاهر يعرف الا كلمات الدعاء ..
كما يهنئى الحنين الى سماع « آجيوس » المنغمة ذات الثلاثة مقاطع التى اشتهرت بها فى خدمتك للقداس الألهى .. فكنت تهز أعماق النفوس لتنحنى الرؤوس أمام الله القدوس ..
فى رحاب الرب يسوع ياسيدى الأنبا باسيليوس .

(١) كتاب حبيب جرجس ص ١٨٨-١٨٩ .

الحديقة التى تطل على نيلنا الخالد فى أقصى الصعيد ، صفت فيها المناضد وزينت بالورود وتدلّت الثريات فى الوانها الزاهية تضيف الى المكان جمالا فوق جماله تندس وسط فروع الأشجار و يتناثر ضوءها متعدد الالوان هنا وهناك .

والمدعون يتوافدون من عليّة القوم وصفوة المثقفين فقد كان هذا فرح ابنة المدير وسوف يرأس صلوات الاكليل نيافة الأسقف باسيليوس بمهابته الملائكية وصوته الرخيم .

وانبعث فى المكان صوت الدفوف على لحن السلام الرائع تحية للاسقف الذى وصل تحيطه القدسية ويضىء وجهه بابتسامة القديسين ، وتليت الرسائل والنصائح على مسامع العروسين ، ورفرفت الألحان الكنسية الرائعة فوق الرءوس وملء الاسماع . ولبس العروسان التاجين وتقارب رأساهما فى حنان بالغ يضمهما السر المقدس ، وهلل الجميع وهنأوا السعيدين ، وحينئذ وقف الأنبا باسيليوس مودعا ومباركا ومشى فى الطريق المؤدى الى خارج الحديقة .

.. أسرع السيد المدير وكبار الاصدقاء وراء الاسقف يرجونه أن يبارك مائدة الطعام بالعشاء معهم فقد أعد له خصيصاً ما إذ طلب والكل يتوقعون ترحيبه بالاشتراك معهم . وقد كانت كرامة كبار القوم آنذاك تأبى عليهم الا أن يشاركهم الأسقف الكبير طعامهم و يبارك منزلهم حيث تذبح الذبائح وتصف الخراف المشوية ويكثر الشراب ثم يلقي بالعملة الفضية على الفقراء المتجمعين حول المكان ينتظرون مثل هذه المناسبات . لكن القديس اعتذر برقته المألوفة وسار فى طريقه يحيطه صفوة من الخدام الدينين فى التربة الكنسية حتى اذا وصل الى عربته أشار الى الخادم الذى كان يحبه وقال « يا ابنى لوبقيت معهم لاجرتهم جميعا واعتديت على حريتهم فى المرح واللهو فى هذه المناسبة ، وأود أن اتركهم على سجيّتهم دون أن يضطروا الى تمثيل الورع والتقوى فى حضرتى .. دعهم دون قيود أو تكلف .. أما أنا فأفضل دائما الخبز والزيتون فى عشائى .. سلام لكم جميعاً »

وركب القديس عربته تودعه خفقات القلوب ..

أيام الصوم الكبير بروحانياتها وعظاتها ولياليها التى تقضى فى الصلوات والابتهالات ، ويدعو نيافته كاهن الكنيسة الكبرى ورفيق مسيرته و ينبئه باعتزامه افتقاد كل القرى المجاورة فى شرق النيل وغربه .

ويتحرك الركب فى الصباح الباكر الى شاطيء النيل حيث المركب الشراعية المتواضعة تقلهم الى الغرب فهناك قرى منتشرة على الشاطيء أهملها السلف حتى أصبح مسيحوها لا يعرفون عن مسيحيّتهم شيئا . واذا علمت لمن هذا كان منذ ثلاثين عاما لتصورت أن المدفع والجهل المطبق الذى كان به الفلاح المصرى فى أقصى الحب ناهيك عن الجوع الروحى لعدم الافتقاد .

وصمم القديس أن يزور الأكواخ والاطواف (جمع طوف بلغة الصعيد وهو ساتر من الطين يختبئ وراءه الفلاح وأسرته وماشيته ان وجدت) .

.. دخل الى أحد الأكواخ ولم يجد فيه حتى الحصير فأحضر له أحد مرافقيه حجرا ليجلس عليه وجاءت المرأة المسكينة ترتجف من مهابة الموقف فابتسم لهم وربت على رأسها وباركها وبارك أولادها أشباه العراه وتهدج صوته في شفقة أبوية ورفع عينيه نحو السماء وظل صاهتا بعض الوقت .

في هذه الاثناء وصل الى المكان . من دس في يد الأسقف مبلغا من المال كهبة للكنيسة وخرج لتوه لا يعلم الحاضرون من أين جاء فهو ليس من سكان هذه القرية ، وملابسه تم على بعض الثراء — فما كان من القديس الا أن استدار الى المرأة المسكينة وسلمها المبلغ دون أن ينظر اليه وقام لتون وباركها وخرج .

نعمى الناعى، فى الابروشية من أقصاها الى أقصاها ، صعود الروح المباركة القدسية الى بارثها سجد الجسد الطاهر فى الهيكل الجانبى بالكنيسة الكبرى ليبيت الى اليوم التالى حتى يقام الاحتفال الرسمى وتتاح الفرصة لأساقفة الابروشيات القريبة للحضور والمشاركة فى صلوات التجنيز .

— امتلأت الكنيسة بالوافدين ، وغمت الحديقة بالبائسين ، وازدحمت جميع الطرقات المؤدية الى الكنيسة الكبرى بالمتذكرين المحدثين بفضائل القديس ومعجزاته ، والمترحمين له بالسكن فى رحاب القديسين الذين سبقوا الى السماء وقد انيط بمدرسى مدارس الأحد حراسة الجسد الطاهر بالمناوبة طوال الليل خوفا من الزحام الشديد .

— كان فى المدينة مدرس مبتديء فى مدارس الأحد اسمه « بطرس » يشكو دائما من جرح صديدى فى رقبته لا يكف عن النزيف (لا يعصم ولا يعصر ولا يضم بالزيت) وقيل له كثير عن خطورة هذا الجرح وخبث طويته ولم يجد فيه العلاج الطبى وظل ينزف بالصديد وبترس يغير ضماداته من وقت لآخر وهو يصرخ الى الله طالبا للشفاء .

— وفى منتصف الليل ، تسلل بطرس — كأنما تسوقه قوة خفية — الى حيث جسد القديس فى صندوقه الخشبى وقد ألبس حلة الكهنوت الموشاة بالذهب وصبت عليه العطور والحنوط وهو أشبه بالبتسم فى نومه كما كان يبتسم فى صحوه .

— وأفسح له زملاؤه الطريق الى جسد القديس ، فجثا بيكى و يصلى ثم مد يديه المرتعشتين يلمس بهما وجه القديس ولحيته ثم يعود بهما الى رقبته المربوطة بالضمادات وكرر ذلك

ثلاث مرات ثم وقف يتأمل القديس المحبوب في رقدته الأخيرة وانتحى ركنا من الهيكل الجانبى وأسند رأسه الى الحاجز الخشبى ونام .

— وفى الفجر الباكر— بدأ يستيقظ وتعود اليه ذكريات البارحة و ينظر حوله ليرى ويتأمل ثم يمده بجملة لا ارادية كما اعتاد أن يفعل الى رباط رقبته الذى توقع أن يكون الصديد قد غطاه ولكنه وجد الرباط جافا تماما على غير العادة فوقف سريعا وقد الهمه وازع داخله أن يتقدم الى أحد زملاء الخدمة و يفك الرباط و يطلب منه أن ينظر الجرح النازف فى رقبته ، فقال له الزميل أن الجرح ملتأم تماما كأنما مضت عليه السنون فى براء تام ولا يوجد أى أثر للصديد فوجد الجميع الله على عنايته بأبنائه ومعجزاته على أيدي قديسيه وتوجهوا واحداً واحداً الى الجسد المسجى يقبلون يده حبا واکراما . وذاع خبر هذا الأمر فى المدينة كلها .

— عندما كان الأباء الكهنة يلبسون الجسد الحلة الكهنوتية و يعيدون تنظيم ملابس القديس بعد نياحته اكتشفوا لأول مرة أن ملابسه الداخلية مصنوعة من الخيش (الشوال) بطريقة بدائية جافة فلما شاع هذا الخبر بين تعجب الناس وتكريمهم للقديس الذى كان يعذب جسده طلباً للتقشف دون أن يدري بذلك أحد تقدمت أرملة عجوز الى الكاهن تعترف بأنها كانت تحيك للأسقف الراحل ملابسه الداخلية من الخيش الخشن وقد أمرها بالصمت التام حتى يفارق الجسد (١) .

منير غالى بولس

٧٢ ح— فى مثل هذا الشهر من سنتين مضتا— فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧— انتقل الى السماء راع جليل ، له فى قلوبنا مكان أثير ومركز ممتاز ، هونيافة الأنبا باسيلوس مطران الأقصر .

كنت تبصر وجهه فترى الوداعة حية والمحبة فياضة ، فتشعر نحوه تعاطف وألفة ، و يغمرك هو بحنانه ورعايته ، فإذا بك تحس أبوة صادقة واهتماماً جدياً بشخصك وبما تعمل ، وتشجيعاً مخلصاً يكون له أطيب الأثر وأقواه لأنه صادر عن شخصية عظيمة المركز جليلة المقام ذهب إليه بعض الشبان يطلبون إليه أن يتفضل بالصلاة من أجل زميل لهم ، فقبل عن طيب خاطر وكان نعم المعزى الذى يجبر القلوب الكسيرة .

تحبه من أول ما يقع بصرك عليه . فإذا حضرت قداساً له ، فهو المصلى صاحب الصوت الحنون الرحيم الذى تخرج من قلبه الصلوات فتؤثر فى كل من يشاركه وترتفع بأذهانهم الى الأعالي : نطق سليم وألفاظ واضحة ونبرات عذبة ، ومهابة وجمال روحانى . ومن أجل هذا أحبه

(١) عن جريدة وطنى فى ٢٤/١/٧١ .

الجميع وتعلقوا به - حتى الأطفال كان يجذبهم إليه بلطفه ، فيتحدث إليهم و يعلمهم في حنان بالغ ومحبة حلوة .

قال لنا أحد مدرسي الأحد إنه كان يعطى الدرس فى فصله ذات يوم عقب الانتهاء من القداس الإلهى . وكان الأنبا باسيليوس هو المصلى فى تلك الكنيسة . فلما وجد المدرس يحدث تلاميذه جلس بينهم يستمع الى الدرس نعم جلس نيافة المطران بين الصبية يستمع الى المدرس الشاب حتى نهاية الدرس . وخرج وهو يحدث المدرس مثنيا ومشجعا . لهذا لن ينسى هذا الخادم ذلك التشجيع الذى وهبه اياه فى ذلك اليوم صاحب هذا القلب الكبير

وهو - الى كل ذلك - حازم يعرف جلال الرتب الكهنوتية ..
وهو - الى كل ذلك - حازم يعرف جلال الرتب الكهنوتية ...
لم يعظ كثيراً ولكنه كان هو عظة حية ... ونحن لا نحاول قط أن نمدحه - فما قيمة المديح لرجل انتقل من هذا العالم ؟ إنما نتحدث فى بساطة عن بعض الذكريات العاطرة التى يحفظها الجميع له

حدث من أحد الشمامسة ما اضطره لأن يعنفه (أثناء الصلوات) ، حتى إذ قرب وقت تناول دعاه اليه ، وفى تواضع رائع يسمو على الوصف همس فى أذنه « ساحنى » .
وأمسك بالجسد المقدس يقسمه .
هذا هو الأنبا باسيليوس : صورة خالدة للوداعة والقلب المحب اليقظ . مثل راق فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى الصالح فى تواضعه الكرم وأدبه الجم الوفير ...

أيها الراعى الكرم - إننا نحن أولادك شباب مدارس الأحد نذكر شخصك المحب المحبوب ، ورافتك وروعة وداعتك . ومع أننا نشعر بعدم استحقاقنا الدعاء لك بالنياح فإننا نذكرك بأن لا تهملنا فى صلواتك وفى تضرعاتك المقبولة أمام الله (١) .

٧٣ - ومقابل هذا المطران العجيب الذى لم يزد عمره على عمر الزهور العطرة يقف مطران عاصر أربعة من خلفاء كاروزنا الحبيب ، وهذا المطران هو أنبا بطرس الذى نشأ فى طهطا . فلما بلغ سن الشباب اشتاق الى حياة النسك فذهب الى الدير المحرق حين ترهبين باسمه الأصلى . ثم اختير للخدمة فى اثيوبيا . وعند عودته انضم الى دير السيدة العذراء - برموس فتعرف عن قرب بالبابا كيرلس الخامس والتحق بخدمته . وفى سنة ١٩٢٠ قرر البابا الوقور أن يفصل ما بين اخيم وسوهاج وبين جرجا والبلينا : فجعلها ايبارشيتين . ونتيجة لهذا الفصل رسم الراهب بطرس مطرانا على المنطقتين الأوليتين فى ٥ نوفمبر من تلك السنة . وكان مقداماً جريئاً

(١) مجلة مدارس الأحد ، توت سنة ١٦٦٦ - أكتوبر سنة ١٩٤٩ - ص ١٧ - ١٩ .

نجح فى المحافظة على شعبه تماماً . ومع جرأته عرف أن يكتسب صداقة ولاية الأمور وصداقة الشعب المسلم العائش ضمن إيارشيتته . فأحبه الجميع وأكرموه فى مختلف المناسبات . كذلك انشغل ببناء الكنائس الجديدة وترميم القديمة . وكان يقوم بزيارات راعوية منتظمة كى يعرف أحوال أبنائه أولاً بأول . وكان مضيفاً سخياً فتح باب مطرانيته لكل غاد ورائح .

وقد كتب أحد أبنائه مقالاً عنه اعترافاً بجهوده البناءة قال فيها :

ترجع الحبر الجليل الانبا بطرس على كرسى ايارشيتية اخيم وسوهاج منذ أكثر من خمس وعشرين سنة . والشعب الأرثوذكسى لا يعرف عن نيافته الا الحزم والجهاد والاصلاح

بدأ نيافته خدمة شعبه فأصلح كنيسة الشهيد العظيم أبى سيفين باخيم . ثم أنشأ جمعية الأقباط الأرثوذكس باخيم فكانت أولى الجمعيات فى نهضتها وبفضل رعايته ساهمت بنصيب وافر فى اعانة أكثر من خمس وعشرين عائلة فقيرة . ولم يكد ينتهى بعد من مشروعاته الإصلاحية حتى بدت مشكلة بناء سور جبانة الأقباط الأرثوذكس باخيم فكان فيها نيافته مثالا أعلا فى الحزم والحكمة . وبعد جهاد طويل استغرق أكثر من ستة عشرة سنة إنتهى الأمر بسلام . والشعب بمدينة اخيم يذكر لنيافته جهاده من أجله . وفى عشرين يناير ذهب إلى مدينة الروهيب تبع مركز المنشأة وقضى هناك ثلاثة أيام وضع خلالها تصميماً لبناء كنيسة ومدرسة رغم أن صحته لا تسمح له بالجهاد .

هذا كان فى ٢ مارس سنة ١٩٤٧ ، واصل بعده جهاده إذ أنه فى تمام الساعة ٩ صباحاً من يوم السبت ٨ مارس الجارى شرف مدينة اخيم مطران الايبارشيتية وما أن سرى نبأ قدومه بالمدينة حتى هرع إلى دار المطرانية ليفي كبر من الشعب وكبار أعيان مدينة اخيم من إخواننا المسلمين لتهنئة قدومه بالسلامة من القاهرة . وظلت غرفة الاستقبال زاخرة بزوار المهنيين حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفى الصباح الباكر توجه نيافته إلى كنيسة الشهيد العظيم أبى سيفين وسط ليفي كبر من الشعب تتقدمهم فرقة الشمامسة حيث أقام نيافته قداساً حبرياً شهده جمع غفير من الشعب حتى أن الكنيسة على اتساعها ضاقت بجمهور الحاضرين . وفى أثناء القداس رفع نيافته درجة حضرتى القس يعقوب تادرس والقس شنوده اسحق إلى درجة قس .

كما قام برسامة عدد كبير من الشمامسة لكنيسة السيدة العذراء باخيم . وبعد انتهاء القداس هتف الشعب بحماسة بالغة أقصاها بحياة نيافته . حتى هم بالانصراف وخرج يتقدم

شعبه الغفير حتى وصل إلى دار المطرانية . وظلت هذه زاخرة بالقادمين حتى غادر المدينة في تمام الساعة الخامسة والنصف وودع كما استقبل بالحفاوة والاحلال (١) .

ولم يعترف بفضل أولاد إيبارشيتيه فقط بل كتب عنه غيرهم أيضا . ومن الذين عرفوه عن قرب ودفعتهم محبتهم للكنيسة وتقديرهم لآبائها أن يكتبوا عنه القس مرقس شنودة . فقد كان هذا الكاهن خادماً لكنيسة مارمرقس بطهطا وكان نشيطا غيوراً لم يكتف بالعمل داخل حدود كنيسته الخاصة بل امتد بتطوعه نحو الكنيسة الأم في عموميتها . وعلى ذلك أصدر مجلة شهرية باسم رسالة الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية ، كتب في عدد نوفمبر سنة ١٩٥٠ منها على ص ٩٧ - ٩٩ المقال التالي :

« جولة في أنحاء الكنيسة الأرثوذكسية »

كان لا بد لي من أن أزور مدينة سوهاج بعد زيارتي لأبوتيج ، إذ أنها مركز الايبارشية الملاصق لايبارشيتنا من الناحية القبلية .

تشرفت بزيارة حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بطرس مطران كرسي اخيم وسوهاج . فلقيت من نيافته كل عطف وتشجيع للرسالة وقضيت وقتاً مباركاً في حضرة نيافته تحدث التي فيه عن المشروعات العظيمة التي يقوم بها وهي بناء كاتدرائية تحمل اسم الشهيد العظيم مارجرجس في الجهة البحرية من مدينة سوهاج على أرض واسعة تبلغ نحو الفدان والثلث . وكذا بناء مطرانية فخمة بجوار الكاتدرائية يليق بهذه المدينة الكبيرة ، وسيتفضل نيافته بوضع الحجر الأساسى لهذين المشروعين في خلال الأيام القليلة القادمة و يعاون نيافته شعبه الكرم وصفوه من الرجال المخلصين المتوقدين حماسة لبناء بيت الله .

وأملنا عظيم في أبناء الكنيسة المباركين بسوهاج وغيرها أن يهبوا كرجل واحد لجمع التبرعات لهذه المشروعات الضخمة .

وقد سرني وجود جمعيات قبطية نشيطة بسوهاج دائبة العمل في ميادين الخير والعلم والدين - نكتفى الآن بذكر أسمائها . الجمعية الخيرية . جمعية السلام . جمعية الإخلاص . جمعية الشبان والطلبة . جمعية جنود المسيح . جمعية السيدات . ولكل جمعية من هذه الجمعيات نشاطها . وأرجوها جميعاً كل خير وتوفيق ونجاح في تأدية رسالتها القائمة بها .

وفى المدينة كنيسة فخمة على اسم السيدة العذراء . وقد علمت أنها شيدت في عهد

(١) جريدة الأنوار - عددا ٢ و ١٦ مارس سنة ١٩٤٧ .

المثلث الرحمات الأنبا متاوس وأعيد تجديدها فى عهد نيافة الأنبا بطرس المطران الحالى أدام الله حياته الغالية . وإلى جوارها مطرانية فخمة هى التى شيدها نيافة الأنبا بطرس .

يتناوب الخدمة بالمدينة كاهنان هما جناب الآب القمص اسحق والآب القمص مرقس . و يقوم بالوعظ واعظ اكير يكى نشيط وقد علمت أنه يزور أفراد الشعب زيارات منتظمة ودورية مما جعل الإقبال على الاجتماعات الليلية عظيماً .

وعلى بعد ٦ كيلومتر من سوهاج يوجد دير أثري قبلى عظيم قديم العهد باسم القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين شيد فى القرن الرابع المسيحى ، وبداخله كنيسة أثرية . ولهذا الدير مولد سنوى يزدحم بالوافدين اليه من جميع أطراف البلاد لتقديم النذور الى كنيسته للتبرك . وكذا على بعد ٣ كيلومتر من دير الأنبا شنودة يوجد دير آخر باسم الأنبا ابشوى (الدير الأحمر) به قصر للملكه هيلانه وكنيسة ضيقة بها نقوش جميلة للغاية وبها صورة جميلة للآب البطريرك الأنبا ثوفيلس (البابا الـ ٢٣) . والطريق بين الديرين غير ممهد و يصعب زيارة الدير الاحمر إلا بمشقة عظيمة .

٧٤- من أمجاد كنيستنا القبطية أن عدداً من عمالقة الايمان فيها كانوا من الفقراء الذين لا يعطيهم العالم أى اعتبار . ألم يكن أنيانوس الذى رسمه كاروزنا العظيم ليخلفه فى رعاية الشعب إسكافيا ؟

ومن هؤلاء الفقراء فى العالم الأغنياء بمحبة الله راغب ساو يرس الذى نال كرامة الأرشيدياكونية فكان رئيساً لشمامسة جمعية أبناء الرسل بالقاهرة . وحياته جديرة بالتأمل لأنها تنفخ فيمن يتأملها روح العزيمة والإيقان بأن الإنسان مهما كان ضعيفاً ففوة الله تكمل فيه . بل إن العجب العجاب أنه كلما زاد الضعف الإنسانى تضاعفت القوة الالهية فيه ! فيسطع أمامنا قول بولس الرسول : « ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا » (١) .

ولد راغب من أبوين متواضعين ، ولكنها ممتلئان نعمة ومحبة . وكان ميلاده فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٢ - أى فى منتصف صوم السيدة العذراء . و يبدو أن أم النور أعانته فامتلات نفسه من ذلك النور الحقيقى الذى تجسد منها . وهذه النعمة صاحبها عجز جسمى ! فقد ولد وساقه اليمنى أقصر من ساقه اليسرى ، وأقل قدرة على الحركة ، مما اضطره منذ البداية الى أن يتوكأ على عكازين طويلين يرتكن كل إبط من إبطيه على واحد منها وكانت نشأته فى مصر القديمة - فى الحى المعروف باسم دير أبى سيفين . وهكذا فتح عينيه على نور هذا العالم ليرى حوله قباب الكنائس يعلوها الصليب .

(١) ٢ كورنثوس ٤ : ٧ .

وكان الولد الوحيد بين عدة أخوات ، فكان يلزم أياه ، و يذهب معه الى الكنيسة والى الاجتماعات فيها . وكثيراً ما قال له أبوه فى سيرهما معاً عن مدى شوقه الى رؤيته خادماً للفادى الحبيب عاملاً فى كرمه .

ولما بلغ الثامنة من عمره قدمه أبوه الى القمص ميخائيل فانوس — راعى كنيسة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين — والى المعلم حنا مرتلها ليتوليا أمر تربيته الكنسية . وقد أخلص الإثنان فى تعليمه وفى توجيهه . وأما راغب فكان ينصت اليها بكلية ومحفظ كل ما يقولانه له بابتسامة لطيفة ، ونظرات ملؤها التواضع والبراءة .

على أن والديه لم يكتفيا بهذا بل أرادا إدخاله مدرسة العرفاء بالمهمشة وكان المعلم تادرس يسى — مرتل كنيسة مارمينا بقم الخليج — من أقاربها ، فتوسط لراغب وقبلت وساطته . وهكذا التحق بالمدرسة طوعاً لوالديه رغم المشقة التى يتكبدوها فى الذهاب والإياب . وما إن بدأ الدراسة حتى صار موضع تقدير العرفاء الملقنين والأساتذة الشارحين . وفوق هذا فقد جعل من نفسه العين لزملائه المكفوفين إذ كان يقضى لهم كل حوائجهم . فيتنقل على عكازيه الضرورىتين بجسمه النحيل مسافات طويلة ، عطفاً منه عليهم ، وحناناً على احتياجهم . وقد قضى بهذه المدرسة أربع سنوات ، وتخرج منها سنة ١٩١٩ . وقد أجاد الألحان والترانيم والمدائح والقداسات . وبما أن الله حياه صوتاً رخيماً حنوناً ، فقد كان كل من يعرفه يشواق الى سماعه .

ثم رأى راغب أنه يجب أن يشتغل ليكسب قوته الضرورى ، واعترف لأبيه بهذه الرغبة . فنصحته بأن يعمل ترزياً : ولأنه كان مبتدئاً رأى أبوه وجوب إلحاقه بترزى متدرب . واختار له محل الأسطى تادرس متياس بالدرب الواسع (١) . ففرح راغب بهذا الاختيار لأنه سيكون على مقربة من « الكنيسة الأم » — كنيسة الكاروز العظيم . وكان فى كثير من الأحيان يترك المحل ليحضر قداساً أو اجتماعاً . ومع ذلك فقد وجد الكثيرين من عارفيه يشجعونه ليخيط لهم ما يريدون . مع العلم بأن يده اليمنى كانت أضعف من يده اليسرى تضامناً مع الساق الهزيلة (٢) ! فاستمر فى حرفته ، ولكنه انتقل الى العمل فى محل الأسطى فوزى بشارع الخليج المصرى (٣) — أمام حارة زويلة . ففرح بهذا القرب شعبا كل من كنيسة السيدة العذراء وكنيسة مارجرجس بتلك المنطقة . لأن حبه للكنيسة ولصلواتها كان يدفعه الى ترك المحل — كلما سنحت الفرصة — والذهاب الى إحدى هاتين البيعتين : ولم يبق بالمحل الجديد غير سنة ونصف لأنه — على الرغم من ضعفه الجسمى — كان محباً للعمل الدقيق ، والأسطى فوزى متعهد بالتوريد للمحال التجارية ، فلا مجال عنده لدقة العمل . ومن ثم انتقل من عنده الى محل الأسطى عبد الملاك بشارع كلوت بك .

(١) أصبح اسمه الآن شارع الكنيسة المرقسية .

(٢) راجع ما قاله القديس بولس الرسول عن ترابط أعضاء الجسم فى ١ كورنثوس ١٢ : ١٢ - ٢٦ .

(٣) هو شارع بورسعيد الآن .

ولم يثنيه فى العمل بهذا المحل أنه فى الدور الثالث وليس له مصعد . لأنه كان محلاً نظامياً ذا سمعة طيبة . فرضى بالمشقة بابتسامته اللطيفة التى يبدو أنه نزل من البطن وهى مرتسمه على شفتيه ! فلما أتقن الصنعة رأى أنه آن الأوان لأن يفتح لنفسه محلاً مستقلاً — وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٢٣ .

واشترى ماكينة « سنجر » فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ . وكان له صديق يعمل فى نفس الحرفة ، فاتفق معه على أن يستأجرا معاً محلاً واحداً ، ويؤدى كل منهما عمله الخاص مستقلاً عن الآخر . ووجدا مكاناً مناسباً فى الدرب الواسع واشتغلا فيه بكل مودة وسلام .

على أن هذا العمل الضرورى لكسب العيش لم يضعف الجذوة المتأججة داخله . فبعد تخرجه من مدرسة العرفاء انتمى الى خدام المذبح بكنيسة الأمير تادرس ببابلون الدرج (١) . وكان عدد من أعضاء جمعية المحبة بشبرا كثير التردد على هذه البيعة ، فسمعوا راغب وهويترم بالألحان بدقة وأصالة ، وفى خشوع طبيعى . وأحسوا بانعطاف نحوه ، وطلبوا إليه أن ينضم الى جمعيتهم . فقبل طلبهم فى فرح وشكر . وهكذا صار الأسطى راغب رئيساً لشماسة جمعية المحبة وعضواً عاملاً فى مجلس إدارتها فى أوائل سنة ١٩٢٧ . ونظراً لأن شماسة هذه الجمعية كانوا يزورون مختلف الكنائس فى القاهرة وخارجها للاشتراك فى تأدية الشعائر الدينية بها ، أتاحت الفرصة لراغب لأن يرى هذه الكنائس ويخدم فيها .

ولما تسلم الأنبا ثيوفيلس رعاية الكرسى الأورشليمى ، نشر نداءً عاماً يدعو القبط فيه للتبرك بزيارة الأماكن المقدسة ، فليسى دعوته عدد من الجمعيات — وخاصة الشماسية منها . وهكذا ذهب راغب مع غيره من العاملين فى الكنيسة الى القدس فى موسم عيد القيامة المجيدة سنة ١٩٣٦ . فنفتحت فيه هذه الزيارة قوة جديدة وزادته نعمة فوق نعمة . وعند عودته أسس جمعية دعاها جمعية أبناء الرسل . ولم يقتصر عمل هذه الجمعية على الخدمة الشماسية ، بل امتد ليشمل عملاً أوسع وأكبر : هو البحث عن الضالين ومحاولة ردهم الى الحظيرة ، والسعى الى إحلال السلام بين العائلات المتخاصمة . فكم من شرير رده ، وكم من خصومة أذابها وأحل محلها الصفاء ! ولنزاهته وولائه فى هذا العمل الشائك الشاق نال تقدير آباء الكنيسة وكبار الأراخنة وكل مشتغل فى الخدمة ، ووجد من حبيب المصرى التشجيع والمودة الصادقة (٢) .

(١) تقع هذه المنطقة فى آخر مصر القديمة عند حدود المعادى ، وكنيسة الأمير تادرس متصلة البناء بكنيستين أخريتين هما كنيسة السيدة العذراء وكنيسة أبابكر ويوحنا ، وعلى مرأى منها كنيسة الملاك القبلى — وكلها كنائس أثرية جدية بالزيارة .
(٢) صحيح أنى عرفت راغب ساو يرس معرفة شخصية ، ولكن معظم المعلومات الواردة هنا مأخوذة عن كتاب وضعه عنه صديقه ووكيل جمعيتهم نجيب يونان حنا بعنوان : « ترجمة حياة المرحوم الأرشيدياكون راغب ساو يرس — من شماسة أبناء الرسل بالقاهرة الى روح رئيسهم الخالد » . طبع بمطبعة الأمانة ، ٥٨ شارع الفجالة بمصر . والكتاب لا يحمل تاريخ طبعه . أنظر أيضاً المقال : الأرشيدياكون راغب ساو يرس « للدكتور سليمان نسيم ، نشره فى مجلة الإيمان عدد فبراير سنة ١٩٦١ ، ص ١٤٩ - ١٥١ .

ومن عجيب أن هذا الخادم الأمين الذى عرف أن يتاجر بوزناته لم يعيش على هذه الأرض غير أربع وأربعين سنة ونصف ! إذ قد شاء الآب السماوى أن ينقله الى الفردوس فى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ .

وكان رب الكرم يعطينا هذه العينات من الإنسانية لكي يفهمنا أن الحياة المثالية لا تقاس بالعلم ولا بالزمن إذ هى أبدية تقاس بالفكر التير وبالتسامى الروحى .

٧٥— على أن الله الرؤوف شامل ، فى محبته ورحمته ، لا يختص بهما أحداً : فلقد أعلن— له المجد— «إن كل من يأتى الى لا أرده خارجاً» ، إنه يريد قلب الإنسان— أى إنسان . فهو قد سر بأن يطلق على نفسه اسم «ابن الانسان» . فلئن رحب بالفقراء فإنه فى الوقت عينه يرحب بالأغنياء . ولقد تفهم الآباء لا نهائية محبة الله فعلمونا إياها بمختلف الوسائل . ومن أروع الأمثلة على هذا التعليم القصة التى سجلها الأبا مكارى الكبير (أبومقار) فى مذكراته والتى اختتمها بقوله : «قد علمنى الله أن لا فرق بين المتبتل والمتزوج ، وبين ساكن الصحراء والعائش وسط صخب المدن ، فقد وهبها الله نسمة الحياة ولا يطالبها إلا بالقلب النقى» (١) .

فإذا ما تمعنا فى تاريخ كنيستنا القبطية نجد الفقراء والأغنياء جنباً الى جنب تحصرهم محبة المسيح والرغبة العارمة فى العمل لمجد اسمه القدوس كذلك نجد أن كل عصر فيه مثل هؤلاء الملتهبين بالروح . فبعد أن حلقنا مع راغب ساويرس ، نستجمع أنفاسنا لنعاود التحليق مع إسكندر بك حنا . ومن العجيب أن واهب الحياة قد شاء أن ينقلها— كليهما— الى فردوسه فى شهر واحد من السنة عينها . فرقد الأول فى ١٤ فبراير ولحق به الثانى بعد تسعة أيام فقط ! ... شب اسكندر تحت رعاية أبوين محبين للكنيسة فوضع حبا مع اللبن ثم بعد أن انتهى من دراسته التحق بخدمة الحكومة ، وتدرج فى مناصبها الى أن نال رتبة البكوية (٢) . ثم دفعته المحبة المتأصلة فيه الى الاستقالة من الحكومة ليتفرغ الى خدمة كنيستته وبخاصة لأنه أثر التبتل على الرغم من عدم دخوله الدير . وهذه الخطوة التى اتخذها توضح لنا عمق أحاسيسه إذ قد ترك بمحض إرادته الجاه العالمى وإمكانية الترقى وحيارة رتب أعلا لكي يتفانى فى خدمة كنيستته بلا مقابل . لكن الفادى الحبيب علمنا أنه لا ينسى تقديم كأس ماء بارد— فكم بالحري يذكر تضحية كتلك التى ارتضاها إسكندر حنا ؟ فبدلاً من المال والجاه منحه محبة الآلاف من بنى قومه— محبة فياضة تطغى على كل اعتبار .

ولكى يدرك القارىء الى أى حد كان إسكندر فرحاً بالخدمة ، يجدر به أن يعرف أنه

(١) راجع هذه القصة فى ح ١ من هذا الكتاب ص ٢٦٣ .

(٢) كانت الرتب ابتداءً من العصر التركى (سنة ١٥١٧ م) الى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ هـ : الباشاوية (أعلاها) والبكوية «الوسطى» والأفندية (أصغرها) ، ثم ألغيت الثورة .

كان من مواليد الاسكندرية ، ومع ذلك فقد كان يترك مدينة الاصطياف في قيظ بؤونة تلبية لدعوة تأتيه من أسيوط أو غيرها من بلاد الصعيد . وهذه ليست مجرد تضحية براحتة ، بل هي أيضا تضحية باسترواح هواء البحر والاسترخاء على شاطئه عند اشتداد الحرارة . وكان يلبي كل دعوة ليذهب ويعلم بعظاته التي تركزت على توضيح العقيدة الأرثوذكسية لكي تترسخ في القلوب مقابل الدعايات والبلبلات التي كان يروجها أدياء التبشير .

وأمام هذا المجهود الجبار أثار عليه عدو الخير حرباً بأن جعل بعض الناس ينشرون عنه بأن لا حق له في الوعظ لأنه لم يشتغل قبل ذلك إلا بالوظائف الحكومية . فرأى الأنبا مكار يوس (حين كان مطراناً لأسيوط) أن يضعه فوق أي لوم ، ورسمه أرشيديا كون (أي رئيس شمامسة) . وهذا الإكرام الأبوي ضاعف من حرارة إسكندر حنا وزاده نعمة ، فجعل كلماته تنفذ الى مكامن النفوس .

وقد نالت مجلة الإيمان نصيباً وافراً من كتاباته إذ قد علم باللسان وبالبيان . لذلك قال عنه القمص جرجس بطرس صاحب المجلة المذكورة يوم تأبينه : « نتخيله وهو يعظ وسط الألوفا من الجمع فيملك على الجميع مشاعرهم ، وكصياد ماهر يجذب بصوته الهادىء الساحر قلوب سامعيه ، ويصعد بهم الى رجاء المجد ، لأن الكلمة كانت تخرج من القلب الى القلوب — لا من الفم الى الآذان ... نتخيله وهو جالس يتكلم الى محبيه أحاديث النعمة مجيباً على كل سؤال بحكمة ليست من هذا العالم ... نتخيله وهو جالس الى مكتبه يحرر رسالة لعزاء حزين أو لمواساة مسكين أو لتقويم معوج أو لرد شارد ضال ، أو ليتبادل مع إخوته وأولاده فى النعمة تعزية الإيمان المشترك . فهو رسالة المسيح المقروءة من جميع الناس . كان أشبه بالنحلة التى تعمل بلا هوادة . فإذا حاول بعض أحبائه نصحه بالاستراحة قليلاً ، أجابهم : « خير لنا أن نذوب ونفنى من كثرة العمل من أن نصدأ من قلة العمل » . وهذه الرغبة المشتعلة فى العمل عبر هو عنها بأعمق دقة إذ قال لأخيه قبل انتقاله مباشرة : « كم كنت أتمنى صادقاً أن أستودع روحى خالقها وأنا على منبر الخدمة من أن أودعها وأنا على سرير طريح » فلا غرابة إن قيل عنه من أحد أحبائه : « لم أتلق نعيماً بفرح كما تلقيت نعى الرجل النادر القليل إسكندر حنا ! وكيف لا أفرح وقد آن يوم المكافأة وحل عيد التتويج ؟ ! »

أما فى الشعائر المقدسة التى أقيمت فى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية برياسة البابا مكار يوس ، فقد تبارى الأحياء فى رثاء إسكندر حنا . وفى النهاية قام قداسة البابا وتحدث عن الخادم الأمين الذى عرف أن يتاجز بوزناته التى منحه إياها رب المجد . ثم اختتم حديثه بقوله : « كللكم أحببتم إسكندر . ومدحتم إسكندر . وأكرمتم إسكندر . ولكن هل يوجد واحد بينكم قد تمثل بإسكندر ؟ إن إسكندر قد تمثل بسيدته ومعلمه الذى هو المثال الأعلى ، لذلك يهمنه أن

تترسموا خطاه كما ترسم هو خطى ذلك الذى ترك لنا مثلاً لكى نقتفى أثره ، وكما قال بولس الرسول : « تمثلوا بى كما أنا أيضاً بالمسيح » .

وقد أفاض قداسته فى وجوب القدوة الحسنة والمثل العليا ، سائلاً الله تعالى أن ينعم على شعبه بالعيشة الصالحة والآخرة المرضية ، مستمطراً رحمات واسعة على نفس إسكندر الوديعه وروحه الهادئة بقدر ما أسدت من خير الى جيلها (والأجيال الآتية) (١) .

وبعد ثلاث عشرة سنة من انتقاله نشرت الكلمة التالية عنه :

الارشيديا كون اسكندر حنا

كانت حياته منذ طفولته مثالا للفضائل المسيحية ، واستمر قلبه مليئاً بالإيمان فائضاً بالنعمة . وحين التحق بخدمة الحكومة وجد أن واجبات عمله تحد من نشاطه فى عمل الرب . لذلك اعتزل وظيفته ليكون مكرساً للرب ، حراً فى التنقل بين بلدة وأخرى يدعو الجميع إلى الخلاص

كان يلبى دعوة الوعظ من أى مكان جاءته — متجولاً من الشمال إلى الجنوب . غير مبال بحاجته الشخصية إلى الراحة . ولقد بارك الله فى جهوده وأثمرت خدمته خلاصاً للخطاة ، وتعزية للحرزاني ، وتشجيعاً للخائرين . وظلت حياته الشخصية شاهداً على تعليمه . من أجل ذلك أنجح الرب عمله فى ربح النفوس .

لقد كان واعظاً قديراً — لا يمل منه مستمع مهما أطال ، تؤثر كلماته أعمق الأثر فى النفوس مبددة ظلام الشر . ولن ينسى واحد ممن استمعوا إليه صوته ، وتأثيره

انتقل إلى السماء فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ متمماً العام الرابع والستين . وما زالت الكنيسة تنتظر أن يرسل الله إليها من يواصل عمل هذا الواعظ الأمين ، نبح الله نفسه فى الفردوس مع خدام الله القديسين

واننا نرجو من جميع محبى هذا الخادم المثالى أن يرسلوا إلينا ما يعرفونه عنه كى يمكن أن نخلد ذكره ولتكون سيرته وعمله نموذجين لكل خادم يريد أن يعمل للرب بأمانة (٢) .

(١) مجلة الايمان — العددان ٦ و ٧ — فبراير ومارس سنة ١٩٤٥ — ص ١٢٤ - ١٤٢ .

(٢) مجلة مدارس الأحد — يناير سنة ١٩٥٨ ص ٤٠ ، ومن نعمة الله أننى التقيت بأبينا القمص ميخائيل سعد (راعى كنيسة السيدة العذراء والقديس يوسف بسموحة بالاسكندرية) مساء الثلاثاء ٩ أغسطس سنة ١٩٨٢ ، فتحدث عن إسكندر حنا باستفاضة وانتهى بقوله : « كان ممتعاً حقاً ، بأسر القلوب والأذهان » .

٧٦- لقد علمنا الآباء الأماجد أن رحمة الله أكبر من أية خطية ، وما على الخاطيء إلا أن يعود في توبة وانسحاق ليجد الأذرع الأبوية مفتوحة لتحضنه . بل لقد بلغ إدراكهم لهذه الرحمة الشاملة الكاملة أنهم أفهمونا بأن خطية يهوذا الاسخر يوطى ليست في خيانتة لفاديه بقدر ما هي في يأسه من مغفرة هذا الفادي الحبيب الذي خانته - ولو أنه - حين ندم - عاد الى رب المجد وأعلن له ندمه لحصل على المغفرة كما حصل عليها الابن الضال . وهذا التعليم الأبوي الذي ينبغ في النفس الأمل والثقة في المرحم الالهية ، نجد له أمثلة غاية في الروعة على مدى تاريخنا العجيب (١) .

وهذه النشوة الروحية التي فاضت بها قلوب التائبين مازالت تتكرر لو أننا فتحنا بصائرنا وتأملنا عمل النعمة . والسيرة التالية صورة من هذه الصور الباهرة التي تحبس أمامها الأنفاس . إنها صورة الشاب حبيب فرج

نشأ بعيداً عن الجواروحي . وطغت عليه محبة العالم بيريقيها . فاستعذب الحياة الدنيا بكل ملذاتها . وإن حاول أحد أحبائه أن يحدثه عن الله ومحبتة اللامدركة هم أذنيه وسخر من محدثه . وعلى الرغم من أنه كان يعيش على مقربة من كنيسة أبي الرهبان (بشبرا) ، وعلى الرغم من أنه كان يرقب الشباب في ذهابهم وإيابهم الى الكنيسة والى الاجتماعات الزاخرة التي كانت تلتئم داخلها - فقد ظل متفرجاً من الخارج !

ومن نعمة الله وعملها الخفى في القلوب أن أصدقاء حبيب فرج لم ييأسوا منه ، بل ظلوا يطلبون اليه أن يحضر معهم : تارة بالاستعطاف وطوراً بالشدة . أخيراً وعد أن يحضر اجتماعاً كمتفرج فقط ، وحباً في الاستطلاع ، مؤكداً أنه لا يعد بالمواظبة . ولكن من أين كان له أن يعرف أن عمقاً ينادى عمقا ؟ ! ورضى أصدقاؤه بذلك ، وقد ارتفعت الصلوات من أعماقهم لأجله ، وبلغت هذه الصلوات الى العرش الإلهي . وهكذا ذهب إرضاء كمن ظلوا يلحون عليه ولم يكن يدري - وهو في طريقه الى الكنيسة - ما سيعمله الله فيه وبه . فن أين له أن يدري وهو لم يذق بعد ؟

وجلس يتفرس فيمن حوله دون أن يلتفت الى المتكلم . وفيما هو يتفرس في هذا وذاك إذا بالجميع يحتفون من أمام ناظره فلا يرى غير السيدة العذراء متألقة بالنور السماوي . فأمسكت بيده وأخذته أولاً لترية مكان الأشرار . ثم اقتادته الى قصر نوراني لم ير له مثيلاً ، ورأى القديسين كلا في مكانه ووجهه يسطع بالنور . ثم أشارت الى كرسي شاغر ، فنظر اليها مستفسراً عن السبب . أجابته بعدوبة فائقة : « هذا كرسيك . وهو محفوظ لك إن شئت أن تحصل عليه . ولن يمكنك من الاستراحة فوقه الا ابني الحبيب الذي افتدك بموته على الصليب » .

(١) راجع « قاطع طريق بصبح قديساً » « وعلى ضفاف الأردن » في ح ١ من هذا الكتاب .

وتباعد الصوت العذب . وتلاشت الرؤيا المذهلة . ووجد حبيب نفسه مرة أخرى بين صفوف المجتمعين . ولكنه لم يعد متفرجا ...

لقد تملكته شهوة قدسية دفعته الى السعى المتواصل ليعوض الوقت الذى أضاعه . كان يلتمهم كلام الله إلهاماً ... يصلى فى المجدع . و يصوم بلا فتور . و يواظب على حضور القداسات ولم يكن آنذاك « قداس باكر » ، ومع ذلك كان لا يترك الكنيسة إلا بعد أن يقول أبونا « اذهبوا بسلام ... » . فكان رئيسه فى العمل يوبخه على التأخير ، إلا أن حبيب احتمل فى صبر توبيخه بل وعراكه أيضا . كذلك عود نفسه على تلاوة الصلوات السبعة : فيصلى باكر والثالثة قبل الذهاب الى عمله ، والسادسة والتاسعة عقب رجوعه وقبل تناول الغداء ، والغروب والنوم قبيل خروجه للخدمة ، ثم يتلذذ بصلاة نصف الليل قبل أن ينام ومع هذه الصلوات واظب بلا انقطاع على قراءة الكتاب المقدس ، وعلى الصوم الانقطاعى . وذات مرة خطر فى باله أن ينقطع عن الطعام طوال الصوم الأربعينى اقتداءً بسيره ، ولكن أبا اعترافه منعه من ذلك .

واشتاق الى الرهبنة فقصد الى الدير المحرق ، ولكن رئيسه رفض أن يقبله مالم يأت به بموافقة والديه ولما كان يعلم أنها يرغبان فى تزويجه فقد عاد الى البيت فى صمت . فلا بد أن الآب السماوى شاء أن يبقى فى العالم ليكون صورة حية أمام الجميع للعمل الخفى الذى يعمله الروح القدس فى النفس التى تسلم اليه قيادها .

كذلك اشتعل قلبه بمحبة كنيسته القبطية : بتعاليمها وطقوسها وألحانها وصلواتها . اشتعل قلبه بمحبة قديسها وشهدائها ، وبتلك السحابة العظمى من الشهداء الذين عاشوا بالله وفيه ومعه ، فواجهوا كل ضيقات العالم بيقين واطمئنان .

ولكن ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ! فهذا الشاب الذى عاش حياة الخطية ثم حياة النعمة ، والذى اختبر طريق العالم وطريق السيد المسيح ، لم يعيش على هذه الأرض غير سبع وعشرين سنة . وبما أنه انتقل الى الفردوس سنة ١٩٤١ فيكون من مواليد سنة ١٩١٤ - أى أنه من قديسى هذا القرن العشرين .

ولقد قضى الساعات الأخيرة فى ترنيم وتسييح ، وفى دعاء واستشفاع بالقديسين . ومن عجيب أنهم حين كانوا يغسلون جسده لدفنه وجدوه مرسوماً بصليبان طبيعية واضحة رآها الجميع فجدوا الله العجيب فى قديسيه .

وإن سيرة حبيب فرج لتملأ النفس بهجة إذ هى صورة حية على أن الله هو هو أمس واليوم

والى الأبد، وأن عمله فى النفوس مستمر كما قال لنا رب المجد: أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضا أعمل» (١).

٧٧- إنه لجدير بنا أن نذكر أن الجهود البناءة لا يمكن أن يضيع عبثا لأن الدعايات المغرضة أدت الى شىء من إضعاف النفوس. والجدير هنا أن نذكر أيضا أن عدداً من الكتاب الانجليز والفرنسيين والأمريكيين قد سجل فى كتاباته أن ما بذل من جهود، وما أنفق من مال لاستدراج القبط بعيداً عن أهمهم كان باهظاً ونتيجته هزيلة (٢). وليس ذلك فحسب، بل إن هناك أيضا من هزهم الحنين الى كنيستهم الأصلية، وبحرك فيهم دم الشهداء الذى يجرى فى عروقهم، فعادوا اليها ووجدوا منها الرعاية والحنان.

ونشر هنا رسالة بعث بها راعى الكنيسة الإنجيلية بكوم اسفحت تتضمن استقالته وعودته الى الكنيسة القبطية، واليكم الرسالة: «حضرة الأب الوقور الورع القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الإيمان بشبرا-

بعد تقبيل يديكم الطاهرتين- أتشرف برفع نص استقالتي من الطائفة البروتستانتية، إذ أقنعنى الرب بالرجوع الى كنيستي القبطية عن يد صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس مطران كرسى أبوتيج وطما وطهطا (٣)، راجيا التكرم بنشر بمجلتكم الغراء «الإيمان».

وتفضلوا بقبول وافر احترامى.

وهذا نص الاستقالة: «حضرات المحترمين رئيس وأعضاء مجمع مشيخه أسيوط: تحية واحتراما. قضيت فى حقل الخدمة بينكم أكثر من ثمانى سنوات تبدأ بدخولى كلية اللاهوت فى شهر سبتمبر ١٩٣٧ وتنتهى فى اكتوبر سنة ١٩٤٥. ويسرنى أن أبلغكم استقالتي من الخدمة فى الكنيسة البروتستانتية عامة ومن رعاية شعب كنيسة كوم اسفحت البروتستانتية خاصة للأسباب الآتية:

أولا- بعد أن تخرجت من مدرسة اللاهوت البروتستانتية سنة ١٩٤٠ لم تكن لدى الفرصة الكافية لفهم الحق الإلهى كما هو مسلم من الرسل. وكان ذلك لحداثة عهدى بدراسة الكتاب المقدس. وباطلاعى على كلمة الله والممارسات الدينية فى الكنيسة البروتستانتية

(١) مجلة الكرازة- العدد الخامس للسنة الأولى يونيو سنة ١٩٦٥- ص ٢٥-٢٧، مقال للقمص شنودة السريانى (الآن أنبا يوثس أسقف الغربية)؛ مجلة نهضة الكنائس العدد الرابع للسنة الثالثة (مطبعة ملجأ الأيتام بالظاهر) أبريل سنة ١٩٤٢ ص ١٢٨-١٢٩- تحت عنوان «حياة مثالية».

(٢) راجع ما جاء عن النشاط التبشيري الأمريكى (وغيره) فى سيرة البابا الوقور كيرلس الخامس، وطالع مراجع ذلك العصر: ح ٥ من هذا الكتاب.

(٣) وردت لمحة عنه فى ف ٣٧ (٦).

لاحظت الفوارق الجوهرية بين تعاليم الكتاب المقدس وبين تطبيقها في التعاليم البروتستانتية—
وهي فوارق جوهرية لم يسترح لها ضميري في الاستمرار في الخدمة بينكم .

ثانياً— أبلغكم أنى بعثت الى ناظر كلية اللاهوت الدكتور بطرس عبد الملك طالباً منه موافاتي بوجهة نظره في بعض الأمور التي لم يسترح إليها ضميري ، وهي كلها في صميم تعاليم الكنيسة الرسولية المقدسة . ولكنه صمت ولم يشأ أن يرد على مما أقنعني بأنه لا مفر من التسليم بحقائق التعاليم في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية واعتناقها .

ثالثاً— لما كانت حقائق التعاليم الإلهية متوفرة ولم تكن لي حرية المجاهرة بها في الوسط البروتستانتى لذلك لم أتمالك أن أستمر في الخدمة معكم عائداً الى خدمة المسيح في الجو الذى يوافق رغباتى في حقل الكنيسة القبطية كنيسة الله الرسولية التي أسسها بالحق ويرعاها بالأمانة .

رابعاً— إن هناك أموراً شخصية كثيرة لم يسترح لها ضميري أيضا . وهذه الأمور أعتقد أنها في أذهان الكثيرين منكم— أيها الآباء والإخوة . ويمكن أن تتضح وتظهر بكل جلاء إذا خلت نفوسكم من الأغراض المادية والاعتبارات الذاتية .

وإذ أصلى الى الله من كل قلبى أضرع اليه أن يعلن هذا الحق الذى لى إلى الكثيرين منكم إن آجلاً أو عاجلاً ، لترجعوا معى الى النور الواضح والحق القويم فى حضان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأى التي أرضعت آباءكم وأجدادكم لبان المسيحية ، وجاهدت حتى الدم فى رفع علم المسيحية فى بلادنا المصرية هذه القرون الطوال .

هذا وقد بعثت الى كنيسة كوم اسفحت بمكتوب استقالتي من رعايتها بتاريخ ٣٠/١١/١٩٤٥ ، فاقبلوا استقالتي متنازلاً عن بقية حسابى طرف الكنيسة والمجمع— مع وافر شكرى .

زكري خليل النخيلي

راعى الكنيسة الانجيلية بكوم اسفحت (سابقا)

الإيمان : يسرها أن ترحب بأبناء الأقباط الى حظيرة الكنيسة القبطية ، وهي تقدم للقراء صاحب هذه الرسالة ، وتعلن فى الوقت نفسه أن حضرته التحق بالكلية الاكليريكية للأقباط الأرثوذكس ليتزود من لبان المعرفة الأرثوذكسية التي تؤهله بنعمة المسيح الى خدمته بروح

الأرثوذكسية . وتشكر الجمعية بهذه المناسبة نيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس مطران كرسى أبوتيج وطما وطهطا الذي شجع حضرته على العودة الى بيعة الله الأرثوذكسية (١) .

واستكمالاً للواقع التاريخي نقول إن هذا الابن الذي حن الى الرجوع للكنيسة الأم أم دراسته الاكليريكية الأرثوذكسية ، ثم رسم كاهناً باسم زكريا . فخدم أولاً فى كنيسة مارمرقس ثم فى كنيسة مارجرجس - وكليةها فى مصر الجديدة : الأولى فى شارع كليوباترة ، والثانية فى ميدان مستشفى هليوبوليس . وقد خدم بالكتابة أيضا ، ومن أهم مؤلفاته كتاب عن السيدة العذراء بين فيه أنها دائمة البتولية ، كما أوضح ما يليق بها من التكريم الذى تقدمه لها الكنيسة القبطية .

٧٨ - ويعتبر صاحب السعادة قلبنى باشا فهمى المحسن الاول الممتاز فى أوساطنا بشعوره ، الفياض بالوطنية الصادقة والقومية الصحيحة . و يكفى القول إنه عاش من فجر رجولته الى اليوم والى الغد والى الأبد يسدى و يعطى و يناصر الجمعيات والمشروعات الخيرية والقومية على اختلاف مناحيها . وفى وقفته المعروفة التى نبسط خلاصتها ما يحيط بأجل معانى الفضل والنبيل وأقدر مظاهر الشعور الوطنى المنزه عن الأغراض والغايات .

فقد تنازل سعادته عن أكثرية أملاكه وأطيانه لضروب التثقيف الوطنى والقومى المختلفة والبر بالفقراء والمرضى : فأوقف عشرين ألف متر مربع أرض بناء لمجلس مديرية المنيا ، يشيد عليها أربع مدارس إحداها صناعية والثانية ابتدائية والثالثة أولية للبنين والرابعة للبنات باسم سمو الأميرة فائزة مع ميدان للألعاب الرياضية وغرفة للعيادة الطبية تقوم بخدمة المرضى .

وخصص قصره فى مغاغة للمدرسة التى اطلق عليها اسمه الكرم وأوقف عليها ٧٥ فدانا من أجود الأراضى للإنفاق عليها .

وخصص قصره فى حلوان لإنشاء مدرسة للبنات به تحمل اسمه وأوقف عليها ٦٠ فدانا .

وأوقف ٥٤ فدانا بين جناين وأراضى زراعية لكنيسة مغاغة القبطية التى شيدها ، وشيد بها المنامة واشترط أن يصرف من ريع هذا الوقف عشرة جنيهات لفرقة الكشافة وخمسة وأربعون جنيها لجوائز تمنح لقائلى القصائد الأولى الثلاث فى الحفلة التذكارية السنوية ، وخمسة وخمسون جنيها لجوائز سنوية تمنح لأوائل مدارس مجلس المديرية وفرقة الكشافة بمغاغة ومدرسة المنيا الثانوية ومدرسة البنات التابعة لمجلس المديرية مع إقامة حفلات تذكارية توزع فيها الصدقات على الفقراء .

(١) الإيمان - عدد هاتور وكيهك سنة ١٦٦٢ (نوفمبر - ديسمبر سنة ١٩٤٥) ص ٩٦ - ٩٧ .

وأوقف ثلاثين فدانا للمستشفى القبطى والجمعية الخيرية القبطية الكبرى . وخصص حصصا لبعض الجمعيات الأخرى وعشرة أفدنة لكنيسة طحا الأعمدة المدفون بها جده المغفور له يوسف بك عبد الشهيد عضو مجلس شورى النواب .

هذه مبراته الخيرية . ولكن الرجل كان مصريا وطنيا صميا فدفعته هذه المصرية المرهفة الى بذل الجهود فى سبيل مواطنيه جميعا . ومن أبرز هذه الجهود ما بذله فى سبيل تدعيم الإقتصاد المصرى .

وخير أعمال قلبنى باشا هو مشروع بنك التسليف الزراعى المصرى ، ثم الجهود الاقتصادية التى خدّم بها البلاد فى المساهمة بتسوية الديون العقارية التى هى أعقد مشاكلنا الداخلية ، والعمل على تأجيل أقساطها ومد سلفها ومنع البيوع الجبرية حفظاً لمرافق المصريين وثروتهم العقارية ، فانه لما كانت أزمة سنة ١٩٠٧ والأزمات التى توالى بعدها قام سعادته مطالباً الحكومة بإنشاء بنك زراعى ليحمى المزارعين من تعنت المصاريف الأجنبية التى اقفلت أبوابها فى وجوههم .

ولما تهافت الاجانب على شراء الدومين رأى سعادته أن أهل وطنه أحق وأولى بهذه الاملاك فاقترح توزيعها على صغار المزارعين حفظاً للثروة القومية .

جهوده الاجتماعية

كذلك نادى عطوفته بتحريم الخمر أسوة بأمريكا ، كما نادى أيضاً بمكافحة التسول فكان لدعوته الأثر المحمود اذ شرعت الحكومة على اثر ذلك فى سن القوانين اللازمة ونفذت فعلا جانبا منها .

ولعطوفة الباشا يد بيضاء على جمعية الهلال الاحمر فقد كان من مؤسسيها وظل وكيلا لمجلس ادارتها زهاء عشرين سنة . وهو أيضاً من منشىء المستشفى القبطى وقد أوقف عليه ثلاثين فدانا ، وكذا أوقف عشرة أفدنه على كنيسة طحا ، وأنشأ كنيسة ومسجداً بمغاغة (١) .

٧٩ - كامل صدقى

عرفته ... رئيسا للجنة المدارس القبطية ووكيلا لمجلس النواب . وعرفته وكيلا للمجلس المللى العام وعظيماً من عظماء مصر المجاهدين .

(١) «الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها» لرمزى تادرس ح ١ ص ٥٣-٥٤ ، مجلة الأنوار فى ٢٦ بابة سنة ١٦٦٣ (٦) نوفمبر سنة ١٩٤٧ ص ٩-١٠ .

فهتمته عندما كان يعطف على أبنائه الطلبة والشباب و يعاملهم معاملة الوالد دون تمييز أو تفریق . وقدرته حينما كان يجرى معى تحقيقا لأمر ما . ولا يغمطنى حتى فى إبداء آرائى بإسهاب بالرغم من وقته الغالى ومركزه العظيم .

مراد مهني (١)

رئيس ديوان المحاسبة ووكيل المجلس الملى العام

من أقوى الشخصيات البارزة فى الأقباط ، معروف بجهاذه الطويل المضنى فى سبيل رفع شأن أمته ، عالم كبير وقانونى ضليع ، له مواقف مشهورة فى الدفاع عن المجلس الملى والكنيسة القبطية . خدم الأقباط خدمات جليلة ، غيور على مصالح الشعب القبطى وعلى تحسين أحواله وعلى السير بأفراده وجماعاته الى الحياة الصحيحة المنتجة . له نفوذ واسع ، شخصيته فذة وله مكانة وتقدير فى جميع الأوساط .

خدم الكنيسة والأمة القبطية فى المجلس الملى العام سبع دورات متتالية ، فكان الرجل الذى عرف بالمحافظة على تقاليد الكنيسة القبطية ، وبالذقة المتناهية فى مسائل الأحوال الشخصية الذى ترأس دائرتها عدة مرات . وكان من المعارضين فى إصدار قانون الأحوال الشخصية الجديد وناضل نضالا كبيرا وكتب مذكرة مستفيضة هاجم فيها المشروع المشار اليه وقدمها لوزير العدل بالاشتراك مع حبيب المصرى باشا مع ما فى تقديمها من حرج لموقفه كوفدى فى وزارة وفدية . فدل بذلك على جرأة متناهية فاجبه الشعب حبا كبيرا . ملقب دائما بميزان المجلس الملى العام .

الأحوال الشخصية لغير المسلمين

قدم كامل صدقى باشا وسعادة حبيب المصرى باشا بصفتهما الشخصية مذكرة مستفيضة الى معالى وزير العدل فى شأن مشروع الأحوال الشخصية لطوائف غير المسلمين وقد دافعا فيه عن حقوق المجالس الملية مشيرين الى عدم مشروعية اتمام الزواج بالطريق المدنى إذ أن الزواج يعد فى الكنيسة القبطية سراً من أسرارها المقدسة لا يمكن إتمامه الا بإجراء الاكليل على يد الكاهن . كما أن الكنيسة لا تعترف بأى زواج يعقد خارج نطاقها

كذلك عرضا فى المذكرة لحالة تغيير أحد الخصوم دينه أو ملته فأبانا أنه فى هذه الحالة ينبغى الرجوع الى قانون عقد الزواج لا الى أى قانون آخر . وقالوا إنها يرمى الى المحافظة على كيان الأسرة القبطية وتضييق نطاق الطلاق الى حد عدم إباحته .

(١) مجلة الأنوار فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، راجع أيضا المجلة عينها عدد ٢٩ ديسمبر من نفس السنة

وقد أبدى معالى الوزير اهتماما كبيرا بالمذكرة وبحث ما ورد فيها وخاصة أن مقدميها من كبار رجال القانون الى جانب أنها كانا من وكلاء المجلس الملى السابقين (١) .

٨٠ - المرحوم أمين يوسف من علماء اللغة القبطية

استأثر الى رحمة الرب يوم السبت الماضى ٢٨ هاتور الموافق ٢٧ نوفمبر المرحوم الأستاذ أمين يوسف وكانت وفاته بسكتة قلبية ، فانطوت بموته صفحة من صفحات رجل عمل طول أيامه على إحياء اللغة القبطية وهو يعد بحق من علمائها .

وقد حدثنى رحمه الله كيف نشأت الرغبة فى نفسه الى تعليم هذه اللغة فى سن متأخرة من حياته فقال لى : لما توفيت والدته وحضر الصلاة عليها اتجهت افكاره آنئذ الى معرفة ترجمة ما تلى على روحها . فصمم على تعلم هذه اللغة إلى حد الإتقان . وأصبح يتكلم بها ويعبر عن رأيه بكل سهولة بدون أن يتلعثم لسانه و بلفظ صحيح . وإذا ما عثر على كلمة حديثة نحت لها كلمة قبطية توافقها . وقد كان من أسعد أوقاتي تلك الساعات التى كنت أقفها معه لأسمعه يتكلم بهذه اللغة .

وكان رحمه الله بجانب معرفته القبطية ماهراً فى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، كما أنه كان مدة خدمته فى السكة الحديد مثال الموظف النشيط الأمين لعمله . وكان رجلاً مترزناً فى كلامه محباً للاطلاع وتعلم اللغات قوى الحجة والإرادة .

وقد تعلم اللغة الأرمينية فى مدة وجيزة وأتقنها رغم أنها من اللغات الصعبة ، وأن أحد أبناء هذه اللغة كان يعتقد أنه لا يمكنه أن يتقنها . فأعجب به عند ما سمعه يتكلم بها كما حدثنى بذلك .

ولا أزال أذكر كيف كان يتمنى بلهفة وشغف أن يتعلم جميع الأقباط لغة أجدادهم . وكان يتطوع لتعليم الشباب هذه اللغة عن رضاء خاطر . وكان يسر حينما يعلم أن عدد الأقباط الذين يهتمون بتعلم هذه اللغة قد ازداد .

و يعد موته خسارة لتلاميذه والمشتغلين بالقبطية ، فقد فقدوا ركناً ركيناً ، وترك فراغاً لا يمكن ملؤه .

(١) الأهرام فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ و يوسفنى أن أقول إننى لم أجد أى شخص من أسرة هذا الرجل العظيم رضى بإعطائى المعلومات عنه مما اضطررنى الى الاكتفاء بالمشور على هذه الصفحة .

وانى أسأله تعالى أن يرحم هذا الصديق رحمة واسعة و يلهمنا مع آله وذويه الصبر
والسلوان ،

ى.ع.أ (١)
(يسى عبد المسيح)

١٣ مارس سنة ١٩٤٤

ملحق رقم ١

حبيب المصرى باشا فى الحضرة الملكية

ما زالت استقالة حبيب المصرى باشا من المجلس الملى موضع حديث كل قبضى . ولا تزال الاحتجاجات ترد على البطريركية تباعا يعلن فيها . مرسلوها من الجمعيات والهيئات والافراد سخطهم على استبعاد اكبر شخصية من المجلس لها مكانتها الاولى فى قلوب الشعب ولها ماضيها المجيد . ولن ينسى الشعب لحبيب المصرى انه تفانى فى خدمة كنيسته حتى تبوأ مكان الزعامة وقاد الامة القبطية فى ظروف حرجة واوصلها الى ميناء الامن والسلام . وسوف تكون الايام القليلة المقبلة اكبر شاهد على شخصية حبيب المصرى وسيعود الى المجلس معززا مكرما يرفعه الشعب على رقباه .

واكبر دليل على أن حبيب المصرى باشا شخصية لها مكانتها الاولى ان جلالة الملك حفظه الله استدعاه لمقابلته يوم الاحد ٥ مارس الجارى واستطلع رأيه فى مشكلة اوقاف الاديرة وظل معه أكثر من ساعة سرد فيها المراحل التى مرت بهذه المشكلة منذ سنة ١٨٨٣ . ولم يستطع اقرب المقربين الى حبيب باشا ان يعرف منه اكثر من ذلك . ولكن الجميع يتسائلون لماذا لم يدع المنيأوى باشا لمقابلة جلالة الملك باعتباره وكيل المجلس الملى العام . الجواب عند علام الغيوب .

اوقاف الاديرة وادارتها

لا شك فى ان المجلس الملى وقع فى مأزق حرج كما أنه أوقع غبطة البطريرك فى ورطة كبرى . اذ اراد المنيأوى باشا أن يظهر بمظهر البطولة فحقق وسقط وكان سقوطه عظيما . وظن المسكين ان الزعامة تأتى عن طريق التهويش والدعايات فى الصحف فهلل وكبر . واستصدر امرا من غبطة البطريرك بان يتولى المجلس الملى ادارة اوقاف الاديرة وزعم انها خربت وان ريع ممتلكاتها ينفق فى اوجه غير مشروعة وان المجلس هو وحده الأمين على هذه الاموال . وقبل أن

(١) مجلة الأنوار (العددان ٢١ و ٢٢ من السنة الأولى) ٦-١٣ كيهك (١٥-٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

تحوض غمار الكلام فى هذا الموضوع نريد أن نوجه للمنياوى باشا سؤالاً واحداً وهو— لماذا نص فى أمر البطريرك على ان تعيين واقالة نظار الأديرة يكون بناء على مقترحاتكم ؟

ان الذين يعرفون سر هذا القرار يعلمون تمام العلم ان غبطة البطريرك رفض تحويل المنياوى باشا هذه السلطة الواسعة التى سوف تدر عليه الايرادات وتجلب له المغامم العظيمة . اذ يستطيع فى اى وقت شاء ان يعين ناظر الدير وان يقبله اذا لم ينفذ له ارادته . وكان المنياوى باشا يتشدد فى وضع هذه الفقرة وقال لغبطة البطريرك و يعلم الله بحضورى ان القرار لا قيمة له بدون وضع الفقرة المذكورة .

اذن لم يكن المنياوى باشا ليسعى فى تحويل المجلس حق ادارة اوقاف الاديرة لمجرد خير الاديرة والرهبان كما يزعم بل لاجل منفعتة الشخصية إذ اننا لم نسمع منذ انشاء المجلس الملى ان البطريرك حول حق تعيين نظار الاديرة او اقالتهم بناء على مقترحات وكيل المجلس او بالحرى بناء على أمره . والجميع يعلمون ان البطريرك لا يرد المنياوى باشا فى اى طلب .

ادارة الاديرة — وادارة البطريركية

لم يوجه المجلس الملى العام— بعد ان بحث ونقب— اى مطعن معين ضد نظار الأديرة ورؤسائها فى إدارتهم ، وكل ما قاله عن هذه الادارة إنها مسرفة مبذرة . مع انه يعلم و يعلم الجميع والله يعلم فوق الكل أن أوقاف الأديرة فى ازدياد مستمر وفى ازدهار— على عكس إدارة المجلس لأوقاف البطريركية فإن الفوضى تسودها والاضطرابات تغشاها والسرقات تتكرر كل يوم حتى انكشيت الاوقاف وهببت الأعيان التى تملكها البطريركية الى النصف تقريباً . أما الاطيان التابعة للمجلس الآن فهى عبارة عن بقايا منازل وخرائب تهدم الواحدة بعد الاخرى ، فاذا كانت ادارة المجلس الملى ادارة حازمة وصالحة كما يدعون فلماذا اقتضت البطريركية مبلغ سبعة الاف جنيه من الحكومة منذ عشر سنوات بفائدة ٦ فى المائة مازالت البطريركية تدفعها الى اليوم ؟ واذا كانت إدارة المجلس صالحة فلماذا نقرأ كل يوم بالصحف عن بيع خرابات تملكها البطريركية و يقول حضرة صاحب العزة الاستاذ الكبير بطرس بك رزق الله إن ثمن هذه الخرابات يسدد بها الديون التى تراكمت على البطريركية حتى اشرفت على الافلاس ؟ واذا كانت ادارة المجلس صالحة فلماذا لا يقبض الكهنة مرتباتهم الا بعد اربعة شهور و يزورون البيوت ملتسقين مد يد المساعدة لهم ؟ واذا كانت ادارة المجلس فيها شىء من الذمة والأمانة والخوف من الله فلماذا سعى حبيب باشا المصرى حينما كان وكيلاً للمجلس حتى حمل الحكومة على منح البطريركية عشرة آلاف جنيه على سنتين اعانة بعد أن حفيت قدماه ؟ واخيراً اذا كانت ادارة المجلس حازمة فلماذا نقصت الاطيان التى تملكها البطريركية والاعيان الى النصف تماماً الواقع ان المجلس دبت فيه الغيرة اذ يرى اوقافه فى تأخر واضمحلال مستمر . فى حين يرى اوقاف

الأديرة في ازدياد واعيانه تناطح السحاب . لهذا اراد المنيأوى باشا وراغب اسكندر بك يحصلوا على اوقاف الأديرة لينعما بها . كلا يا سادة لا تتعبوا انفسكم فلن تأخذوا منها سهما واحدا .

هل تنفيذ قرار البطريك ؟

رفض نظار الأديرة ورؤساؤها تسليم أوقافها الى المجلس الملى كما أن الرهبان أعلنوا أنهم حافظوا عليها كل الحرص ، بل أنهم - بعرق جباههم - قد أموها بعد أن كانت ضئيلة فنمت وزادت فكيف يأتى اليوم قوم و ينزعون هذه الأوقاف من أيدينا بحجة أننا فى حاجة الى إصلاح ؟! إن الغرض الوحيد الذى يرمى اليه المجلس - وإذا قلنا المجلس نقصد هنا المنيأوى باشا وراغب بك لأنها المجلس فعلا - لم يكن حرصه على الأديرة وأوقافها وتوفير أسباب الراحة للرهبان بل مصلحته الشخصية . لقد انعقد إجماع المطارنة ورؤساء الأديرة على عدم تنفيذ هذا القرار وطالبوا غبطة البطريك بعقد مجمع مقدس للنظر فيه فى هذا الموضوع .

ملحق رقم ٢

لقد دلت التجارب الطويلة التى مرت على الكنيسة والمنازعات المريرة التى قامت ، على صعوبة تحقيق الإصلاح وصعوبة النهوض بالأمة القبطية ما لم يكن هناك تضامن كامل بين الاكليروس والشعب تربط قلوبهم رابطة المحبة ورابطة الولاء والإخلاص . أما سياسة القوة والإرغام . وسياسة إكراه فريق للنزول على إرادة فريق آخر بطريق جبرى فما يعرقل كل ما ينشده القبط و يقضى على كل أمل لهم فى الإصلاح .

المجلس يبذل أموال البطريك لجمعية التوفيق وثمره التوفيق للدعاية له فى الانتخابات المقبلة

وقد كان مما لجأ اليه المجلس أخيرا خشية غضب الشعب وسخطه الشديد من تصرفاته المخزية بإثارة الشقاق فى الكنيسة أن اتفق مع جمعيتى التوفيق وثمره التوفيق لإقامة حفلات شبه أسبوعية يتحدث فيها المهيمنون على المجلس ضد رجال الاكليروس و يطعنوهم بكل حرية و يكيلون لهم السباب علانية و يدفعون ثمنا لكل حفلة ١٥٠ جنيها من مال البطريك . والواقع أن المجلس لم يبذل هذه الأموال بسخاء إلا لأنه يعلم علم اليقين أن انتخاباته قد قربت . وظن أن جمعيتى التوفيق وثمره التوفيق تتزعمان الجمعيات القبطية فتؤثران عليها جميعا فى تأييد المجلس لخطواته فزعم وأعلن فى كل مكان أن الجمعيات القبطية تؤيده فى موقفه وتعضده فى تصرفاته مما أضطر ٢٦ جمعية قبطية كبرى فى القاهرة أن تعقد اجتماعا عاما تعلن فيه سخطها على تصرفات المجلس وتطالبه بضرورة إعادة التفاهم بين الاكليروس والشعب . وقد جاء قرارها هذا لظمة قوية

لمدعى الاصلاح . وجاءت الاجتماعات التى عقدها هؤلاء المدعون لطمه أشد حيث لم يحضرها إلا نفر قليل . فاقراً واعجب وترحم ولو قليلا على كل من يتورط فى تسرعه .

قرار مجلس الوزراء الأخير

على أن المجلس الملى او بالحري نفر الذى يديره كان يعتقد أنه بهذه المهاترات يتسلم أوقاف الأديرة ولكن المطارنة ورؤساء الأديرة ورهبانها تشبثوا بها أكثر فأكثر . فسعى المجلس لدى الحكومة حتى صدر قرار فى ١٦ مايو الجارى بالغاء قراره السابق صدوره منه فى أول ديسمبر سنة ١٩٣٨ . ثم هلل وكبر زاعما أنه انتصر انتصارا عظيما . والواقع أنه على أثر صدور القانون نمرة ١٩ لسنة ١٩٢٧ الذى أعاد العمل بلائحة سنة ١٨٨٣ أراد المجلس الملى استلام أوقاف الأديرة . ولما رفض المطارنة رفع المجلس الملى عدة دعاوى عليهم بالمحاكم الأهلية مطالبا إياهم بالتسليم . وفى ذلك الوقت كان النزاع قد استحکم بين الطرفين فتدخل المغفور له محمد محمود باشا ، وتصالح الطرفان على أن تؤلف لجنة إدارة الأديرة مهمتها مراقبة حسابات الأوقاف . وقد باشرت اللجنة مهمتها من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٤٣ وكانت تعتمد جميع الحسابات التى تقدم اليها وهى مؤلفة من كثيرين من أعضاء المجلس الملى الحالى وهم يشهدون بحزم الرهبان فى إدارة أوقاف أديرتهم ، الى أن صدر القرار الأخير بالغاء قرار أول ديسمبر سنة ١٩٢٨ .

ومعنى هذا أننا رجعنا الى ما كنا عليه قبل سنة ١٩٢٨ قبل رفع الدعاوى . وكل ما يستطيع أن يفعله المجلس فى الوقت الحاضر هو الالتجاء الى القضاء . وهناك سيعيد التاريخ نفسه ويتصالح الطرفان . ونحن لا نعلم لما كل هذه الضجة التى أقامها المنيأوى باشا وراغب بك اسكندر كأنهما فتحا روما . لينتظرا فاذا تسلما شيئا يستطيعان أن يهلا و يكبرا ، اما الآن فليس لهما أن يفتخرا بشيء .

اعمال المجلس مدة اربعة شهور

والناس يتساءلون ماذا فعل المجلس منذ أن ارتقى غبطة البطريرك المصلح عرش مارمرقس ؟ وهو رجل قلما تجود الأيام علينا بمثله ! توجد مشاريع كثيرة أمام المجلس لم يحقق منها شيئا . ولكنه استطاع فى الفترة بين تتويج غبطة البطريرك وبين يومنا هذا أن يقسم الكنيسة الى شطرين فى مسألة الأوقاف وأن يوجد اشكالا كبيرا جعل موقف غبطة البطريرك حرجا إن لم يكن قد نفر منه الشعب وأبعد عنه كل محبيه . وأن ينفق من أموال البطريركية الألوف والألوف فى سبيل الدعاية لأشخاص معينين بحيث أنه لم يحصل فى تاريخ الكنيسة نزاع مثل هذا النزاع الذى خلقه دعاة الإصلاح المساكين على حساب الكنيسة والشعب ، وعلى حساب الموقف وقد تدهور لكثرة ما يستنزفون من أمواله .

بوق دعاة الإصلاح والمجلس

لم يكتف هؤلاء المشاغبون بما أحدثوه من ضروب الشقاق . ولا بما أصدره من قرارات بعيدة التنفيذ بل راحوا فاتخذوا جريدة مصر بوقا لهم على الرغم من أنهم يعلمون جيداً وجيداً أنها من الصحف التي تكاد تكون محتجبة لعدم عناية الناس بها بسبب سياستها الحالية التي تقوم على هدم الكنيسة وتحريضها على الثورة ضد رجال الاكليروس . فهي إن صدرت اليوم محبذة أعمالهم بخاضعة لتصرفاتهم ولرقابتهم فلا يكتب فيها شيء إلا بإذنهم وباطلاعهم ولذلك فإن صوتها الخافت لا يصل الى أبعد من جدرانها . فهنيئاً لهم بها وهنيئاً لها بماال الوقف الذي قرروه لها « ٤٠٠ جنيه شهرياً » على حساب هذه الدعاية الضعيفة

ميزانية البطريركية

وكان أول اصطدام حدث بين المصلحين من أعضاء المجلس الملى وبين المستقلين منهم أن طالب هؤلاء بعرض ميزانية البطريركية عليهم . فسوف المصلحون وأخفوا الميزانية . كما أخفوا عن العيون كل ما يطلبونه من بيانات خاصة بالاموال التي تتفق بأمر وكيل المجلس الملى العام دون علم المجلس أو لجانه وبعد الانتخاب القادم ستسمع العجب وكيف ذهبت اثني عشر ألفاً من الجنيهات فى سبيل الدعايات الكاذبة والمجد الباطل .

مسألة الحبشة

وفى خلال هذه الفترة التى شن فيها المصلحون الحرب على الاكليروس والشعب والكنيسة ظهرت مسألة تحتاج الى حكمة وعقول متزنة . لكن المصلحين الإجلاء أسرعوا كعادتهم الى إصدار قرارات فيها زادت الطين بلة والموقف حرجاً . فقد قرروا تأليف لجنة ستسافر الى اديس ابابا لتسوية المسائل المعلقة وهى مسائل غاية فى الخطورة . فكانت ثالثة الأثافي . ومع كل هذا ومع حاجة مسألة الحبشة الى درس وبحث وخاصة ما تعلق منها برسامة أسقف حبشى فإن اللجنة ستباشر مهمتها وهو أمر يجعل انفصال الكنيستين أمر محقق .

الرقابة على القصر البطريركى

لا نزاع فى أن القصر البطريركى محاط بعيون من الرقباء فلا يمكن لأى انسان أن يقابل غبطة البطريرك الا ويكون الحاجز بينها واقفاً — والحاجز هنا عزمى افندى نوار — وكانت آخر رقابة فرضت على غبطة البطريرك أن وضعوا له سويتش تليفونى . فإذا أراد انسان أن يتحدث مع غبطته تليفونيا فإن عامل التليفون وهو من أسرة عزمى أفندى نوار يلتقط المحادثة ويبلغها أولاً بأول الى سيده عزمى افندى . حتى محادثات ديوان البطريركية فإنها جميعها تحت الرقابة الآن .

من ٢٢ جنيها الى ٥٠ جنيها وتليفون خصوصى كمان

حينما وقع اختيار المجلس الملى على عزمى افندى نوار ليكون ناظراً لمدارسه فى سنة ١٩٣٩ كان حضرته مدرسا فى الدرجة السادسة بمرتب قدره ٢٢ جنيها فزيد بقدره قادر وبامر من المنيأوى باشا الى خمسين جنيها فى الشهر . وقد طلب المنيأوى باشا له علاوة قدرها عشرة جنيهاات أخرى فى هذين اليومين والمنظور أن تمر العلاوة من لجنة المدارس لأن الأمر أمر المنيأوى وراغب اسكندريك . وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد بل أدخل المجلس الملى فرعاً للتليفون بمنزل حضرة عزمى أفندى على حساب البطريركية .

ان الشعب القبطى يطالب المجلس الملى ان يكون سكرتير غبطة البطريرك رجلا من رجال الدين .

هل هذا انتصار أم اندحار؟

فى وسط هذا النضال العنيف القائم بين المجلس الملى والاحبار تتضائل قوة الكنيسة وتئن من أعماقها أنين الألم والشجن لأن فريقا من أبنائها يحاولون السيطرة عليها وعلى شئونها الدينية والمدنية جملة واحدة . ومن أجل ذلك أخذوا يقاومون رجال الدين . وأخذ رجال الدين يدافعون بكل قواهم للمحافظة على كيانهم مما أدى الى اشتداد المقاومة حتى أصبحت تشبه مصارعة شديدة بين اخوين يتناوبان فيها الملاكمة ليل نهار . وأمهما وهى الكنيسة تقف متوجعة متألمة تتقطع أحشاؤها من كثرة ما أصابها

نعم قد يفوز أحدهما . ولكنه فوز معدوم النتيجة النفع معدوم المصلحة . بل فوز مضر قد أساء الى الكنيسة والى الشعب . يخرج منه الغالب والمغلوب منهوكى القوى . ضعيفى الجانب فلا هو استفاد من صراعه ولا هو أفاد منه احداً . ولا هو استطاع بعد طول هذا الجهد أن يرفع من شان الشعب ولا من شان منشآته ، ولا أن يحفظ كيان الكنيسة المسكينة التى أخذت تتمزق إرباً وتنهيار المأ وتنتطوى فى سجل الأحداث حزنا وشجنا . وكل ذلك من أجل تنفيذ فكرة فقط ومن أجل السيطرة والاستعلاء ومن أجل أن يقال فاز فلان وفشل فلان ... ارحموا الكنيسة وارحموا ابناءها وأسرعوا الى الاتحاد ففى الاتحاد قوة وكل خير وتعاون وسلام .

أنرثى الكنيسة فى محنتها الحاضرة؟

ويؤلنا ونحن نكتب هذه الكلمة أن نبكى حالة الكنيسة التى أصبحت فيها بمشاغبة بعض المدعين الاصلاح نبيكها بكل دموعنا ، وقلوبنا ، نبيكها بدمائنا التى روتها فى عصر الشهداء وما بعده ، نبيكها لأن هؤلاء المشاغبين يهدموننا ويريدون أن يرتفعوا على أنقاضها ، والله عليهم وعلى من ينصرهم رقيب حسيب .

نبكى الكنيسة فى أيامنا هذه لأن نفراً يريدون تمزيقها والقضاء عليها . نبكيا لاننا لو جمعنا كل مراثى ايوب وارميا وغيرهم لما وفينا حالة الكنيسة حقها . ولكن بكاءنا هذا انما يتصاعد الى عرش العلى وهو وحده الذى ينتقم لكل من يمس بيعته الطاهرة وكل من يناهضها حبا فى الظهور والادعاء بطلب الاصلاح .

إفشاء أسرار الكتب المتداولة بين الأحرار والبطريك

حضرة صاحب جريدة الوطنية الغراء

سمعنا سعادة المنياوى باشا يتلو خطابا فى الحفلة التى أقامها المجلس الملى بجمعية التوفيق . يقول إنه صادر من نيافة مطران القدس فى اغسطس سنة ١٩٣٩ وأخذ يعلق عليه بما يؤيد وجهة نظر سعادتة ومجلسه الملى .

فهل تبيح قوانين الكنيسة إذاعة كتاب صادر من أب روى الى بابا و بطريك الكرازة المرقسية ؟ بلا إذنهما أو اتفاقهما كليهما على النشر؟؟ أولا يعتبر هذا الخطاب الخاص ضمن الأسرار الواجب صيانتها ؟ أرجو الإجابة مع قبول الشكر سلفاً

شاكر خليل

و « الوطنية » تجيب على سؤال حضرة القارىء الأديب أنها حولت سؤاله على أرخن كنسى دينى للإجابة عليه فتفضل بهذا الرد قال

إن قوانين الكنيسة لا تبيح مثل هذا العمل الصغير وكذلك لا تبيحه آداب السلوك ولا واجب اللياقة فإذا ما أباح وكيل المجلس اليوم تلاوة الخطابات الخاصة الواردة للقصر البطريكى فى عهد البطريك السابق لتعصيد وجهة نظره فكيف لا يذيع غداً مكاتبات البطريك الحالى لأى سبب من الأسباب ؟

أسرار القصر البطريكى على ما يظهر فى عهدة رجال غير مسؤولين يستبيحون كل شىء فى سبيل تحقيق أغراضهم الخاصة . وليس الذنب فى هذا ذنب سعادة المنياوى باشا انما هو ذنب سكرتيرية البطريك المؤتمنة على أسرار الدار البطريكية فكيف سلمت هذا الخطاب ليعرض على السوق كما يستعرض طالب العيش القردة ليستدر عطف المتفرجين فيجودون عليه . ومن الذى يحول بين أعضاء المجلس الملى وإذاعة خطابات القصر البطريكى ليستجدوا بوساطتها أصوات الناخبين يوم الانتخابات

إن الوطنية طالما نددت بوجود سكرتيرين من مدنيين لغبطة الأب البطريك والحت على

وجوب اختيار السكرتير البطريركى من رجال الاكليروس الذين يحتم عليهم واجبهام الدينى ونظامهم الكنسى صيانة الأسرار، ولو تعرضت حياتهم للموت . وها هى الظروف تحقق صدق فراستها فى سكرتيرية السادة الأشراف العلمانيين الذين يقدمون الخطابات التى تحمل أسرار سيدهم للنشر تفكهة للناس فى الحفلات العامة . وهكذا تكون الكرامة وهكذا تكون الشهامة والا فلا

حول المشكلة القبطية

لقد اسمعت لونا ديت ...

نشرت مجموعة بنجوين الخاصة كتيباً وسمته بعنوان « ماذا يقول هتلر » تحدث فيه عن بضعة فقرات من خطب هتلر منذ عام ١٩٣٣ حتى اليوم ، وضحت فيها مطامعه وتقلبه وتأرجحه بين اهواء هذه المطامع ، وأنه لم يكن رجلاً جاداً فى أى وعد قطعه ، وأنه عندما كان يتحدث عن مراحل القتال كان داعية أجوف ولا أكثر من هذا ...

وقد ذكرنا هذا الكتيب بعدة كلمات نشرتها زميلتنا الوطنية عن احاديث لسعادة المنيأوى باشا وكيل المجلس الملى العام قيل ان سعادته القاها فى عدة حفلات للدعاية للمجلس لم يحضرها بالطبيعة وعقدت فى جمعية ثمرة التوفيق وكنيسة مارمينا ومدارس النهضة بشبرا ، والتعقب لاحاديث سعادته هذه يرقب تطوره الى الديكتاتورية الزعامة التى يعمل لها سعادته ويبذل لها الجهود والاموال ولكنها لن توصله الا الى باب المجلس الملى عندما يهزم فى المعركة الانتخابية .

والذى يعنيننا اليوم هو حديث سعادته فى المكان الاخير الذى يقول فيه (إن كان البطريرك يجب أن يعالج الامور بالحسنى لجه السلام ، واذا كانت شيخوخته تستدعى الهدوء فاننا سنسير فى محاكمة المطارنة رضى البطريرك أو لم يرض » ونخرج من هذا الى أمرين اثنين

١- ان المنيأوى باشا كان يضحك على سامعيه عندما قال فى ساحة جمعية التوفيق « ان البطريرك هو الدينامو الذى يدفعنا بقوة للاصلاح - ولا يفتأ يحرصنا بقوله اعملوا اعملوا ولا تتهاونوا »

٢- ان وكيل المجلس الملى الذى يقول (ان الاب البطريرك هو الذى يشرف على لجاننا ويرأسنا) قد قرر الخروج على هذا الرئيس لانه يجب السلام

وكيف تتفق كلمات الدينامو الدافع القوى وكلمات الشيخوخة التى تتطلب الهدوء

سالم سيدهم

الوطنية. ٤٤/٨/٣

ملحق ٤ ب

حبيب باشا المصرى يتحدث

توجهنا يوم السبت الماضى إلى القصر البطريركى للسلام على حضرات أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء فوجدنا ساحته عامرة بعدد محترم من حضراتهم . فجلسنا نتمتع بأحاديثهم الطلية فترة طويلة من الزمن ، وفى أثناء زيارتنا أقبل حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب باشا المصرى تصحبه كرمته الأنسة المهذبة اريس . وبعد أن استقر به المقام طلب كأس ماء ، فنادى الأحبار بفراش الدار مراراً وتكراراً لإحضارها ... بدون جدوى . إلى أن انتزع حضرة صاحب النيافة الأنبا توماس كوبة ماء انتزاعاً لكى يكسب الأجر السماوى الذى قرره المسيح له المجد لمن يعطى أخاه كأس ماء بارد . وهنا حصلت مقارنة بين كرم القصر البطريركى فى عهده الحاضر وعهده الغابر، وبين كرم الفلاية البطريركية وكرم بناتها مطرانيات الابروشيات فى القطر المصرى .

وعلق حضرة الأستاذ الكبير كامل صالح نخلة المؤرخ المدقق على هذه المقارنات بما حصل له شخصياً منذ بضع سنين فقال (انتدبتنى الحكومة المصرية مع زميلى المرحوم الاستاذ متى بك ابراهيم فى مهمة رسمية سنة ١٩٢٩ بمدينة سوهاج فوصلنا إليها فى الساعة الثامنة مساء ، وطرقنا أبواب جميع فنادقها لنجد مأوى وطاماً فلم نوفق الى ذلك ، ففكرنا فى الرجوع إلى القاهرة بالقطار التالى . وحينئذ عنى لى أن أقصد دار المطرانية فلم أتردد فى طرق بابها وتبعنى زميلى بعد تمنع ، وهناك لحسن حظنا وجدنا حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بطرس فى ساحة المطرانية يحف به أراخنة الأبروشية . فلما لمحنا رحب بنا كما يرحب الوالد الحنون بأولاده بعد غياب طويل ، وصرف أبناءه بظرف ليتفرغ لمؤانستنا - فوجدنا فى داره العامرة مقاماً طيباً . ومكثنا فى ضيافته الحاتمية سبعة أيام كاملة كانت أحلى أيام العمر . ولم نسمع أن نعود إلى القاهرة ونتخلص من ضيافته إلا بعد أن أطلعنا على أوامر المصلحة واستمارات السفر . وعلى ضرورة سفرنا بمد هذه المدة التى قضيناها هنا . ولولا وجود مطرانية سوهاج المضيافة لما استطعنا أن نقوم بمهمتنا المصلحية .

وهنا سأل سعادة حبيب المصرى باشا نيافة الانبا توماس عما حصل من بعض أبنائه فاطلعه نيافته على التلغراف الذى أرسله المجلس الملى الفرعى بطنطا يجرمه فيه من وظيفته وبمنعه من الرجوع الى كرسية . فابتسم الحاضرون لهذا السخف ، فقال حبيب باشا إننى لا أستسيغ

حتى الابتسام أزاء هذه الحوادث الشاذة . فأجابه نيافة المطران — ولكن لا تنسى ياباشا « أن شر البلية ما يضحك » وقال آخر . ولا ننسى أيضاً « أن الطير يرقص مذبحاً من الألم » .

وهنا قال حبيب باشا لقد تطورت الأمور بالكنيسة القبطية تطوراً سيئاً جداً . وبلغت حدّاً لم تبلغه في أشد الكنائس تطرفاً ، وأبلغها استهتاراً بنظام الكهنوت . فإن البروتستانت الذين نعيب عليهم عدم اعترافهم بالرتب الكهنوتية لا يجراًون على حرمان شماس عندهم قبل عرض أمره على مجلس الكنيسة التابع لها ، وإذا لم يقتنع بالحكم رفع أمره الى المجمع الاقليمي التابع له . وله أن يستأنف الحكم الى السنودس المشيخي العام .

أما عندنا فإن مجلس ملئ فرعى الذى انتزع منه آخر اختصاص له . لا يرى غضاضة أن يجتمع أعضاؤه ويشلحون مطراناً . هذا قلب للأوضاع ، وهدم للمنطق المألوف . ولعب بالمعقول والمنقول .

وهنا لاحظ القمص سرجيوس بأن تعدى المجلس الملئ العام فى حادث الأستاذ وديع سعيد على قرار المجمع المقدس كان مشجعاً لمثل هؤلاء على ارتكاب مثل هذا الخطأ « والناس على دين زعمائهم » فأجابه حبيب باشا بقوله :

(أنت تعلم . كما يعلم الجميع . أنى كنت غائباً عن الجلسة التى قرر فيها المجلس قراره هذا . وتعلم أننى فى الجلسة التالية حاولت جهدى أن أعرض الموضوع مرة ثانية على بساط البحث للنظر فيه . فخذلنى الأعضاء المكرمون . وحتى أولئك الزملاء الذين قدموا استقالتهم فى الجلسة السابقة التى صدر فيها القرار . لم تكن لديهم الشجاعة الأدبية الكافية لكى يؤازرونى فى موقفى لتصحيح ذلك القرار الشاذ . فأنت ترى أننى برىء من الذنب الذى تريد أن تحملنى وزره الآن . وهنا قال آخر : ولكنه الإصلاح ياباشا هو الذى يدفع القوم إلى هذه المواقف !؟

المشكلة القبطية

الناخبون ..

نشرت الأهرام فى جوار باب الاجتماعيات إعلاناً مأجوراً للمجلس الملئ الحالى يتحدث فيه المجلس عن أن قوائم أسماء الناخبين قد الصقت بالمحل المعد لذلك بالديوان البطريركى ، وطلب المجلس من أفراد الطائفة ناخبين وغير ناخبين أن يقدموا الطعون فى هؤلاء الذين لدرجت اسمائهم فى الكشوف المذكورة كتابة فى ظرف الأيام السبعة التى تلت هذا اللصق أى من يوم ٨ سبتمبر .

ومعنى هذا أن المدة تنتهى فى يوم ١٤ سبتمبر . وقد وفر علينا المجلس الملئ بإعلانه ما كنا

نرجوه نحن من افراد الطائفة القبطية أن يوزنوا الأمر بمقياس الحق وصالح الكنيسة أى وصالح الطائفة فلا يتركون مطعنا لا يتقدمون به مهما كان الفرد أو الافراد الذين يجدون فيهم أى مطعن .

ونحن بالاضافة الى هذا نرجو ملتزمين من أفراد الطائفة أن يكتبوا الينا أو الى زميلتنا الوطنية بما تقدموا به للمجلس الملى من طعون حتى نستطيع أن نتعرف لهم ماذا كانت نهاية هذه الطعون التى تقدموا بها ، والطعن فى المنتخب لشيء يعطل من انتخابه مسألة قومية صحيحة لا يجب أن تقف فى سبيلها صداقة ولا يجب أن تغفل لأى سبب مادى أو معنوى ، بل أن الذى يترك هذا الأمر عن قصد أو عن إهمال إنما يفرط فى حقوق نفسه وفى حقوق الطائفة القبطية كلها ، لأنه إذا صلح الناخبون صلح الانتخاب ، وكانت النتيجة نصراً للكنيسة .

وقد يكون هذا الموعد قصيراً سيما إذا لوحظ أن الطعن يتطلب تحقيقاً فلا يجب أن يساق عن هوى فى النفس ، ولا لشكوك عاجلة لا تقوم على صحتها أدلة مادية ، وكان لزاماً على المجلس أن يطيل هذا الأمد لأسبوعين كاملين على الأقل .

والأمر الآخر الذى نرجوه هو أن يعمل المجلس لوجه الله هذه المرة فيعمل صالحاً بتحقيق هذه الطعون ووضعها موضع التقدير!!

إن الله هو الذى يعلم الغيب... ولكن ما تفعل من شر إنما مرجعه اليك وحدك .

فليتدبر الناس الأمر... ولا يجب أن يتهاونوا فى أية ناحية من نواحي هذا الانتخاب القادم ، لأنه هو وحده المقياس على تماسك الأفراد كلهم من أجل صالح الكنيسة وصالح رجالها .

والله ولى التوفيق

« سالم سيدهم »

حفلة الجمعيات القبطية

دعت الجمعيات القبطية يوم الثلاثاء ١٧ الجارى (أكتوبر) . جمهور ناخبى المجلس الملى العام إلى حفلة انتخابية اقامتها بساحة مدرسة الأيمان الثانوية للبنات بجزيرة بدران . فلبى الدعوة نيف والى ألف ناخب . ولاحظنا على هذه الحفلة . الجد والنظام والابتعاد عن التهريج والاقتصاد فى

التصفيق والتهتاف . لأن الناخبين رغبوا أن يدرسوا الموقف على ضوء الحوادث لكي يؤدوا مهمتهم بأمانة واخلاص . مراعين المصلحة العامة قبل كل شيء .

وفي الساعة السادسة إلا ربع ألقى الأستاذ حبيب المصرى باشا خطيب الحفلة خطاباً شاملاً أتى فيه على كل ما يهم الناخب الوقوف عليه من شؤون الأمة القبطية . وراعى فى القائه الصراحة . والتؤدة . لكي يفهمه الجميع . وتخلل الخطاب أسئلة وجهها اليه الحاضرون فكان يجيب عليها واحداً واحداً : واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف الساعة .

خطاب الأستاذ المصرى باشا

قال المصرى باشا فى مستهل كلامه — ليس موضوع اليوم يدور حول الأشخاص وليست المعركة الانتخابية لكي يفوز فيها المنيأوى باشا أو حبيب المصرى . وإنما الموضوع هو مصلحة الطائفة أولاً . والسياسة التى يجب أن يتبعها المجلس الجديد لكي تنال الكنيسة مبتغاها : فدعونا من الأشخاص وتعالوا بنا ندرس الموقف على ضوء الحوادث . فبعد ارتقاء غبطة البابا أنبا مكارىوس للكرسى المرقسى صارحنى سعادة المنيأوى باشا بأنه وإخوته أعضاء المجلس هم الذين أرسلوا غبطته إلى الكرسى . وطبيعة الحوادث والمنطق تقرر أنه وإخوته منسجمون مع غبطته وينتجون خيراً وإصلاحاً للكنيسة . وموقفى لا يمكننى من مسaire المجلس فى خطته الجديدة . فتولتني الدهشة لهذه المفاجأة غير المنتظرة ولكننى لم أعارض . فقدمت استقالتي حباً فى اتمام الإصلاح المزعوم ومكثت ست شهور بعيداً عن المحيط الملئ أترقب الحوادث :

وهذه نتائج الانسجام الموهوم

تعقدت مسألة اثيوبيا بسياسة المجلس الحالى . فى سنة ١٩٤١ سعت لدى الأمبراطور فى إرجاع نيافة الأنبا كيرلس مطران الحبشة إلى كرسيه . وتكونت لجنة قوامها صادق باشا وهبة . فرج بك موسى . مريت بك غالى لمرافقة المطران إلى اثيوبيا . ولم أرافق الوفد لمرضى ووجودى بالمستشفى فى ذلك الوقت : ولما رجع الوفد حمله جلاله الأمبراطور مطالب عديدة لكي يدرسها المجلس الملئ ويحققها . فماذا عمل المجلس بعد، ارتقاء البابا ؟ كون لجنة أخرى وأرسلها إلى اثيوبيا بالرغم من نصح عقلاء الأمة له بعدم إرسالها : وأدخلوا فرج بك موسى عضواً بهذه اللجنة دون أخذ رأيه فرفض أن يسافر معها لأنه يعلم الموقف : وأن المجلس لم يرد على مطالب الأمبراطور القديمة . فليس من المعقول أن يتوجه الوفد وهو غير مزود برأى الكنيسة القبطية فى مطالب ربيبتها الاثيوبية وبالرغم من كل ذلك فقد توجه الوفد مزوداً بمطالب جديدة افدح من القديمة . وعلى أثره شرف مطران اثيوبيا القاهرة وأصبحت العلاقة بين الكنيستين أسوأ مما كانت عليه سنة ١٩٤٢ بفضل سياسة المجلس الملئ الحالى .

أما موضوع الأحوال الشخصية فهو ثلاثة الأثافي : ففي سنة ١٩٣٦ وضع حضرة صاحب الرفعة على ماهر باشا قانوناً للأحوال الشخصية لغير المسلمين . وكان من أحسن القوانين ضماناً لصيانة المسيحيين فلم يقبله المجلس الملي إذ ذاك لا لأنه غير واف بالغرض . بل لإبقاء القضاء الأحوال الشخصية في حضان الكنيسة ولصيانة العائلة المسيحية من الابتذال .

وقدمت الوزارة السابقة للمجلس الملي الحالي مشروعاً آخر وكان تقديمه في خلال المدة التي كان يسعى فيها المجلس لاستلام الأوقاف . فألغت لهم الوزارة قرار سنة ١٩٢٨ وهو قرار باطل من طبعه . وقدم لهم وزير العدل السابق مذكرة في الأوقاف لم تطلب منه . ليسلموا بوجهة نظره في مشروع الأحوال الشخصية وفعلاً قد سلموا على طول الخط . ولما ثارت الأمة ضد القانون تراجعوا . وقدموا مذكرتهم التاريخية المعروفة .

السياسة الجديدة

هذا هو الموقف بدون مبالغة . وهذا ما عرفه الناس جميعاً . فهل ماتم الآن في مصلحة الكنيسة ؟ لقد شعر ثم شعر الجميع بوجوب وضع حد لهذه الفوضى . وإرجاع الأمور الى نصابها . وهذا لا يكون الا باختيار هيئة جديدة : تقوم بسياسة جديدة مبنية على الوفاق والتوفيق الأمر الذي لا يمكن أن تقوم به هيئة المجلس الملي الحالي والتوفيق مستطاع وفي حد الإمكان . وهناك استعداد كبير للتسليم بوجهة نظر الشعب من جانب الرئاسة الدينية إذا ما أحسن اختيار نوابه بالمجلس الملي . وهناك استعداد من الكنيسة لوضع نظام حسابي دقيق لأوقاف الأديرة ومساعدتها لمشاريع الطائفة الكبرى من فائض ريع هذه الأوقاف . وهناك استعداد قوى من جانب الأب البطريرك في إتمام الإصلاح المنشود العملي وله فيه من ٢٠ سنة برنامج أعجبت به الأمة . ويرغب في إتمامه . وهناك استعداد من الكنيسة القبطية لإرضاء ابنها الاثيوبية وإجابة مطالبها المعقولة داخل دائرة القوانين والتقاليد الرسولية القديمة .

وهناك تصميم من جانب الكنيسة لصيانة العائلة من عبث التشريع الجائر الذي يضمر لها الشر . وهناك استعداد كبير ورغبة ملحة في الأتحاد من جانب الرئاسة مع الشعب . وكل ذلك تحقيقه متوقف على حسن اختياركم لأعضاء المجلس الملي . ولقد أصبحنا في موقف لانحسد عليه . وتعطلت مصالح الكنيسة فهناك أبروشيات هامة في حاجة الى رسامة مطارنة لها . وتندهشون حينما تعلمون أن مدينة أسيوط العظيمة ليس بها الآن الا قسيس واحد يقوم برعايتها .

وهناك اثيوبيا تنتظر جواب أمها وهي على أحر من الجمر . وقد حرمت هي الأخرى من وجود رئيسها الديني فيها .

أيها الناخبون . لقد أصبح أمر حل هذه المشاكل في أيديكم فاعملوا على إيجاد رجال واسعى الخيلة . رحبى الصدور ليقوموا بخدمة مصالحكم على الوجه الأكمل .

وانتهى الخطيب من محاضرتة فى الساعة السابعة والرابع مساء . وقد عاتب جريدة مصر لتعمدها اغفاله . وعدم ذكر اسمه إذا ما اضطرت أن تشير اليه . وقال أننى كنت ولا أزال صديقاً لمصر . ومؤسس مصر المرحوم تادرس بك شنوده المنقبادى . وذكر حادثة تدل على هذه الصداقة فقال :

« جاءنى صاحب مصر يوماً . وقال لى لقد أغلقوا جريدة مصر وأحالونى الى القضاء . فأرجوك ان تجد لى مخرجاً من هذه الورطة ، فطلبت منه أن يحضر الى الأحكام فأحضر خمسة منها . واستخلصت من اثنين منها مذكرة جاءت فى ٣٠ صفحة فولسكاب باللغة الفرنسية انقذت مصر وصاحبها من المحاكمة » .

ملحق ٥ ب

آخر ساعة الخميس ١٩/١٠/٤٤ قبيل الانتخابات الملية التى انتهت فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤٤

سياسة التفاهم وسياسة الخصام والانقسام

« إن الأقباط يطالبون بالإصلاح منذ خمسين أو ستين عاماً . وإن كلمة الإصلاح تعنى فى نظر الكثيرين الحرب بين الأكليروس والشعب ولكن الخبرة اثبتت لى أن الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا بتآزر الجانبين ووقوفهما كتلة واحدة لأن المحبة هى التى تنشئ وتخلق . اما الكراهية فلا يمكن أن تثمر ثمراً صالحاً — والتفاهم مستطاع دائماً بين الناس الذين لا غرض لهم ولا مصلحة شخصية ، وإنما يضعون نصب أعينهم خدمة المصلحة العامة ووجه الله فهؤلاء ينشدون التفاهم . وينتهون اليه حتماً » .

« انى أعد هذا اليوم فاتحة عهد جديد لأن المجمع المقدس والمجلس الملى العام لم يصدر كل منها قراراً منفصلاً ولم يعد كل منهما نفسه معسكراً قائماً بذاته ، بل اصدرنا قراراً وقعوا عليه جميعاً ، بوصف انهم كتلة واحدة ممثلة لمصالح الشعب الدينية والمدنية وهذه المثابة يمكن أن يعد المحضر الذى وقعوه اليوم وثيقة تاريخية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الأقباط فى السنوات الأخيرة » .

هذا ما قاله حضرة صاحب السعادة حبيب المصرى باشا يوم انتخاب القائمقام البطريرك الأنبا يوساب — وحبيب باشا بطل من أبطال الحركة الملية القديما المتطرفين الذين جاهدوا فى سبيل الإصلاح سنوات عديدة وبعدها هذا الجهاد الطويل علمه الاختبار بما قاله من الحكم البالغة

والوقائع الصحيحة - وعندى أن حوادث الأمة القبطية فى الستين السنة الماضية تؤيد كل حرف من مقال المصرى باشا . فبسياسة المحبة والتفاهم استطاع رجل واحداً وهو المرحوم أرمنيوس بك حنا أن يقوم بمشاريع طائفية وأمور إصلاحية لم يستطع رجال المجلس الملى جميعاً أن يقوموا بجزء منها فى ستين سنة . واليك الإصلاحات التى قام بها هذا الرجل الفذ فى مدة وجيزة .

١ - زاد إيراد أملاك البطريركية مبلغ ٩٧٥ جنيها .

٢ - قام بزخرفة الكاتدرائية الكبرى . ودهنها بالزيت . وعمل أبواباً زجاجية للأبواب العمومية ، وطبق حجاب الهياكل من الداخل بالخشب - وعمل شبابيك خرط . انتيكة للكنيسة من الخارج . وزودها بالمقاعد الكافية وملابس الكهنة والشمامسة واشترى لها الكراسى الخيزران والثريات اللازمة .

٣ - أصلح دير الأنبا زويس وكنيسته - وأحدث فيه مساكن لفقراء الدير . وشيد قصرأ بطريركياً وفرشه بالأبسطة العجمية . وزوده بالأثاث اللازم وفرش الكنيستين بالحصر والأبسطة . وبنى بوابة الدير على الطراز الحديث .

٤ - جمع تبرعات طائلة من الشعب القبطى للمشروعات العامة قدرها ١٥٠٠٠٠٠ جنيه مصرى بنفوذ البطريرك (كيرلس الخامس) .

٥ - اشترى من هذه التبرعات سراى مهمشة ونقل اليها المدرسة الاكليريكية . واشترى أيضا ٣٦٥ فدانا دفع عربونها من هذه التبرعات . وأتم بناء المدرسة الصناعية ببولاق .

هذا ما انتجته سياسة التفاهم بين قبطى واحد ورجال الاكليروس فى قليل من الزمن .

ولكن المجلس الملى الحالى لا يؤمن بهذه السياسة ، وانما يعتبر نفسه معسكراً قائماً بذاته . ومن واجبه أن يحارب معسكر الاكليروس وهذه هى النتائج التى حصل عليها من سياسته هذه فى دورته الحالية .

١ - خسر أفضل أعضائه وأشدهم إخلاصاً . وهم مراد وهبة باشا تكلا بك ميخائيل وكامل بك ابراهيم وحبیب المصرى باشا .

٢ - أثار الرهبان على الأديرة . وساعد ثورتهم بمبالغ طائلة من خزانة الديوان البطريركى .

٣ - عطل المجلس الملى الفرعى القاهرى ستة شهور كاملة - ذاق خلالها المتفاوضون مرارة الانتظار وضياع مصالحهم .

٤- أضاع على الأقباط فرصة نادرة . وهي فرصة ارتقاء غبطة البابا الأنبا مكار يوس
التي لو استثمرها لحصل على تبرعات شعبية هائلة كانت تكفل تحقيق كثير من الإصلاحات
المطلوبة .

٥- قتل من هيبة المجمع المقدس . وجرأ الطامعين على الأعتداء على حقوق الكنيسة
ودفع فى سبيل ذلك ٢٠٠٠ جنيه .

٦- عضد الحركة الانفصالية التي يقوم بها المتطرفون من شباب اثيوبيا .

بوجود الآلة التي لها قلبية مقلية واحدة ربحية، أي ذات قلبية ثنائية ربحية واليها نسبة
شركة كالمعروف في سوق رأس المال، فبالإضافة إلى ذلك، فإنها لا تملك رأس المال كالمعتاد، أي أنها
أقل من ذلك.

تستحق الشركة ربحاً وعلية كما ربح في سوقها، أي أنها ربحية في سوقها، أي أنها ربحية في سوقها،
أي أنها ربحية في سوقها، أي أنها ربحية في سوقها.

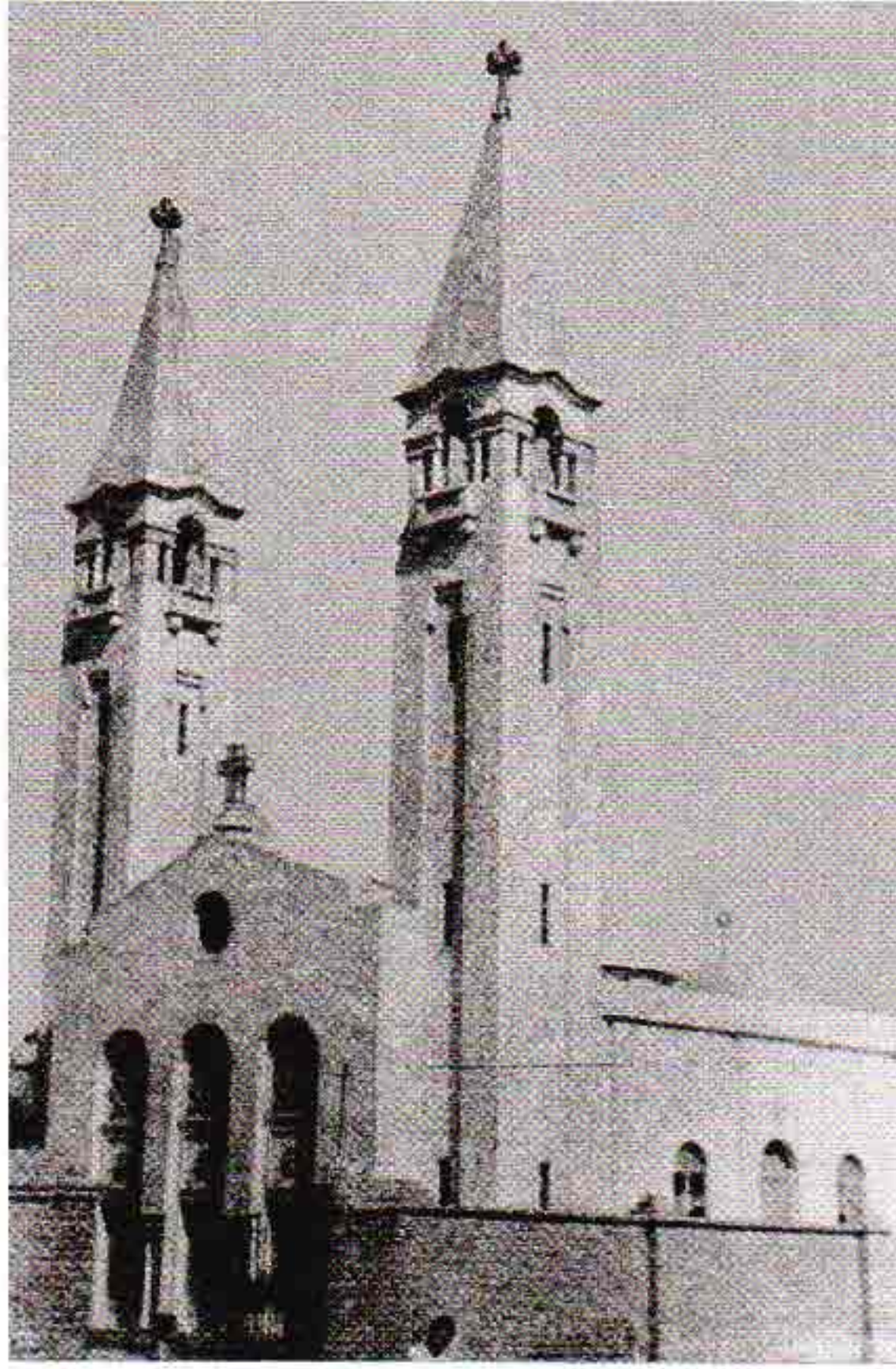
البرهان: من حيث ربحها في سوقها، أي أنها ربحية في سوقها، أي أنها ربحية في سوقها.

٨٥ / ٥٨٢١
- ٦٧ - ١٨٧ - ٩٧٧ -

طبع بشركة هارموني للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)



القمص مٲياس تاوضروس (ف ١٢٨ ج)

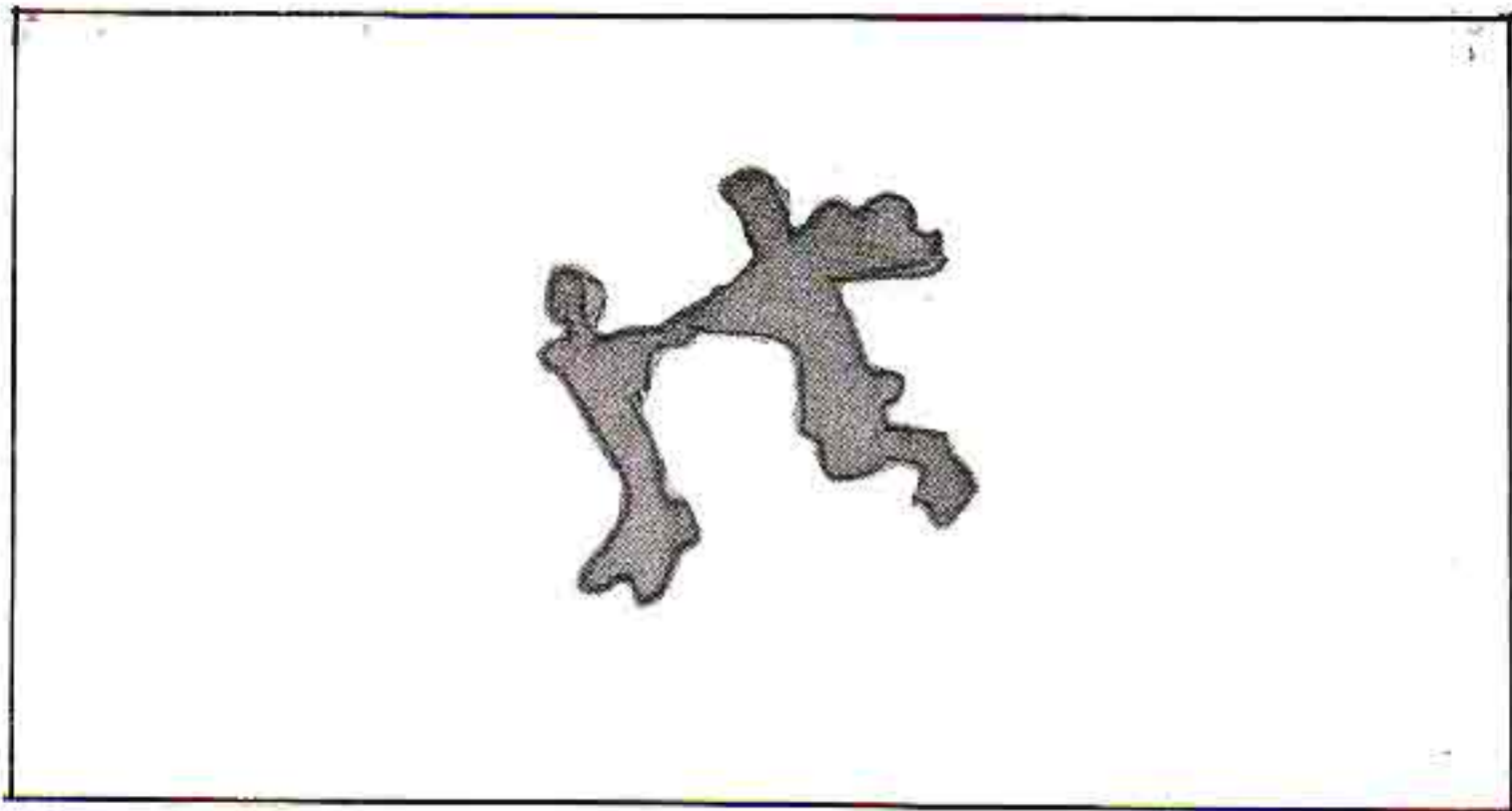


كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس
بشبرا البلد

تقع هذه الكنيسة على شارع هو الفاصل الوحيد بينها وبين قصر محمد علي (الذي أصبح الآن كلية الزراعة). وكان عرض الشارع أولاً عشرين متراً، فرأى الملك فاروق وجوب توسيعه ليليق بقصر جده الكبير، وقرر أن يوسعه عشرين متراً أخرى على أن تؤخذ كلها من الناحية المقابلة للقصر ولو أن هذه الرغبة نفذت لانهدم نصف الكنيسة (طولاً). وكان القمص يوسف الدير راعي الكنيسة ناظراً لمدرسة أولية من المدارس التابعة لجمعية السيدات لتربية الطفولة. فعند اجتماع تلاميذ كل المدرسة للصلاة صباح اليوم التالي لسماعه هذا الخبر قال لهم بعد أن انتهوا من الصلاة: «يا أولادى سنصوم جميعاً ونقيم القداسات خلال الأيام الثلاثة القادمة لكي يحفظ لنا الله كنيستنا. وقولوا لوالديكم أن يصلوا و يصوموا و يأتوا الى الكنيسة». ثم أبلغهم ما سمعه عن توسيع الشارع. فأطاعه الجميع. وكانوا بعد الانتهاء من القداس الالهى يترومون بتمجيد للشهيد العظيم مار جرجس. وفي آخر ذلك الأسبوع كان القمص يوسف الديرى خارجاً فرأى مهندساً يقيس المساحة من ناحية القصر. فحياة واستفهم منه عما يعمل. أجابه: «لقد صدر الأمر بتوسيع الشارع. ولما سمع الملك بأن هناك كنيسة على الناحية الأخرى شدد الأمر بأن يكون التوسيع كله من ناحية القصر كي لا تتعرض الكنيسة لأى تكسير». وهكذا بالصوم والصلاة وبالاستشفاع بالشهيد البطل حفظت الكنيسة ومازالت باقية ترتفع مناراتها نحو السماء.



أمين حبيب المصري (ف ١٣١ حـ)

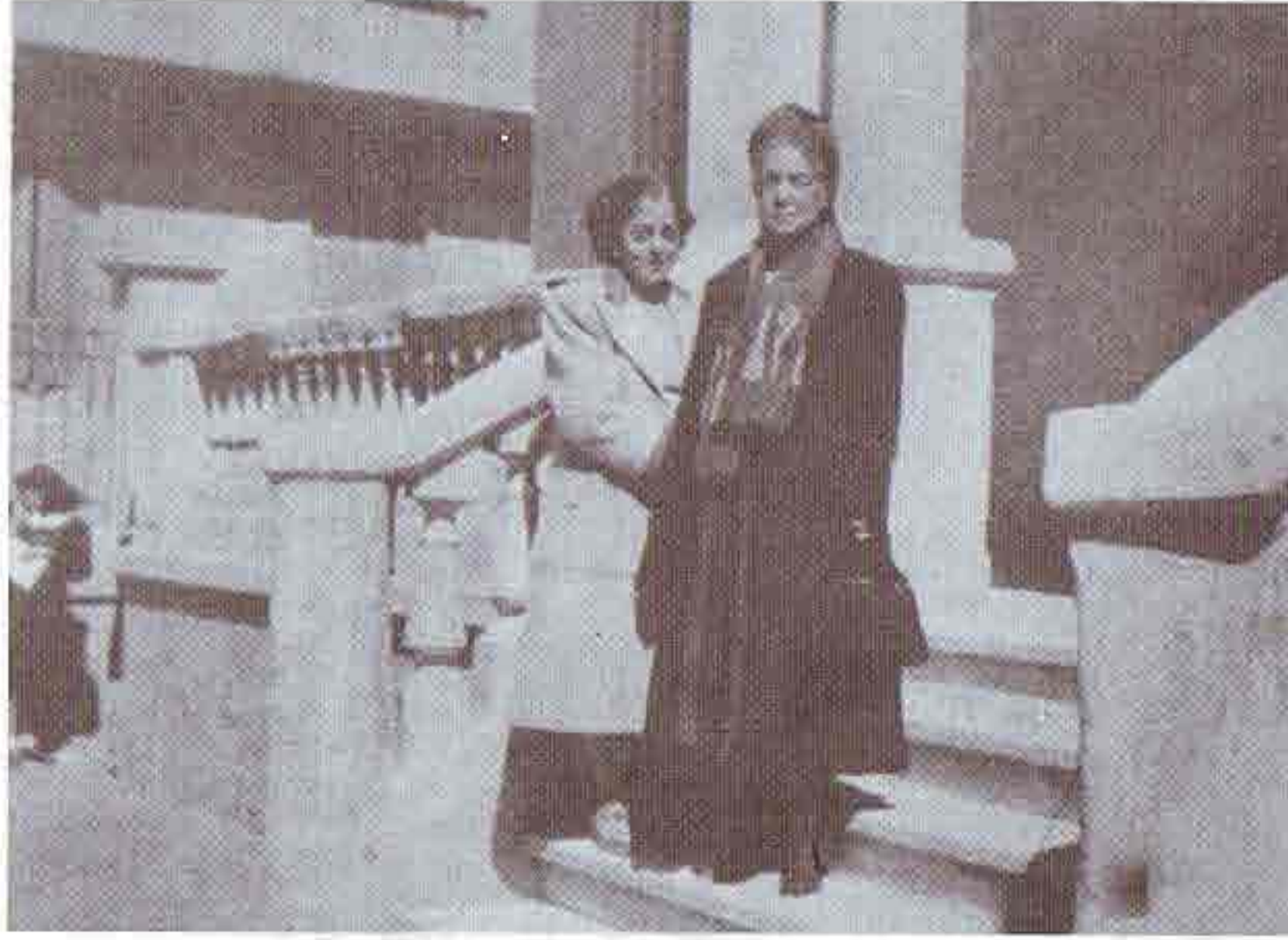


« مصارعة ملاك حتى مطلع الفجر »

تكوين ٣٢ : ٢٤

أو « مصارعه انسان حتى طلوع الفجر »

أول إنتاج بذله أمين المصري وعمره آنذاك خمس سنوات ونصف وهو الخفيد الذي يحمل اسم جده إذ شاء أبوه أمين ان يكون هذا الاسم حافظا للجهاد الدؤوب (تابع ف ١٣١ حـ)



السيدة سليمة مينا عقد مدرسة تابعة لجمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة بحى
كندرية



حبيب المصرى وحرمة سليمة مينا (ف ١٣١ أوب)



الأرشيدياكون ورئيس شمامسة حبيب جرجس
معلم لاجيال عديده (ف ١٣)

دير السلطان

عاش صلاح جلال المحرر باخر ساعة داخل دير السلطان فى قلب المدينة المقدسة «القدس»
وشهد الحياة الرقيقة الشفافة التى يعيشها رهبان الدير من أقباط مصر وضيوفهم من الرهبان
الأحباش ..

وفى داخل الدير كلية للتعليم كان بها مدرسون من القاهرة وكانت نتائجها الدراسية ٩٨% وتعتبر من
أحسن مدارس الأردن ان لم تكن أحسنها ..

وفجأة ثارت العواصف المريبة مرة واحدة وتحولت الحياة الرقيقة الشفافة فى داخل دير السلطان الى
سحب وغيوم واستفزاز

ومبنى دير السلطان هبة من صلاح الدين الأيوبي للقبض تقديراً منه لخدماتهم ولولائهم ، واعترافاً منهم
بفضلهم أعطوا هذا الاسم للدير الذى فرحوا بالحياة فيه . ثم افتتحوا به مدرسة باسم «الكلية الأنطونية» . إذ أن
غالبية الرهبان الخادمين فى الأراضى المقدس من دير الأنبا أنطونيوس .

ولقد طردت الحكومة المحلية الأحباش من أديرتهم وكنائسهم منذ ثلاثة قرون لعجزهم عن دفع
الضرائب المقررة عليهم . فاستضافهم القبط حرصاً على عقيدتهم وتوفيراً لهم السبيل للبقاء فى القدس على
أساس أنهم ضمن أولاد الكنيسة القبطية . وخلال القرون الثلاثة حاول الأحباش محاولات عديدة للاستيلاء
على الدير وإخراج الأقباط منه . وكانت محكمة القدس الشرعية تعيد الحق الى أصحابه فى كل مرة .

و يقول المحرر باخر ساعة – صلاح جلال – « دخلت الى الدير السلطاني والتقيت بالراهب القبطي
بطرس البرموسى وبالرهبان الأحباش الذين أخيرونى بأنهم ضيوف قدامى وأنهم يتمتعون بمحبة إخوتهم الأقباط
وبرعايتهم فى منتهى المحبة . وزرت الرهبان الأحباش فى صوامعهم بمرافقة مندوب من مصلحة السياحة
الأردنية . وسمع بنفسه ثناءهم على الرهبان القبط كما سمع اعترافهم بأنهم ضيوف » .

« ودخلنا من باب جانبي الى الكلية الأنطونية التى التقيت فيها بالمدرسين المصريين التى كانت وزارة
التربية والتعليم قد أعارتهم للعمل بها ، وعلى رأسهم فوزى سليمان دينامو نشاط الكلية . والتقيت بالطلاب من
أبناء فلسطين والقدس »

« وطلبنا من مندوب السياحة الأردنية أن يأخذنا الى كنيسة القيامة . فقال لنا إن الدير هو الممر
الطبيعى الموصل بين البطريركية القبطية وكنيسة القيامة . ولكننا سرنا من طريق آخر – فبدأنا مشواراً طويلاً
فى أحشاء القدس ودهاليزها ووسط الزحام الشديد . وطال بنا المسير . وكنا سنوفر هذا المشوار لو أننا مررنا من
دير السلطان لأنه يقع على سطح مغارة الصليب وهى إحدى كنائس القيامة نفسها ومعنى انتزاع الدير من
الأقباط صعوبات لا حد لها بالنسبة للحجاج المصريين . ومعناه ساعات طويلة مرهقة يمضونها فى دروب
ومسالك القدس للوصول الى كنيسة القيامة »



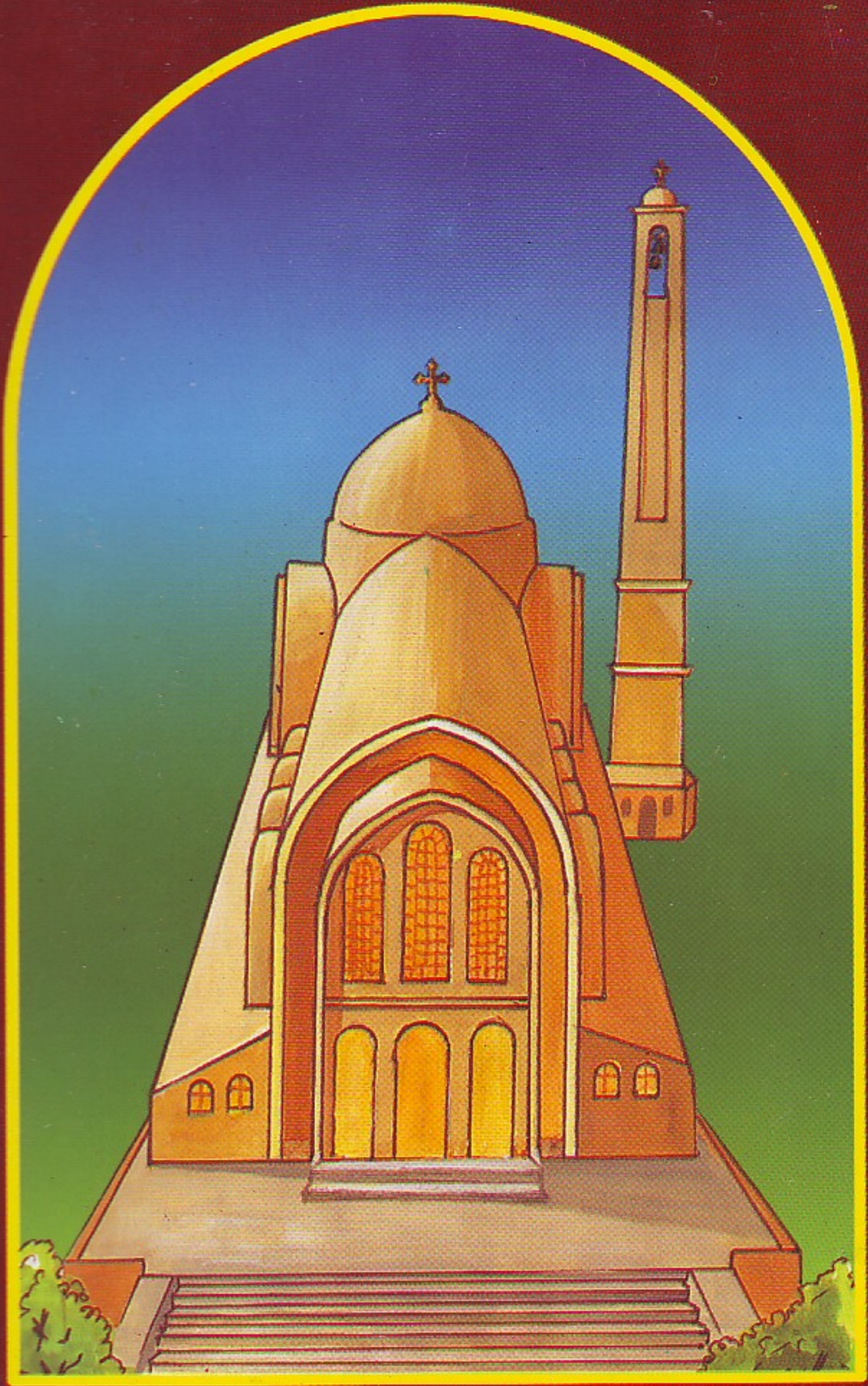
الانبا يوانس : مطران الجيزة سافر الى الاردن على راس وفد ومعه مستندات ووثائق ملكية الدير السلطاني لاقباط مصر وكنيستهم

و بعد مفاوضات دارت بين نيافة الانبا يونس و مندوب حكومة الأردن عاد دير السلطان الى أصحابه .
وعلى الرغم من كل ما حدث فقد ظل الأقباط حريصين على استضافة الأحباش

الرئيس يتبرع بخمسة آلاف جنيه للدير

• ودير السلطان يعد من أحسن أديرة الطوائف المسيحية الموجودة في القدس وهي تزيد على ١٢ طائفة لأنه الدير الوحيد الذي يطل على قبر القيامة ، وقد تبرع الرئيس جمال عبد الناصر لهذا الدير القبطي الملاصق له بخمسة آلاف جنيه ، وقد استقبلت الطائفة القبطية هذا التقدير بالترحيب الكبير لمعناه الادبي والمعنوي الهائل فوق قيمته المادية ..

وذلك مساهمة من الرئيس عبد الناصر في تكاليف ترميم الدير وتجديده .



مكتبة المحبة

القاهرة - ت و فاكس / ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨

